بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مؤلف المتن شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تميم .

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة 1115 هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير وجده سليمان عالم نجد في زمانه. حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين ودرس في الفقه حتى نال حظّاً وافراً وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها ومنهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري. كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قد وهبه الله فهماً ثاقباً وذكاء مفرطاً وأكب على المطالعة والبحث والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة وقد خط كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفي والده أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله وإنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل القبور، وقد شد أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

وله رحمه الله تعالى مؤلفات نافعة نذكر منها:

الكتاب الجليل المفيد المسمى " كتاب التوحيد " وقد طبع في طبعات كثيرة كلما نفدت طباعته أعيد طبعه، و" كشف الشبهات " و" الكبائر " و" مختصر الإنصاف " و" الشرح الكبير " و " مختصر المعاد " وله فتاوى ورسائل جمعت

باسم مجموعة مؤلفات الإمـام محمـد بن عبـد الوهـاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

وقد توفي رحمه الله تعالى عام 1206 هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينـا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم

فهد بن ناصر السليمان

عفا الله عنه

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فهذا شرح يسير على كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسمى " كشف الشبهات " والذي أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى ووضوح العبارة أسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك وأن ينفع بذلك العباد إنه على كل شيء قدير.

محمد بن صالح العثيمين

بسم(1) الله (2) الرحمن (3) الرحيم(4)............ ......

---

(1) (1) ابتدأ المؤلف رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره:

بسم الله أكتب.

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً : باسم الله نبتدئ ما يدرى بماذا نبتدئ ، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد الذي أبتدئ به.

(2) (2) لفظ الجلالة علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى :) كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من

الظلمـات إلى النـور بـإذن ربهم إلى صـراط العزيـز الحميد . الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ([1][1] **لا نقـول : إن لفـظ الجلالـة (اللـه) صـفة بـل نقول : هي عطف بيان لئلا يكون لفـظ الجلالـة تابعـاً تبعيـة النعت للمنعـوت، ولهـذا قـال العلمـاء : أعـرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يدل على أحد سوى اللـه عز وجل.**

(3) الرحمن اسم من الأسـماء المختصـة باللـه لا يطلـق على غيره.

ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

(4) الرحيم اسم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره.

اعلم(1).........

ومعنـاه: ذو الرحمـة الواصـلة ، فـالرحمن ذو الرحمـة الواسعة، والرحيم ذو الرحمـة الواصـلة فـإذا جمعـا صـار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشـاء من عبـاده كما قال الله تعـالى:) يعـذب من يشـاء ويـرحم من يشـاء وإليه تقلبون ([1] **والمراد بالرحمن الواسع الرحمة.**

(1) (1) العلم هـو " إدراك الشـيء على مـا هـو عليـه إدراكاً جازماً ".

ومراتب الإدراك ست:

الأولى: العلم وتقدم تعريفه.

الثانية: الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المـركب وهـو " إدراك الشـيء على وجـه يخالف ما هـو عليـه". وسـمي مركبـاً لأنـه جهلان: جهـل الإنسان بالواقع، وجهله بحاله حيث ظن أنه عـالم وليس بعالم.

الرابعة: الوهم وهو " إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح ".

الخامسة: الشـك وهـو " إدراك الشـيء مـع احتمـال ضـد مساو " .

---

[1] (1) سورة إبراهيم ، الآيتان : 1-2 .

((1) العنكبوت آية :: 21 .

السادسة: الظن وهو" إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح" .
والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري:
فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.
والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

رحمك الله(1) أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة(2) ....

---

(1) (1) أي أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها. هذا إذا أفردت الرحمة أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة التوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل. وصنيع المؤلف رحمه الله يدل على شفقته وعنايته بالمخاطب.

(2) (2) التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد ، أي جعل الشيء واحداً، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له ، لأن النفي وحده تعطيل والإثبات وحده لا يمنع المشاركة. فمثلاً لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح عرف المؤلف رحمه الله تعالى التوحيد بقوله : " التوحيد هو إفراد الله عز وجل بالعبادة " أي أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً بل تفرده وحده بالعبادة محبة، وتعظيماً، ورغبة، ورهبة.

ومراد الشيخ رحمه الله تعالى التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأممهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو : " إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به" وأنواعه ثلاثة:

الأول : توحيد الربوبية وهو" إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير " قال الله عز وجل)الله خالق كل شيء ([1] وقال تعالى:) هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ([2].

---

[1] الزمر، آية : 62 .

[2] فاطر، آية : 3 .

وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده (1) ،

وقال تعالى:) تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير (، وقال تعالى:) ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (.

الثاني: توحيد الألوهية وهو " إفراد الله تعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده كما يعبد الله أو يتقرب اليه كما يتقرب إلى الله تعالى" .

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو " إفراد سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته الواردة في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف، ولا تمثيل " .

(1) (1) مراد الشيخ رحمه الله تعالى هنا توحيد الألوهية فهو دين الرسل فكلهم أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال الله تعالى:) ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (وقال تعالى:) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم، واستباح دماءهم، وأموالهم، وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم.

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

فإفراد الله وحده بالعبادة هو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده كما قال الشيخ رحمه الله فها هو أول الرسل نوح عليه السلام يقول كما حكى الله عنه:) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا إلا الله (

فأولهم نوح عليه السلام(1) ،أرسله الله إلى قومه لما غلوا ، (2) ....

وقال تعالى:) وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (وقال تعالى:) وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (وقال تعالى:) وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره (.

(1) (1) هذا حق فإنه لم يبعث قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسول وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا : إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح لأن الله تعالى يقول:) إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده (وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة " أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له : أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض " [1] فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء.

فنوح أول الرسل بالكتاب، والسنة، والإجماع .

ونوح عليه الصلاة والسلام أحد الرسل الخمسة الذين هم أولو العزم وهم: محمد صلى الله عليه وسلم ، وإبراهيم، وموسى ، ونوح وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه : في سورة الأحزاب وسورة الشورى .

(2) (2) يعني أن الله أرسل نوحاً عليه الصلاة والسلام إلى قومه لما وقع فيهم الغلو في الصالحين، وقد بوب المؤلف رحمه الله في كتاب التوحيد على هذه المسألة فقال: " باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين".

والغلو هو : " مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحاً أو مدحاً " والغلو ينقسم إلى أربعة أقسام:

---

[1] البخاري: كتاب التوحيد : باب كلام الله مع الأنبياء، ومسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلاً.

في الصالحين (1) ....

القسم الأول: الغلـو في العقيـدة كغلـو أهـل الكلام في الصفات حتى أدى بهم إما إلى التمثيل ، أو التعطيل.

والوسط مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غــير تكييف ولا تمثيل.

القسم الثاني: الغلو في العبـادات كغلـو الخـوارج الـذين يرون كفر فاعل الكبيرة، وغلو المعتزلة حيث قـالوا : إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين وهـذا التشـدّد قابلـه تساهل المرجئة حيث قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب.

والوسط مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصــية ناقص الإيمان بقدر المعصية.

القسم الثالث: الغلو في المعاملات وهو التشدّد بتحــريم كل شيء وقابل هذا التشدد تسـاهل من قـال بحـل كـل شـيء ينمي المـال والاقتصـاد حـتى الربـا والغش وغـير ذلك.

والوسط أن يقال : تحل المعـاملات المبنيـة على العـدل وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

القســم الرابــع: الغلــو في العــادات: وهــو التشــدد في التمسك بالعادات القديمة وعدم التحول إلى ما هـو خـير منها.

أما إن كـانت العـادات متسـاوية في المصـالح فـإن كـون الإنسان يبقى على ما هـو عليـه خـير من تلقي العـادات الوافدة.

(1) (1) الصالح هو الـذي قـام بحـق اللـه وبحـق عبـاد الله.

وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسـراً (1) وآخـر الرسـل محمد، صلى الله عليه وسلم (2) ،

---

(1) (1) هذه أصنام في قوم نوح عليـه السـلام كـانوا رجالاً صالحين ، وقد جاء في صـحيح البخـاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " هذه أسماء رجـال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلســون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حـتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت" .[1]

وهذا التفسير فيه إشكال حيث يقول رضي الله عنــه : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، وظاهر القــرآن أنـه قبـل نـوح قـال اللـه تعـالى:) قـال نـوح رب إنهم عصـوني واتبعـوا من لم يـزده مالـه وولـده إلا خسـاراً . ومكروا مكراً كباراً. وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ([2]. فظاهر الآيــة أن قوم نوح كانوا يعبدونهم وأنه نهاهم عن ذلك.

فسياق الآية يدل على ما ذكـره ابن عبـاس إلا أن ظـاهر السياق أن هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبـل نـوح عليـه السلام والله أعلم.

(2) (2) دليل ذلك قوله تعالى :) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبـيين(فلا نـبي بعد النبي محمد صلي الله عليه وسلم.

فـإن قيـل: إن عيسـى ابن مـريم عليـه الصـلاة والسـلام ينزل آخر الزمان وهو رسول.

فنقول: هذا حق ولكنه لا ينزل على أنه رسول مجدد، بل ينزل على أنه حاكم بشـريعة النـبي محمـد عليـه الصـلاة والسلام لأن الواجب على

---

[1] البخاري: كتاب التفسير سورة نوح رقم (4636) .

[2] نوح آية : : 21، 23.

وهـو كسـر صـور هـؤلاء الصـالحين (1) أرسـله اللـه إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون اللـه كثـيراً (2) ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين اللـه. يقولـون: نريـد منهم التقـرب إلى اللـه ونريـد شفاعتهم عنده مثـل الملائكـة، وعيسـى ومـريم وأنـاس غيرهم من الصالحين (3)..

عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد صلى اللـه عليه وسلم، واتباعه ونصره كمـا قـال اللـه تعـالى:) وإذ أخذ الله ميثـاق النبـيين لمـا آتيتكم من كتـاب وحكمـة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقــررتم وأخــذتم على ذلكم إصـري قـالوا أقررنـا قـال فاشـهدوا وأنـا معكم من الشـاهدين ([1]– وهـذا الرسـول المصدق لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسـلم، كمـا صح ذلك عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنـه، وغيره.

(1) (1) أي إن النبي صلى الله عليه وسلم، كسر صور الأصـنام وذلـك يـوم الفتح حين دخـل الكعبـة فوجـد حولهـا وفيهـا ثلاثمائـة وسـتين صـنماً وجعـل يطعنهـا عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يتلـو قولـه تعـالى:) جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً (.[2] [3]

(2) (2) أي إن الله بعث رسـوله محمـداً عليـه الصـلاة والسلام إلى قوم يتعبدون لكنها عبادة باطلة ما أنـزل بها من سلطان،ويتصدقون ويفعلـون كثـيراً من أمـور الخـــير لكنهـــا لا تنفعهم ، لأنهم كفـــار، ومن شـــرط التقرب إلى اللـه تعـالى أن يكـون المتقـرب إلى اللـه مسلماً وهؤلاء غير مسلمين.

(3) (3) أى إنهم إنما يعبدون هـذه الأصـنام لتقـربهم إلى الله زلفى فهم مقرون بأنهـا دون اللـه، وأنهـا لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، وأنهم شـفعاء لهم عنـد اللـه عز وجل.

---

[1] آل عمران :آية : : 81 .

[2] أخرجه البخاري: كتاب التفسير سورة الإسراء .

[3] الإسراء: آية :: 81 .

فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما(1).

ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها لأن الله عز وجل يقول:) فما تنفعهم شفاعة الشافعين (وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ، لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز وجل والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون:) هؤلاء شفعاؤنا عند الله(تعلق باطل غير نافع بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعداً، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام، وهذا من جهلهم وسفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعداً.

(1) (1) يقول المؤلف رحمه الله تعالى : إنهم مازالوا على هذا الكفر وهو عبادة هذه الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله تعالى حتى بعث الله رسوله وخاتم أنبيائه محمداً صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى بالتوحيد الخالص يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك قال الله تعالى:) إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار(ويبين لهم أن العبادة حق لله وحده، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرها. فقال تعالى :) ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (.

وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هـو، ولا يحـيي ولا يميت إلا هـو، ولا يـدبر الأمـر إلا هـو، وأن جميـع السـماوات ومن فيهن، والأرضين السـبع ومن فيهن، كلهم عبيـده وتحت تصرفه وقهره (1) .

وقوله: " يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم " كأنـه يشـير إلى قوله تعالى:) ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفـاً وما كان من المشركين (.

وقوله: " محض حق الله " . أي خالص حقه.

(1) (1) يقول رحمه الله تعالى : إن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقرون بأن الله وحده هو الخالق، وأنه هو الـذي خلـق السماوات والأرض، وأنـه هـو الـذي خلقهم، وأنـه هـو المدبر للأمور كما ذكر الله عنهم في آيـات عديـدة من القرآن الكريم قـال اللـه تعـالى :) ولئن سـألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيـز العليم (وقال تعالى:) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (والآيات في هذا المعنى كثـيرة، لكن هـذا لا ينفعهم، لأن هــذا إقــرار بالربوبيــة فقــط، ولا ينفــع الإقــرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده.

واعلم أن الإقـرار بالربوبيـة يسـتلزم الإقـرار بالألوهيـة، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية.

أما الأول: فهو دليل ملزم أي إن الإقرار دليل ملزم لمن أقـر بـه أن يقـر بالألوهيـة لأنـه إذا كـان اللـه وحـده هـو الخالق وهو المدبر للأمـور وهـو الـذي بيـده ملكـوت كـل شيء فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يشهدون بهذا(1) فاقرأ قوله تعالى:) قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون((2).
وقوله:) قل لمن الأرض(3) ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير

والثاني: متضمن للأول يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لأنه لا يتأله إلا للرب عز وجل الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده وهو المدبر لجميع الأمور سبحانه وتعالى.

(1) (1) ذكر المؤلف رحمه الله هنا دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية، ولكنه أتى به على سبيل السؤال والجواب ليكون هذا أمكن وأثبت وأتم في الاستدلال فقال: " فإذا أردت الدليل.. فاقرأ قوله تعالى:) قل من يرزقكم من السماء والأرض (الآية[1].

(2) (2)) فقل أفلا تتقون (يعني إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون الله الذي أقررتم له بتمام الملك وتمام التدبير وأنه وحده الخالق الرازق المالك للسمع والأبصار، المخرج للحي من الميت، وللميت من الحي المدبر لجميع الأمور، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي إنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له.

(3) (3) وقوله يعني واقرأ قوله تعالى:) قل لمن الأرض ومن فيها (إلى آخر الآيات وهذه الآيات مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم

---

(1) يونس: آية :: 31.

ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فـأنى تسـحرون [1] وغـير ذلـك من الآيـات. فـإذا تحققت أنهم(1) مقرون بهذا (2) ولم يدخلهم في التوحيد الـذي دعـاهم إليـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم (3) وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الـذي يسميه المشركون في زماننا: " الاعتقاد " (4) .

النبي، صلى الله عليه وسلم، يقـرون بتوحيـد الربوبيـة فإنهم يقـرون بـأن الأرض ومن فيهـا للـه لا شـريك لـه، ويقرون بأن الله هو الذي خلق السـماوات والأرض وأنـه رب العرش العظيم، ويقرون بأن بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يجير ولا يجـار عليـه، وكـل هـذا ملـزم لهم بـأن يعبـدوا اللـه وحـده ويفـردوه بالعبـادة، ولهـذا جـاء توبيخهم بصيغة الاستفهام في ختام كـل آيـة من الآيـات الثلاث.والآيـات الدالـة على أن المشـركين الـذين بعث فيهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ، يقـرون بتوحيـد الربوبية كثيرة .

(1) (1) أي الذين بعث فيهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم من المشركين.

(2) (2) يعـني توحيـد الربوبيـة وهـو اعتقـاد أن اللـه وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

(3) (3) أي إن إيمانهم بـأن اللـه هـو الخـالق المالـك المـدبر لجميـع الأمـور لم يـدخلهم في توحيـد العبـادة الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يعصم دماءهم وأموالهم.

(4) (4) أي إذا عـرفت أن الـذي أنكـروه هـو توحيـد العبادة الذي يسميه كما قال الشيخ رحمه الله مشركو زماننا " الاعتقاد " تبين لك أن هذا الذي

---

[1] المؤمنون: الآيات: 83-89 .

كما كانوا يـدعون اللـه سـبحانه ليلاً ونهـاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقـربهم من اللـه ليشـفعوا لهم ، أو يــدعو رجلاً صــالحاً مثــل: اللات، أو نبيــاً مثــل عيسى[1](1).

أقروا به لا يكفي في التوحيد بل ولا يكفي في الإســلام كله فإن من لم يقـر بتوحيـد العبـادة فإنـه ليس بمسـلم حتى ولو أقر بتوحيد الربوبية ولهـذا قاتـل النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، المشـركين مـع أنهم يقـرون بتوحيـد الربوبية كما تقدم.

(1) (1) يعـني أن هـؤلاء المشـركين في عبـادة اللـه كانوا يدعون الله تعالى إذا اضـطروا إلى ذلـك، ومنهم من يدعو الملائكة لقربهم من الله عز وجل ويزعمـون أن من قرب من اللـه سـبحانه وتعـالى فهـو مسـتحق للعبادة وهذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحـده لا يشركه فيها أحد.

وأن منهم من يدعو اللات ، واللات بالتشديد اسـم فاعـل من اللت وأصــله رجــل كــان يلت الســويق للحجــاج، أي يجعل فيه السمن ويطعمه الحجاج فلما مات عكفوا على قبره ثم عبدوه، وأن منهم من يعبد المسيح عليه السـلام لكونــه آيــة من آيــات اللــه، وأن منهم من يعبــد الأوليــاء لقربهم من اللـه سـبحانه وتعـالى، وكـل هـذا من تـزيين الشـيطان لهم أعمــالهم الــتي ضــلوا بهــا عن الصــراط المستقيم قال الله تعالى:) قل هل ننــبئكم بالأخســرين أعمــالاً . الــذين ضــل ســعيهم في الحيــاة الــدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيـات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ([1]) .

([1]) الكهف :الآيات : 103- 105.

وعرفت (1)أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاتلهم على هـذا الشـرك (2) ودعـاهم إلى إخلاص العبـادة للـه وحده (3) كما قال الله تعالى:) فلا تدعوا مع اللـه أحـداً (وكما قال تعالى:) لـه دعـوة الحـق والـذين يـدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ([1] **(4)**

وتحققت (5)أن رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قاتلهم ليكون

---

(1) (1) هذه معطوفة على قوله : " فإذا تحققت" .

(2) (2) أي الشرك في العبادة حيث كانوا يعبدون غير اللـه معـه وليس المـراد الشـرك في الربوبيـة، لأن المشركين الـذين بعث فيهم النـبي، صـلى اللـه عليـه وسلم كانوا يؤمنـون بـأن اللـه وحـده هـو الـرب وأنـه مجيب دعوة المضطرين وأنه هو الـذي يكشـف السـوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبيـة الله عز وجل وحده.

فالنبي صلى الله عليـه وسـلم، قاتـل هـؤلاء المشـركين الـذين لم يقـروا بتوحيـد العبـادة بـل اسـتحل دمـاءهم وأموالهم وإن كانوا يقرون بـأن اللـه وحـده هـو الخـالق لأنهم لم يعبدوه ولم يخلصوا له العبادة.

(3) (3) الإخلاص لله معناه: " أن يقصد المرء بعبادتـه التقرب إلى اللـه سـبحانه وتعـالى والوصـول إلى دار كرامته".

(4) (4) يعني أن هذه الأصنام التي يـدعونها من دون اللـه لا تسـتجيب لهم بشـيء كمـا قـال تعـالى:)ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يسـتجيب لـه إلى يـوم القيامـة وهم عن دعـائهم غـافلون. وإذا حشـر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (.[2]

(5) (5) قوله : (وتحققت) معطوف على قوله : فإذا تحققت.

([1] الرعد: آية :: 14.

([2] سورة الأحقاف: الآيتان 5-6.

الـــدعاء كلـــه للـــه (1) ، والـــذبح كلـــه للـــه (2)ـ ، ....

---

(1) (1) الدعاء على نوعين:
الأول: دعاء عبادة بأن يتعبد للمدعو طلبـاً لثوابـه وخوفـاً من عقابه، وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكـبر مخـرج عن الملـة ، وعليـه يقـع الوعيـد في قولـه تعـالى:) إن الـذين يسـتكبرون عن عبـادتي سـيدخلون جهنم داخرين (.
النوع الثاني: دعـاء المسـألة وهـو دعـاء الطلب أي طلب الحاجات وينقسم إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: دعاء الله سبحانه وتعالى بما لا يقدر عليه إلا هو وهو عبادة للـه تعـالى لأنـه يتضـمن الافتقـار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقـاد أنـه قـادر كـريم واسـع الفضل والرحمة، فمن دعا غير اللـه عـز وجـل بشـيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كـافر سـواء كـان المـدعو حياً أو ميتاً.
القسم الثاني: دعاء الحي بمـا يقـدر عليـه مثـل يـا فلان اسقني فلا شيء فيه.
القسـم الثـالث: دعـاء الميت أو الغـائب بمثـل هـذا فإنـه شرك لأن الميت أو الغـائب لا يمكن أن يقـوم بمثـل هـذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكـون فيكون بذلك مشركاً.
(2) (2) الذبح: " إزهاق الروح بإراقة الـدم على وجـه مخصوص " .
ويقع على وجوه:
الأول: أن يقصـد بـه تعظيم المـذبوح لـه والتـذلل لـه والتقـرب إليـه فهـذا عبـادة لا يكـون إلا للـه تعـالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى،

والنذر كله الله (1) ، والاستغاثة كلها بالله (2)...........

وصرفه لغير الله شرك أكبر لقوله تعالى:) قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ([1].

الثاني: أن يقصد به إكرام الضيف، أو وليمة لعرس ونحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه "[2] وقوله لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج : " أولم ولو بشاه " . [3]

الثالث: أن يقصد به التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى:) أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له .

(1) (1) النذر يطلق على العبادات المفروضة عموماً، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله عز وجل. والمراد به هنا الأول فالعبادات كلها لله تعالى لقوله تعالى:)وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه (. [4]

(2) (2) الاستغاثة: طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك.

وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ودليله قوله تعالى:) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (. [5]

---

[1] سورة الأنعام :الآيتان : 162-163.

[2] البخاري : الأدب: باب من كان يؤمن بالله واليوم والآخر، ومسلم : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف .

[3] أخرجه البخاري : كتاب البيوع.

[4] الإسراء : آية : 23 .

[5] الأنفال : آية : 9 .

وجميع أنواع العبادات كلها لله . وعرفت [1] أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون[2].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾.[1]
الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ﴾[2] .
الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل. فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به فيمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهَّم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

(1) (1) قوله : (وعرفت) معطوف على (تحققت) الأولى.
وقوله : (عرفت) جواب (فإذا تحققت) وما عطف عليها.
(2) قرر المؤلف رحمه الله أن التوحيد الذي جاءت به الرسل من الله هو توحيد الألوهية لأن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم

---

[1] سورة النمل: آية : 62.
[2] القصص : آية : 15 .

وهذا التوحيد هو معنى قولك: " لا إله إلا الله " (1) فـإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سـواء كـان ملكـاً، أو نبيـاً، أو وليـاً، أو شـجرة، أو قـبراً، أو جنيـاً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فـإنهم يعلمـون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون

كانوا يقرون بتوحيـد الربوبيـة ومـع هـذا اسـتباح النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، دمـاءهم وأمـوالهم على أنهم يعبـدون الملائكـة وغـيرهم ممـا يعبـدونهم من الأوليـاء والصالحين يريدون بذلك أن يقربوهم إلى الله وهي كمـا قال تعالى:) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونـا إلى اللـه زلفى (فهم مقـرون بـأن اللـه هـو المقصود ولكنهم يقصدون الملائكـة وغـيرهم ليقربـوهم إلى الله ومع ذلك لم يدخلهم في التوحيد.

(1) (1) قوله: " وهذا التوحيد هو معـنى قولـك لا إلـه إلا الله " أي إن التوحيد الـذي دعـا إليـه النـبي، صـلى الله عليه وعلى آله وسلم هو معنى (لا إلـه إلا اللـه) أي: لا معبـود حـق إلا اللـه عـز وجـل فهم يعلمـون أن معناها لا معبود حق إلا الله عز وجـل، وليس معنـاه لا خالق، أو لا رازق، أو لا مدبّر إلا اللـه، أو لا قـادر على الاختراع إلا الله كمـا يقولـه كثـير من المتكلمين فـإن هـذا المعـنى لا ينكـره المشـركون ولا يردونـه، وإنمـا يردون معنى " لا إله إلا الله " أي لا معبود حق إلا الله كما قال تعالى عنهم :) أجعـل الآلهـة إلهـا واحـداً إن هـذا لشـيء عجـاب . وانطلـق الملأ منهم أن امشـوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يـراد . مـا سـمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (.

بالإله ما يعـني المشـركون في زماننـا بلفـظ (السـيد) فأتاهم النبي، صلى الله عليه وسلم، يدعوهم إلى كلمـة التوحيد وهي " لا إله إلا الله ".(1)

والمـراد من هـذه الكلمـة معناهـا لا مجـرد لفظهـا(2) والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي، صلى الله عليه وسلم، بهذه الكلمـة هـو إفـراد اللـه تعـالى بـالتعلق بـه، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فإنه لما قـال لهم : قولوا : " لا إله إلا الله " قالوا :) أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ([1] (3)

فإذا عرفت أن جهال الكفـار يعرفـون ذلـك (4) فـالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار(5)

---

(1) (1) يريد رحمه الله بيان أن المشركين لا يريدون بقـول : لا إلـه إلا اللـه أي لا مـدبر ولا خـالق إلا اللـه، لأنهم يعرفـون أن ذلـك حـق وإنمـا ينكـرون معناهـا لا معبود حق إلا الله، وهذا الـذي بـدأ بـه المؤلـف وأعـاد إنما قالـه للتأكيـد والـرد على من يقـول: إننـا لا نعبـد الملائكـة أو غـيرهم إلا من أجـل أن يقربونـا إلا اللـه زلفى ، ولسنا نعتقد أنهم يخلقون أو يرزقون.

(2) (2) قوله : " من هذه الكلمة " أي قـول : (لا إلـه إلا الله) .

(3) (3) هذه الجملة كالتي قبلها يبين فيها رحمه الله أن معـنى لا إلـه إلا اللـه لا معبـود حـق إلا اللـه، وأن المشـركين قـد فهمـوا هـذا منهـا ، وعلمـوا أنـه ليس المراد بها مجرد لفظها، وأن المراد بها لا معبـود حـق إلا اللـه، ولهـذا أنكـروه مـع أنهم لا ينكـرون أن اللـه وحده هو الخالق الرازق .

(4) (4) أي يعرفون أن معنى لا إله إلا الله، لا معبـود حق إلا الله.

(5) (5) يريد المؤلف رحمه الله أن يبين أن من الناس من يدعي الإسلام ولا

---

[1] سورة ص : آية : 5 .

بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها " لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله " فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى " لا إله إلا الله " .
إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب (1) ، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه:) إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

يعرفون معنى كلمة " لا إله إلا الله حيث يظنون أن المقصود هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها واعتقاده.
ومن الناس من يظن أن المراد بها توحيد الربوبية أي لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله.
ومن الناس من يفسرها بأن المراد بها " إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء ، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله " وهذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح، وليس المراد به أن تتيقن بالله عز وجل وتخرج اليقين من غيره لأن هذا لا يمكن فإن اليقين ثابت في غير الله) لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين (وتيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافي التوحيد.
ومن الناس من يفسرها بأنه " لا معبود إلا الله " وهذا التعريف لا يصح على ظاهره لأن هناك أشياء عبدت من دون الله عز وجل.
فيكون هؤلاء أجهل من الجهال الذين بعث فيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا يعرفون من معناها ما لا يعرفه هؤلاء .
(1) (1) أي عرفت معنى لا إله إلا الله الحقيقي وأن معناها " لا معبود حق إلا الله " .

يشاء) (1) وعرفت دين الله الذي أرسـل بـه الرسـل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سـواه (2) وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا(3) .

---

(1) (1) اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه الآية هل تشـمل كـل الشـرك أم أنهـا خاصـة بالشـرك الأكبر:

فمنهم من قال: تشمل كل شرك ولو كان أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره.

ومنهم من قال: إنها خاصة بالشرك الأكـبر فهـو الـذي لا يغفره الله.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اختلـف كلامـه فمـرة قال بالقول الأول، ومرة قال بالقول الثاني.

وعلي كــل حــال يجب الحــذر من الشــرك مطلقــاً، لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيـه الأصـغر لأن قولـه :) أن يشرك به ( ) أن (وما بعدها في تأويل مصدر تقــديره " إشراكاً به " فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.

(2) (2) وهو عبادة الله وحده كما قال تعـالى :) ومـا أرسلنا من قبلك من رسول إلا نـوحي إليـه أنـه لا إلـه إلا أنا فاعبدون (. وهذا هـو الإسـلام الـذي قـال اللـه فيه:) ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه (.

(3) (3) أي بمعنى هذه الكلمة ممـا تقـدم ذكـره عنـد قــول المؤلــف رحمــه اللــه : " فــالعجب ممن يــدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة .. " إلخ.

أفـــادك (1) فائـــدتين (2) : الأولى الفـــرح بفضـــل اللـــه ورحمته كما قال الله تعالى: ﴿ قل بفضل اللـه وبرحمتـه فبذلك فليفرحوا هو خـير ممـا يجمعـون ﴾ وأفـادك أيضـاً الخوف العظيم (3).

---

(1) (1) قوله : (أفادك) جـواب قولـه: "إذا عـرفت مـا ذكرت لك .. " إلخ .

(2) (2) يحصل ذلك من وجهين:

الوجـه الأول: أن اللــه تعــالى فتح عليــك حــتى عــرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة " لا إلـه إلا اللـه ". وهذا فضل عظيم من الله ورحمـة ، والفـرح بمثـل هـذا مما أمر الله به ودليله ما ذكره المؤلف رحمه الله : ﴿ قل بفضـل اللـه وبرحمتـه فبـذلك فليفرحـوا هـو خـير ممـا يجمعـون ﴾ وفـرح العبـد بمـا أنعم اللـه عليـه من العلم والعبادة من الأمـور المحمـودة كمـا جـاء في الحـديث: " للصائم فرحتـان: فرحـة عنـد فطـره، وفرحـة عنـد لقـاء ربه"[1].

(1) (3) أي من أن تقع في مثل ما وقع فيه هـؤلاء من الجهل بمعناها والخطر العظيم في ذلك.

---

(1) أخرجه البخاري : كتاب الصوم : باب هل يقول : إني صائم إذا شتم، ومسلم : كتاب الصيام : باب فضل الصيام .

فإنـك إذا عـرفت أن الإنسـان يكفـر بكلمـة يخرجهـا من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل (1) .

---

(1) (1) تعليقنـا على هـذه الجملـة من كلام المؤلـف رحمه الله:

أولاً : لا أظن الشـيخ رحمـه اللـه لا يـرى العـذر بالجهـل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بـالحق فلا يلتفت إليـه ولا يتعلم، فهـذا لا يعـذر بالجهـل وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلاماً آخـر يـدل على العذر بالجهل فقـد سـئل رحمـه اللـه تعـالى عمـا يقاتـل عليه؟ وعما يكفر الرجل به ؟ فأجاب:

أركان الإسـلام الخمسـة، أولهـا الشـهادتان، ثم الأركـان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها، وتركهـا تهاونــاً، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلمـاء اختلفـوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نكفر إلا مــا أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان.

وأيضاً : نكفـره بعـد التعريـف إذا عـرف وأنكـر، فنقـول: أعداؤنا معنا على أنواع.

النــوع الأول: من عـرف أن التوحيـد دين اللـه ورسـوله، الذي أظهرناه للناس، وأقر أيضاً أن هذه الاعتقـادات في الحجر، والشجر، والبشر، الذي هو دين غالب الناس: أنــه الشـرك باللـه، الـذي بعث اللـه رسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم ينهى عنه ، ويقاتل أهلـه، ليكـون الـدين كلـه للـه، ومـع ذلـك لم يلتفت إلى التوحيـد، ولا تعلمـه ، ولا دخـل فيه، ولا تـرك الشـرك، فهـو كـافر، نقاتلـه بكفـره، لأنـه عــرف دين الرسـول، فلم يتبعــه ، وعــرف الشــرك فلم يتركه ، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخـل فيـه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلـك، ولكنـه تـبين في سـب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد يوسف، والأشقر، ومن عبـد أبـا علي، والخضـر من أهـل الكويت، وفضلهم على من وحد الله، وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قولـه تعـالى :) فلمـا جـاءهم مـا عرفـوا كفـروا بـه فلعنـة اللـه على الكـافرين ([سـورة البقرة، الآية : 89] وهو ممن قال الله فيه :) وإن نكثـوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمـة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ([سورة التوبـة: الآية: 12] .

النوع الثالث: من عرف التوحيد، وأحبـه، واتبعـه، وعـرف الشرك، وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيـد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر، فيه قوله تعالى:) ذلـك بـأنهم كرهـوا مـا أنـزل اللـه فأحبـط أعمـالهم ([سورة محمد، الآية: 9] .

النـوع الرابـع: من سـلم من هـذا كلـه، ولكن أهـل بلـده يصـرحون بعـداوة أهـل التوحيـد، واتبـاع أهـل الشـرك، ويسعون في قتالهم، ويتعذر بأن ترك وطنه يشق عليـه، فيقاتـل أهـل التوحيـد مـع أهـل بلـده، ويجاهـد بمالـه، ونفسه، فهذا أيضاً كافر، فإنهم لو يأمرونـه بـترك صـوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بـتزوج امـرأة أبيـه ولا يمكنـه ذلـك إلا بفـراقهم فعـل، وموافقتهم على الجهـاد معهم بنفسـه ومالـه، مـع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير، كثـير، فهـذا أيضـاً كـافر، وهـو ممن قـال اللـه فيهم:) ستجدون

آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴿ إلى قوله : ﴾ سلطاناً مبيناً ﴿ [سورة النساء، الآية: 91] فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴾ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴿ [سورة النور، الآية: 16].

بل نكفر تلك الأنواع الأربعة، لأجل محادتهم لله ورسوله، فرحم الله امرأً نظر نفسه، وعرف أنه ملاق الله، الذي عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله، وصحبه، وسلم.

(*) تتمة:

الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافاً لفظياً في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين، أي إن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضي في حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المتقضيات، أو وجود بعض الموانع.

وذلك أن الجهل بالمكفر على نوعين:

الأول: أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يـدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن ديناً يخـالف مـا هـو عليـه فهـذا تجـري عليـه أحكـام الظـاهر في الـدنيا، وأمـا في الآخرة فأمره إلى الله تعالى والقول الـراجح أنـه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله عز وجل واللـه أعلم بمـا كـانوا عاملين، لكننـا نعلم أنـه لن يـدخل النـار إلا بـذنب لقولـه تعالى:) ولا يظلم ربك أحداً (. [1]

وإنما قلنا : تجري عليـه أحكـام الظـاهر في الـدنيا وهي أحكام الكفر، لأنـه لا يـدين بالإسـلام فلا يمكن أن يعطى حكمه، وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخـرة لأنـه جـاء في ذلـك آثـار كثـيرة ذكرهـا ابن القيم رحمـه اللـه تعالى في كتابه : " طريـق الهجـرتين " عنـد كلامـه على المذهب الثامن في أطفـال المشـركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة.

النوع الثاني: أن يكون من شخص يـدين بالإسـلام ولكنـه عاش على هذا المكفر ولم يكن يخطر ببالـه أنـه مخـالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجري عليـه أحكـام الإسلام ظاهراً، أما في الآخرة فأمره إلى الله عز وجـل.

وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم:

فمن أدلة الكتاب: قوله تعـالى:) ومـا كنـا معـذبين حـتى نبعث رسولاً (. وقوله:) وما كان ربك مهلك القرى حـتى يبعث في أمها رسولاً يتلـو عليهم آياتنـا ومـا كنـا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون (.

وقوله:) رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكـون للنـاس على الله حجة

---

[1] الكهف : آية : 49.

بعد الرسل(، وقوله:) وما أرسلنا من رسـول إلا بلسـان قومه ليبين لهم فيضل اللـه من يشـاء ويهـدي من يشـاء (. وقوله :)وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حـتى يبين لهم ما يتقون (. وقوله :)وهذا كتاب أنزلناه مبارك فـاتبعوه واتقـوا لعلكم ترحمـون . أن تقولـوا إنمـا أنـزل الكتـاب على طـائفتين من قبلنـا وإن كنـا عن دراسـتهم لغافلين . أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتـاب لكنـا أهـدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدىً ورحمة (إلى غـير ذلـك من الآيـات الدالـة على أن الحجـة لا تقـوم إلا بعـد العلم والبيان.

وأما السنة: ففي صحيح مسلم 1/134 عن أبي هريــرة – رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحـد من هـذه الأمـة (يعـني أمـة الـدعوة) يهـودي ولا نصـراني ثم يمـوت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" .

وأما كلام أهل العلم: فقال في المغـني 8/131: " فـإن كان ممن لا يعـرف الوجـوب كحـديث الإسـلام، والناشـئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفـره". وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة في الفتاوى 3 / 229 مجموع ابن قاسم : " إني دائماً ومن جالسـني يعلم ذلـك مـني من أعظم النـاس نهيـاً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قـامت عليـه الحجـة الرسـالية الـتي من خالفهـا كـان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله تعالى قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلـك يعم الخطـأ في المسائل الخبرية القوليـة، والمسـائل العمليـة، ومـا زال

السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشـهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصـية إلى أن قال : وكنت أبين أن ما نقل عن السـلف والأئمـة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حـق ، لكن يجب التفريـق بين الإطلاق والتعـيين إلى أن قـال: والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القـول تكـذيباً لمـا قاله الرسول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، لكن الرجـل قـد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هـذا لا يكفر بجحد مـا يجحـده حـتى تقـوم عليـه الحجـة، وقـد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنـده معـارض آخـر أوجب تأويلهـا وإن كان مخطئاً " أ. هـ . وقال شـيخ الإسـلام محمـد بن عبـد الوهـاب 1/ـ 56 من الـدرر السـنية: " وأمـا التكفـير فأنـا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعلـه فهـذا هـو الـذي أكفـره " . وفي ص 66 : " وأما الكذب والبهتان فقولهم : إنا نكفـر بالعموم ونوجب الهجرة إلينـا على من قـدر على إظهـار دينـه، فكـل هـذا من الكـذب والبهتـان الـذي يصـدون بـه الناس عن دين اللـه ورسـوله، وإذا كنـا لا نكفـر من عبـد الصنم الذي على عبد القـادر، والصـنم الـذي على أحمـد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم فكيـف نكفر من لم يشرك باللـه إذا لم يهـاجر إلينـا أو لم يكفـر ويقاتل " أ . هـ.

وإذا كـان هـذا مقتضـى نصـوص الكتـاب، والسـنة، وكلام أهـل العلم فهـو مقتضـى حكمـة اللـه تعـالى ولطفـه، ورأفتـه، فلن يعـذب أحـداً حـتى يعـذر إليـه، والعقـول لا تسـتقل بمعرفـة مـا يجب للـه تعـالى من الحقـوق، ولـو كـانت تسـتقل بـذلك لم تتوقـف الحجـة على إرسـال الرسل.

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقـق زوال ذلـك عنـه بمقتضـى الـدليل الشـرعي، ولا يجـوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما:افتراء الكـذب على اللـه تعـالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.
أمـا الأول فواضـح حيث حكم بـالكفر على من لم يكفـره اللـه تعـالى فهـو كمن حـرم مـا أحـل اللـه، لأن الحكم بـالتكفير أو عدمـه إلى اللـه وحـده كـالحكم بـالتحريم أو عدمه.
وأما الثاني فلأنه وصف المسـلم بوصـف مضـاد، فقـال: إنه كافر، مع أنه بريء من ذلك وحري به أن يعـود وصـف الكفر عليه لمـا ثبت في صـحيح مسـلم عن عبـد اللـه بن عمر رضي الله عنهما أن النبي، صلى اللـه عليـه وسـلم، قال: " إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحـدهما " . وفي روايـة: "إن كـان كمـا قـال وإلا رجعت عليـه" . ولـه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ، صـلى اللـه عليـه وسلم ، قال: " ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عـدو: اللـه وليس كذلك إلا حار عليه"ـ يعني رجـع عليـه. وقولـه في حديث ابن عمر: " إن كان كما قال " يعني في حكم اللـه تعالى وكذلك قولـه في حـديث أبي ذر: " وليس كـذلك " يعني في حكم الله تعالى.

وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه ، وهو محـذور عظيم يوشـك أن يقـع به ، لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجباً بعمله محتقـراً لغـيره فيكـون جامعـاً بين الإعجـاب بعمله الذي قد يـؤدي إلى حبوطـه، وبين الكـبر المـوجب لعذاب الله تعـالى في النـار كمـا جـاء في الحـديث الـذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنــه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " قال الله عز وجــل : الكبريــاء ردائي، والعظمــة إزاري، فمن نــازعني واحــداً منهما قذفته في النار" .[1]

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول : دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مكفر لئلا يفتري على الله الكذب.

الثــاني: انطبــاق الحكم على الشــخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته الـتي أوجبت كفره لقوله تعالى :) ومن يشاقق الرسـول من بعـد مـا تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولـه مـا تـولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ([سورة النساء، الآية: 115] . فاشترط للعقوبة بالنار أن تكـون المشـاقة للرسـول من بعد أن يتبين الهدى له.

ولكن هــل يشــترط أن يكــون عالمــاً بمــا يــترتب على مخالفتــه من كفــر أو غــيره أو يكفي أن يكــون عالمــاً بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

الجواب: الثاني، أي إن مجرد علمـه بالمخالفـة كـاف في الحكم بما

---

(1) أخرجه الإمام أحمد ج 2 ص 376، وأبو داود : كتاب اللباس : باب ما جاء في الكبر، وابن ماجه : كتاب الزهد : باب البراءة من الكبر.

تقتضيه لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة ، ولأن الـزاني المحصـن العـالم بتحـريم الـزنى يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه، وربما لو كـان عالماً ما زنى.

ومن الموانـع من التكفـير أن يكـره على المكفـر لقولـه تعالى :) من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبـه مطمئن بالإيمـان ولكن من شـرح بـالكفر صـدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ([سورة النحل، الآية: 106] .

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصـده بحيث لا يـدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضـب، أو خـوف ونحـو ذلك . لقوله تعالى:) وليس عليكم جناح فيما أخطأتم بـه ولكن مـا تعمـدت قلـوبكم وكـان اللـه غفـوراً رحيمـاً ([سورة الأحزاب، الآيـة: 5]. وفي صـحيح مسـلم 2104 عن أنس بن مالك رضي اللـه عنـه أن النـبي، صـلى اللـه عليه وسلم، قال: " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتـوب إليه من أحـدكم كـان على راحلتـه بـأرض فلاة، فـانفلتت منه وعليها طعامه وشـرابه، فـأيس منهـا، فـأتى شـجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا بها قائمـة عنـده، فأخـذ بخطامهـا، ثم قـال من شـدة الفـرح: اللهم أنت عبـدي، وأنـا ربـك، أخطـأ من شـدة الفرح".

ومن الموانع أيضاً أن يكـون لـه شـبهة تأويـل في الكفـر بحيث يظن أنـــه على حـــق، لأن هـــذا لم يتعمـــد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في

قوله تعالى :) وليس عليكم جناح فيما أخطأتم بـه ولكن ما تعمدت قلوبكم ([سورة الأحزاب، الآية: 5]. ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً في قوله تعالى:) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ([سورة البقرة، الآية: 286] قال في المغني 8/131 : " وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك يعني يكون كافراً وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى إلى أن قال: وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا " . وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 13/30 مجموع ابن القاسم: " و بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب" وفي ص 210 منه : " فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم.. وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن " . وقال أيضاً 28/518 من المجموع المذكور : " فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين " لكنه ذكر في 7/217 " أنه لم يكن في الصحابة

من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع". وفي 28/518 " أن هذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره". وفي 3/282 قال: " والخوارج المارقون الذين أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين ، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم على حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص، والإجماع، لم يكفروا مع أمر الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه". إلى إن قال: " وإذا كان المسلم متأولاً في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك" إلى أن قال في ص288 : " وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره .. والصحيح ما دل عليه القرآن في

وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما كـان يظن المشركون خصوصـاً إن ألهمـك اللـه تعـالى مـا قص عن قوم موسـى مـع صـلاحهم وعلمهم أنهم أتـوه قـائلين:) اجعل لنـا إلهـاً لهم آلهة(فحينئـذ يعظم خوفـك وحرصـك على ما يخلصك من هذا وأمثاله [1].

قولـه تعـالى:) ومـا كنـا معـذبين حـتى نبعث رسـولاً (. وقوله:) رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكـون للنـاس على الله حجة بعد الرسل (. وفي الصحيحين عن النبي، صـلى الله عليه وسلم: "ما أحـد أحب إليـه العـذر من اللـه، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين"[1].

والحاصـل أن الجاهـل معـذور بمـا يقولـه أو يفعلـه ممـا يكون كفراً، كما يكون معـذوراً بمـا يقولـه أو يفعلـه ممـا يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبـار، وأقوال أهل العلم.

(1) حينما حذر الشيخ رحمه الله من أمرين أحدهما خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنه هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتـدبير بين رحمه اللـه أن الـواجب على الإنسـان أن يكـون على خـوف دائمـاً،ثم يـذكر حـال القـوم الـذين قـالوا لموسـى:)اجعـل لنـا إلهـاً كمـا لهم آلهـة قـال إنكم قـوم تجهلـون . إن هـؤلاء متـبر مـا هم فيـه وباطـل مـا كـانوا يعملون (فبين لهم أن سؤالهم أن يجعـل لهم آلهـة كمـا كان هـؤلاء لهم آلهـة من الجهـل فهـذا يـؤدي إلى خـوف الإنسان على نفسه من أن يتيه في الضلالات والجهالات حيث يظن أن معـنى " لا إلـه إلا اللـه " أي لا خـالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله عز وجـل وهـذا الـذي قـال الشـيخ رحمه اللـه وحـذر منـه وقـع فيـه عامـة المتكلمين الـذي تكلموا

---

(1) البخاري: كتاب التوحيد: باب قـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم : (لا شـخص أغير من الله)، ومسلم : كتاب اللعان.

واعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهـذا التوحيـد إلا جعل له أعداء كما قال الله تعالى:)وكذلك جعلنا لكـل نــبي عــدواً شــياطين الإنس والجن يــوحي بعضــهم إلى بعض زخرف القول غروراً(.[1]

في التوحيد حيث قالوا : إن معنى " لا إله إلا الله " أي لا مخـترع ولا قـادر على الاخـتراع إلا اللـه ففسـروا هـذه الكلمــة العظيمــة بتفســير باطــل لم يفهمــه أحــد من المسلمين، بل ولا غير المسلمين حتى المشركون الذين بعث فيهم رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، كـانوا يعرفـون معـنى هـذه الكلمـة أكـثر ممـا يعرفهـا هـؤلاء المتكلمون.

(1) (1) نبه المؤلف رحمه اللـه تعـالى في هـذه الجملـة على فائـدة عظيمة حيث بين أن من حكمة الله عز وجل أنه لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء من الإنس والجن، وذلـك أن وجـود العدو يمحص الحق ويبينه فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر، وهذا الـذي جعلـه اللـه تعـالى للأنبيـاء جعلـه أيضاً لأتبـاعهم فكـل أتبـاع الأنبيـاء يحصـل لهم مثـل مـا يحصل للأنبياء قال اللـه تعـالى :) وكـذلك جعلنـا لكـل نــبي عــدواً شــياطين الإنس والجن يــوحي بعضــهم إلى بعض زخرف القول غروراً (وقال:) وكـذلك جعلنـا لكـل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً(فـإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل وأتباعهم وعلى ما جاؤوا به بأمرين:

الأول : التشكيك.

الثاني: العدوان.

أمـا التشـكيك فقـال اللـه تعـالى في مقابلتـه :) وكفى بربك هادياً (لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء.

وقد يكون لأعداء التوحيد علـوم كثـيرة وكتب وحجج كمـا قال الله تعالى:) فلما جاءتهم رسـلهم بالبينـات فرحـوا بما عندهم من العلم ([1].

وأما العدوان فقال اللـه تعـالى في مقابلتـه): ونصـيراً (لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء.

فاللـه تعـالى يهـدي الرسـل وأتبـاعهم وينصـرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء، فعلينـا أن لا نيـأس لكثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق فإن الحق كمـا قـال ابن القيم رحمه الله :

الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

فلا يجـوز لنـا أن نيـأس بـل علينـا أن نطيـل النفس وأن ننتظـر وسـتكون العاقبـة للمتقين، فالأمـل دافـع قـوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها، كما أن اليـأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة.

(1) (1) يعـني أن أعـداء الرسـل الـذين يجـادلونهم ويكـذبونهم قـد يكـون عنـدهم علـوم كثـيرة وكتب وشـبهات يسـمونها " حججـاً " يلبسـون بهـا على النـاس فيلبسـون الحـق بالباطـل كمـا قـال تعـالى:)فلما جاءتهم رسـلهم بالبينـات فرحـوا بمـا عنـدهم من العلم وحاق بهم ما كانوا بـه يسـتهزئون(. وهـذا الفرح مذموم، لأنه فرح بغير ما يرضي اللـه فيكـون من الفرح المذموم.

وأشار المؤلف رحمـه اللـه تعـالى بهـذه الجملـة إلى أنـه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلـوم والشـبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم وهذا من هدي النبي، صـلى الله عليه وسلم، ولهذا لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: " إنك تأتي قوماً أهل كتاب " [1]. وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عنـدهم من الكتـاب حـتى يـرد عليهم بمـا جاؤوا به.

([1] أحمد ج -2ص 230 وأبو داود (1576).

إذا عرفت ذلك،وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه،أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل): لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين(.[1] [1]

---

(1) (1) إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها، الحق بالبطل فعليك أن تستعد لهم، والاستعداد لهم يكون بأمرين:

أحدهما : ما أشار إليه المؤلف رحمه الله بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء وباطلهم.

الثاني: أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه درء تعارض النقل والعقل، قال : " إنه من إنسان يأتي بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له".

وهذا الأمر كما قال رحمه الله فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة عليه وليست حجة له، فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد أن يلاحظ هذين الأمرين:

الأمر الأول: أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به.

والأمر الثاني: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بها على هؤلاء.

([1] الأعراف: الآيتان : 16-17 .

ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن) إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ([1].
(1)-

والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى:) وإن جندنا لهم الغالبون ([سورة الصافات، الآية: 173] (2)-

---

(1) (1) يريد المؤلف رحمه الله أن يشجع من أقبل على الله تعالى وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل ، لأنها حجج واهية وهي من كيد الشيطان وقد قال الله تعالى:) إن كيد الشيطان كان ضعيفاً (.
وفي ذلك يقول القائل:
حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور
(2) (2) قال الشيخ رحمه الله تعالى: والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين واستدل بقوله تعالى :) وإن جندنا لهم الغالبون (العامي من الموحدين يعني من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات) يغلب ألفاً من علماء المشركين، لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون الله عز وجل توحيداً ناقصاً حيث إنهم لا يوحدونه إلا بتوحيد الربوبية فقط، وهذا توحيد ناقص ليس هو توحيداً في الحقيقة بدليل أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قاتل المشركين الذين يوحدون الله هذا التوحيد، ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم به دماؤهم وأموالهم ، والعامي من الموحدين يقر بأنواع التوحيد الثلاثة:
توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فيكون خيراً من هؤلاء.

---

[1] النساء: آية : 76.

وجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان [1]

---

(1) (1)

أشار المؤلف رحمه الله إلى أن جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين:

الأول: الحجة والبيان وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان .

الثاني:من يجاهد بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفي هذا والذي قبله يقول الله عز وجل: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ .

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولاً ، ثم يجاهدون بالسيف والسنان ثانياً، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم.

والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا، بل أن يهاجموا إذا أمكن، بمثل ما يحاربون به الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة.

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح[1] .
وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله :) تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين([2]– [سورة النحل، الآية: 89].

---

(1) (1) أي إن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، لأنه ليس له علم يتسلح به فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ويفحم به الخصم ، لأن المجادل يحتاج إلى أمرين:
الأول: إثبات دليل قوله.
الثاني: إبطال دليل خصمه.
ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق، وما عليه خصمه من الباطل ليتمكن من دحض حجته.
(2) (2) من الله علينا بكتابه العزيز الذي) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ([سورة فصلت ، الآية : 42] وجعله سبحانه وتعالى تبياناً أي مبيناً لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم ثم إن تبيان القرآن للأشياء ينقسم إلى قسمين:
الأول: أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تبارك وتعالى:) حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ([سورة المائدة، الآية: 3] وقوله تعالى:) حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من

الرضاعة وأمهات نسائكم وربـائبكم اللاتي في حجـوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنـائكم الـذين من أصـلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن اللـه كـان غفـوراً رحيماً* والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب اللـه عليكم وأحـل لكم مـا وراء ذلكم ([سـورة النسـاء، الآيتان: 23-24].

الثاني : أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان مثل قوله تعالى:) وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة (فأشـار اللـه تعـالى إلى الحكمـة الـتي هي السـنة، فإنهـا تـبين القرآن وكـذلك قولـه تعـالى :) فاسـألوا أهـل الـذكر إن كنتم لا تعلمـون ([سـورة النحـل، الآيـة: 43] وأيضـاً [سورة الأنبياء ، الآية: 7].

فهذا يبين أننا نرجع في كـل شـيء إلى أهلـه الـذين هم أهل الذكر به ولهذا يـذكر أن بعض أهـل العلم أتـاه رجـل من النصارى يريد الطعن في القـرآن الكـريم وكـان في مطعم فقال له هذا النصراني: أين بيان كيف يصـنع هـذا الطعام؟ فدعا الرجل صاحب المطعم وقال له : صف لنـا كيف يصنع هذا الطعام؟ فوصـفه، فقـال: هكـذا جـاء في القرآن.

فتعجب النصراني. وقال: كيف ذلك؟ فقال: إن اللـه عـز وجـل يقـول:) فاسـألوا أهـل الـذكر إن كنتم لا تعلمـون (فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهـل العلم بهـا ، وهـذا من بيـان القـرآن بلا شـك فالإحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم.

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن مـا ينقضـها ويـبين بطلانهـا، كمـا قـال تعـالى:) ولا يأتونـك بمثـل إلا جئنـاك بـالحق وأحسـن تفسـيراً ([1]– [سـورة الفرقـان، الآية: 33].

قال بعض المفسرين .هذه الآية عامة في كل حجة يـأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامـة، وأنـا أذكـر لـك أشـياء مما ذكر الله في كتابـه جوابـاً لكلام احتج بـه المشـركون في زماننا علينا[2] .

---

(1) (1) لا يأتي مبطل بحجة على باطله إلا وفي القرآن ما يبين هذه الحجـة الباطلـة، بـل إن كـل صـاحب باطـل استدل لباطلـه بـدليل صـحيح من الكتـاب والسـنة فهـذا الدليل يكون دليلاً عليه كما ذكر شيخ الإسلام رحمه اللـه تعالى في مقدمة كتابه درء تعارض النقل والعقل أنه ما من صاحب بدعة وباطل يحتج لباطله بشـيء من الكتـاب أو من السـنة الصـحيحة إلا كـان ذلـك الـدليل دليلاً عليـه وليس دليلاً له.

(2) (2) قال المؤلف رحمه الله مستدلاً على أن الرجل الموحد ستكون له حجة أبلغ وأبين من حجة غير الموحـد مهما بلـغ من الفصـاحة والبيـان كمـا قـال تعـالى:) ولا يأتونك بمثـل إلا جئنـاك بـالحق وأحسـن تفسـيراً (أي لا يأتونك بمثل يجادلونـك بـه ويلبسـون الحـق بالباطـل إلا جئناك بـالحق وأحسـن تفسـيراً ولهـذا تجـد في القـرآن كثيراً ما يجيب الله تعـالى عن أسـئلة هـؤلاء المشـركين وغيرهم ليبين عز وجل للناس الحق، وسيكون الحق بيناً لكل أحد.

ولكن هاهنـا أمـر يجب التفطن لـه وهـو: أنـه لا ينبغي للإنسان أن

فنقـول : جـواب أهـل الباطـل من طـريقين: مجمـل، ومفصـل، أمـا المجمـل: فهـو الأمـر العظيم والفائـدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعـالى:) هـو الـذي أنـزل عليـك الكتـاب منـه آيـات محكمـات هن أم الكتـاب وأخـر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا اللـه ([1] [سورة آل عمران، الآية: 7].

يـدخل في مجادلـة أحـد إلا بعـد أن يعـرف حجتـه ويكـون مستعداً لـدحرها والجـواب عنهـا، لأنـه إذا دخـل في غـير معرفـة صـارت العاقبـة عليـه، إلا أن يشـاء اللـه كمـا أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسـلاح وشـجاعة، ثم ذكـر المؤلـف رحمـه اللـه أنـه سـيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجـوا بهـا على شيخ الإسلام رحمه الله ويكشف هذه الشبهات لأنهـا في الحقيقة ليست حججاً، ولكنها تشبيه وتلبيس.

(1) (1) بين رحمـه اللـه تعـالى أنـه سـيجيب على هـذه الشبهات بجوابين:

أحدهما: مجمل عام صالح لكل شبهة.

الثـاني: مفصـل، وهكـذا ينبغي لأهـل العلم في بـاب المناظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمـل حـتى يشـمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون ويـأتي بجـواب مفصـل لكـل مسـألة بعينهـا قـال اللـه تعـالى:) كتـاب أحكمت آياتـه ثم فصـلت من لـدن حكيم خبـير ([سـورة هود، آية: 1] فذكر في الجواب المجمل رحمـه اللـه : أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيـغ كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليـه وسـلم في قولـه تعالى:) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات

وقد صح [1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم".
مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين:) ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(وإن الشفاعة حق ، وإن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي، صلى الله عليه وسلم، يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون .. ([سورة آل عمران، آية:7] .
ولهذا تجد أهل الزيغ والعياذ بالله يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلاً قال الله تعالى كذا وقال في موضع آخر كذا؟ فكيف يكون وهذا مثل ما حصل لنافع بن الأزرق مع ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في الإتقان وربما يكون غيره ذكرها وهي مفيدة ننقلها لتعرف كيف لبس أهل الباطل الحق.
(1) قال الشيخ رحمه الله : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم" [1]
استدل المؤلف رحمه الله بهذا الحديث على أن الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على باطله فهؤلاء هم الذين سماهم الله ووصفهم بقوله:) فأما الذين في قلوبهم زيغ (الآية ثم أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بالحذر منهم

([1] البخاري: كتاب التفسير- سورة آل عمران، ومسلم: العلم: باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.

وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم:) هؤلاء شفعاؤنا عند الله ([سورة يونس، الآية: 18] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه [1].

فقال : احذروهم من أن يضلوكم عن سبيل الله باتباع هذا المتشابه واحذروا طريقهم أيضاً فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقهم والتحذير منهم أيضاً، ثم ضرب المؤلف لهم مثلاً بأن يقول لك المشرك : أليس الله يقول:)ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(أوليس للأولياء جاه عند الله سبحانه وتعالى؟ أوليست الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة ؟ وما أشبه ذلك من هذه الأشياء فقل: نعم كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل على أن تشرك بهؤلاء الأولياء، أو بهؤلاء الرسل، أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله عز وجل ودعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا مبطل وما أنت إلا من الذين قال الله فيهم:) فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه (ولو أنك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه.

(1) ذكر المؤلف رحمه الله كيف نرد المتشابه إلى المحكم أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيماناً لا شك فيه عندهم ولكنهم يعبدون الملائكة وغيرهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومع هذا كانوا مشركين استباح النبي، صلى الله عليه وسلم، دماءهم وأموالهم وهذا نص محكم لا اشتباه فيه دال على أن الله لا شريك له في ألوهيته وفي عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته وملكه، وأن من

وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي، صلى الله عليه وسلم، لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يخالف كلام الله[1] .

أشرك بالله في ألوهيته فهو مشرك وإن وحده في الربوبية.

(1) (1) قوله رحمه الله : ما ذكرت أيها المشرك من كلام الله تعالى وكلام رسوله لا أعرف معناه، ولكنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لا يخالف كلام الله، يريد بقوله: " لا أعرف معناه" أي لا أعرف معناه الذي أنت تدعيه، وإنني أنكره ولا أقر به، لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يخالف كلام الله، قال تعالى:) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ([سورة النساء، الآية: 82]، وقال تعالى:) ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ([سورة النحل، الآية: 89] وقال تعالى:) لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ([سورة النحل، الآية: 44]، وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يخالف كلام الله، وكذلك كلام الله لا يناقض بعضه بعضاً، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه لا شريك له، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله "[1] إلى آخر الحديث، وهذا كله يؤيد بعضه بعضاً، ويدل على أن الله تعالى ليس له شريك في الألوهية كما أنه ليس له شريك في الربوبية.

([1] البخاري: الإيمان: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام على خمس" ، ومسلم :كتاب الإيمان : باب بيان أركان الإسلام.

وهذا جواب جيد سديد [1]– ولكن لا يفهمه [2]إلا من وفقه الله فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالى:) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ([سورة فصلت،آية:35].

وأما الجواب المفصل [3]– فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه، منها: قولهم : نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره.

---

(1) (1)

قوله رحمه الله : (وهذا جواب جيد سديد) يعني قول الإنسان لخصمه : إن كلام الله تعالى لا يتناقض، وإن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف كلام الله، وإن الواجب رد المتشابه إلى المحكم، فهذا أجاب بجواب سديد أي ساد لمحله لا يمكن لأحد أن يناقضه، أو يرد عليه ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الدليلين: السمعي، والعقلي وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه.

(2) (2)

قوله:(ولكن لا يفهمه) إلى آخره يعني أن هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه الله فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ثم استدل لذلك بقوله تعالى:) وما يلقاها إلا الذين صبروا (أي ما يوفق للدفع بالتي هي أحسن.

(3) (3)

قوله رحمه الله تعالى : أما الجواب المفصل ... إلخ الجواب الأول كان مجملاً يرد به الإنسان علي كل شبهة، ثم هناك جواب مفصل أي مميز بعضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها.

ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم، فجاوبه بما تقدم وهو: أن الذين قاتلهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مقرون بما ذكرت، ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة[1] واقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه ووضحه[2].

فإذا قال لك المشرك: أنا لا أشرك بالله، بل أشهد أنه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عمن دونه صلى الله عليه وآله وسلم ، كعبد القادر يعني ابن موسى الجيلاني على خلاف في اسم أبيه كان من كبار الزهاد والمتصوفين ولد سنة 471 بجيلان وتوفي سنة 561 في بغداد وكان حنبلي المذهب ، وهذا هو التوحيد، فهذه شبهة يلبس بها ولكنها شبهة داحضة لا تفيده شيئاً .

(1) (1) قوله : (ولكن أنا مذنب) إلخ هذا بقية كلام المشبه، فأجبه بأن ما ذكرت هو ما كان عليه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم ونساءهم وأموالهم، ولم يغنهم هذا التوحيد شيئاً.

(2) (2) قوله:" واقرأ عليهم ما ذكر الله تعالى في كتابه ووضحه" يريد بذلك أن تقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه من توحيد الألوهية فإنه جل وعلا أبدأ فيه وأعاد وكرر من أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم فقال تعالى:) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ([سورة الأنبياء،الآية: 25]، وقال تعالى:) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ([سورة الذاريات، الآية: 56]، وقال تعالى:) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط

فإن قال: هؤلاء [1] الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم.
فإنه إذا [2] أقر أن الكفار يشـهدون بالربوبيـة كلهـا للـه، وأنهم ما أرادوا ممن قصـدوا إلا الشـفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره.

لا إله إلا هو العزيـز الحكيم ([سـورة آل عمـران: الآيـة: 18] وقال تعالى:) وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الـرحيم([سـورة البقـرة، الآيـة : 163] وقـال تعـالى:) فإياي فاعبدون ([سورة العنكبوت، الآية: 56] إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد الله عز وجل في عبادته، وأن لا يعبد أحد سواه، فإذا اقتنع بذلك فهـذا هو المطلوب وإن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليـه قـول اللـه تعـالى :) وجحـدوا بهـا واسـتيقنتها أنفسـهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين([سـورة النمل، الآية: 14].

(1) (1)
قوله: فإن قال : " هؤلاء" يعني أهل الشرك هذه الآيـات نـزلت في المشـركين الـذين يعبـدون الأصـنام، وهـؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام.
فجوابه بما تقدم أي بأن كل من عبد غير الله فقـد جعـل معبوده وثناً فأي فرق بين من عبد الأصنام وعبد الأنبيـاء والأولياء ؟! إذ إن الجميع لا يغني شيئاً عن عابديه.
(2) يقول: " فإنـه " أي هـذا القائـل يعلم أن المشـركين قد أقروا بالربوبية، وأن الله سبحانه وتعالى هو رب كـل شيء وخالقـه ومالكـه، ولكنهم عبـدوا هـذه الأصـنام من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم فقد أقر

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصــنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم)أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب (ويـدعون عيسـى ابن مريم وأمه وقد قـال اللـه تعـالى:) مـا المسـيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبلـه الرسـل وأمـه صـديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيـات ثم انظـر أنى يؤفكون .قل أتعبدون من دون اللـه مـا لا يملـك لكم ضـراً ولا نفعـاً واللـه هـو السـميع العليم ([1]– [سـورة المائدة، الآيتان 75-76]

بـأن مقصـودهم كمقصـوده ومـع ذلـك لم ينفعهم هـذا الاعتقاد كما سبق.

(1) (1)

قولـه: " فـاذكر لـه " جـواب قولـه: " فإنـه إذا أقـر أن الكفار" إلخ يعني فـاذكر لـه أن هـؤلاء المشـركين منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة كما أنت كذلك موافــق لهم في المقصــود، ومنهم من يعبــد الأوليــاء كمــا أنت كذلك موافـق لهم في المقصـود والمعبـود. ودليـل أنهم يدعون الأولياء قوله تعالى:) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقـرب(وكـذلك يعبـدون الأنبيـاء كعبـادة النصـارى المسـيح ابن مـريم، وكـذلك يعبـدون الملائكـة كقولـه تعـالى :) ويـوم يحشـرهم جميعـاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (الآيـة، فتـبين بـذلك الجـواب عن تلبيسـه بكـون المشـركين يعبـدون الأصنام وهو يعبد الأولياء والصالحين من وجهين:

الوجــه الأول: أنــه لا صــحة لتلبيســه لأن من أولئــك المشركين من يعبد الأولياء والصالحين.

الوجه الثاني: لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون إلا الأصنام فلا فرق بينه وبينهم لأن الكل عبــد من لا يغـني عنه شيئاً.

واذكرله قوله تعالى:) ويـوم يحشـرهم جميعـاً ثم يقـول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبـدون. قـالوا سـبحانك أنت ولينـا من دونهم بـل كـانوا يعبـدون الجن أكـثرهم بهم مؤمنون ([1] [سورة سبأ ،الآيتان : 40، 41] .

وقوله تعالى :) وإذ قال اللـه يـا عيسـى ابن مـريم أأنت قلت للنـاس اتخـذوني وأمي إلهين من دون اللـه قـال سبحانك ما يكون لي أن أقول مـا ليس لي بحـق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسـي [2]– ولا أعلم مـا في نفسـك إنـك أنت علام الغيـوب ([سـورة المائـدة، آيـة: 116] .

فقل له: [3]. أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله، صلى اللـه عليه وسلم؟.

---

(1) (1) قوله: " واذكر له قوله تعالى:) ويوم يحشـرهم جميعاً ثم يقول للملائكة (الآيـتين " هـذه معطوفـة على قولـه سـابقاً: " فـاذكر لـه أن الكفـار منهم من يـدعو الأصـنام " إلخ. والمقصـود من هـذا أن يتـبين لـه أن من الكفـار من يعبـد الأصـنام" إلخ. والمقصـود من هـذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبـد الملائكـة وهم من خيـار خلق الله وأوليائه فيبطل تلبيسه بـأن الفـرق بينـه وبين الكفار أنه هو يدعو الصالحين والأولياء، والكفار يعبـدون الأصنام من الأحجار ونحوها.

(2) (2) قوله: " وقوله تعالى :) وإذ قال الله يا عيسـى ابن مريم (" الآية. أي واذكر له قولـه تعـالى:) وإذ قـال الله يا عيسـى (إلخ لتلقمـه حجـراً في أن الكفـار كـانوا يعبدون الأوليـاء والصـالحين فلا فـرق بينـه وبين أولئـك الكفار.

(3) (3) قوله: " فقل له " إلخ أي قل ذلـك مبينـاً لـه أن الله سبحانه وتعالى كفر

فإن قال: [1] الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.
فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى:) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ([سورة الزمر، الآية: 3] وقوله تعالى:)ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (.

من عبد الصالحين، ومن عبد الأصنام، والنبي صلى الله عليه وسلم، قاتلهم على هذا الشرك ولم ينفعهم أن كان المعبودون من أولياء الله وأنبيائه.
(1) (1) قوله: " فإن قال " يعني هذا المشرك الكفار يريدون منهم أي يريدون أن ينفعوهم أو يضروهم وأنا لا أريد إلا من الله، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وأنا لا أعتقد فيهم ولكن أتقرب بهم إلى الله عز وجل ليكونوا شفعاء.
فقل له: وكذلك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم، هم لا يعبدون هؤلاء الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى عنهم :) ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (وقال:) ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فتكون حاله كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء.

واعلم: أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها [1] .

---

(1) (1) قوله رحمه الله تعالى: " هذه الشبه الثلاث " :
الشبهة الأولى: قولهم: " إننا لا نعبد الأصنام إنما نعبد الأولياء".
الشبهة الثانية: قولهم: " إننا ما قصدناهم وإنما قصدنا الله عز وجل في العبادة".
الشبهة الثالثة: قولهم: " إننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا، فإن النفع والضرر بيد الله عز وجل، ولكن ليقربونا إلى الله زلفى، فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك، يعني فنحن لا نشرك بالله سبحانه وتعالى" .
فإذا تبين لك انكشاف هذه الشبه فانكشاف ما بعدها من الشبه أهون وأيسر لأن هذه من أقوى الشبه التي يلبسون بها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.
فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله [1] وهو حقه عليك، فإذا قال : نعم. فقل له : بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها.
فبينها له بقولك : قال الله تعالى :) ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ([سورة الأعراف، الآية: 55] فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادة لله فلابد أن يقول : نعم، والدعاء مخ العبادة[2].

---

(1) إذا قال هذا الرجل المشبه : أنا لست أعبدهم كما أعبد الله عز وجل والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة فهذه شبهة.
وجوابها أن تقول: إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده.
فإذا قال: نعم، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له؟ فإما أن يعرف ذلك، وإما أن لا يعرف، فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عبادة.

(2) قوله: "فبينها له" أي بين له أنواع العبادة فقل له: إن الله يقول:) ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين (والدعاء عبادة، وإذا كان عبادة فإن دعاء غير الله يكون إشراكاً بالله عز وجل وعلى هذا فالذي يستحق أن يدعى ويعبد ويرجى هو الله وحده لا شريك له.

فقــل لــه:[1] إذا أقــررت أنهــا عبــادة، ودعــوت اللــه ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعــاً ثم دعـوت في تلـك الحاجـة نبيـاً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابـد أن يقـول: نعم . فقل له : إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [سورة الكوثر، الآية: 2] وأطعت الله ونحرت له، هذا عبادة ؟ فلابد أن يقول: نعم.
فقل له : إذا نحرت لمخلوق نبي، أو جني أو غيرهما هـل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلابد أن يقر ويقول : نعم.
وقل له أيضـاً [2]: المشـركون الـذين نـزل فيهم القـرآن، هل كانوا

---

(1) (1) قوله: " فقل له " الخ، يعني إذا بينت أن الـدعاء عبادة وأقر به فقل له: ألست تدعو الله تعالى في حاجة ثم تـدعو في تلـك الحاجـة نفسـها نبيـاً أو غـيره فهـل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابـد أن يقـول : نعم لأن هذا لازم لا محالة. هذا بالنسبة للدعاء.
ثم انتقل المؤلـف رحمـه اللـه إلى نـوع آخـر من العبـادة وهو النحر قال: فقل له : إذا علمت بقول اللـه تعـالى: ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ وأطعت الله ونحرت لـه أهـذا عبـادة؟ فلابـد أن يقـول: نعم فقـد اعـترف أن النحـر للـه تعـالى عبـادة وعلى هـذا يكـون صـرفه لغـير اللـه شـركاً، قـال المؤلف رحمه اللـه مقـرراً ذلـك: " فقـل لـه : إذا نحـرت لمخلوق" إلخ وهذا إلزام واضح لا محيد عنه.
(2) قولـه : " وقـل لـه أيضـاً : المشـركون " إلخ انتقـل المؤلف رحمه الله تعالى إلى إلزام آخر سـبقت الإشـارة إليـه وهـو أن يسـأل هـذا المشـبه هـل كـان المشـركون يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك فلابد أن

يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلـك؟ فلابـد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كـانت عبـادتهم إيـاهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الـذي يـدبر الأمـر، ولكن دعـوهم والتجـؤوا إليهم للجـاه والشـفاعة، وهـذا ظـاهر جداً.

فإن قـال: أتنكـر شـفاعة رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسلم، وتبرأ منها ؟ فقل:لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو صلى الله عليه وسلم، الشافع المشفع وأرجو شــفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله، كما قال الله تعـالى:) قـل للـه الشفاعة جميعاً ([1] [سورة الزمر، الآية: 44].

يقول: نعم. فيسأل مـرة أخـرى: هـل كـانت عبـادتهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك مع إقرارهم بأنهم عبيد الله وتحت قهره وأن الله هو الذي يــدبر الأمــر لكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة كمـا سـبق وهـذا ما وقع فيه المشبه تماماً.

(1) (1) قوله: " فإن قال " يعني إذا قـال لـك المشـرك المشبه : هل تنكر شفاعة النـبي صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم وهو يقـول هـذا من أجـل أن يلزمـك بجـواز دعـاء النبي صلى الله عليه وآلـه وسـلم عسـى أن يشـفع لـك عند الله إذا دعوته. فقل لـه: لا أنكـر هـذه الشـفاعة ولا أتبرأ منها، ولكني أقول : إن الشفاعة لله ومرجعها كلها إليه وهو الذي يأذن فيها إذا شاء ولمن شـاء لقـول اللـه تعـالى:) قـل للـه الشـفاعة جميعـاً لـه ملـك السـموات والأرض ([سورة الزمر، الآية: 44].

ولا تكون إلا بعد إذن الله كما قال عز وجل): من ذا الـذي يشفع عنده إلا بإذنه ([سورة البقـرة ، الآيـة : 255] ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيـه [1] كمـا قـال عز وجل)ولا يشفعون إلا لمن ارتضـى (وهـو لا يرضـى إلا التوحيد كما قال عز وجـل:) ومن يبتـغ غـير الإسـلام ديناً فلن يقبل منه (.

فإذا كـانت الشـفاعة كلهـا اللـه [2] ولا تكـون إلا من بعـد إذنه، ولا يشفع النبي، صلى الله عليـه وسـلم، ولا غـيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يـأذن إلا لأهـل التوحيـد، تبين لك أن الشـفاعة كلهـا للـه فاطلبهـا منـه، فـأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.

---

(1) (1) قولـه: " ولا تكـون إلا بعـد إذن اللـه " إلخ. بين رحمه الله أن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول : أن يأذن اللـه بهـا لقولـه تعـالى:) من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه(.

الشـرط الثـاني: أن يرضـى اللـه عـز وجـل عن الشـافع والمشفوع له، لقوله تعالى:) يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ([سورة طـه، الآيـة: 109]، ولقول الله تعالى:) ولا يشـفعون إلا لمن ارتضـى وهم من خشيته مشـفقون ([سـورة الأنبيـاء،الآيـة: 28] ومن المعلوم أن الله لا يرضـى إلا بالتوحيـد ولا يمكن أن يرضى الكفر لقوله تعـالى:) إن تكفـروا فـإن اللـه غـني عنكم ولا يرضـى لعبـاده الكفـر وإن تشـكروا يرضـه لكم ([سورة الزمر، الآية:7] فإذا كان لا يرضـى الكفـر فإنـه لا يأذن بالشفاعة للكافر.

(2) قولـه: " فـإذا كـانت الشـفاعة كلهـا للـه " إلخ أراد المؤلف رحمه الله تعالى

فإن قال:[1] النبي صلى الله عليه وسلم أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله؟

فـالجواب: أن اللـه أعطـاه الشـفاعة ونهـاك عن هـذا فقال :) فلا تدعوا مع الله أحـداً ([سـورة الجن، الآيـة: 18] فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيـك فأطعـه في قوله:) فلا تدعوا مـع اللـه أحـداً (وأيضـاً فـإن الشـفاعة أعطيهـا غـير النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فصـح أن الملائكـة يشـفعون، والأوليـاء يشـفعون، والأفـراط يشـفعون، أتقـول: إن اللـه أعطـاهم الشـفاعة فأطلبهـا منهم؟

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكـر اللـه في كتابـه، وإن قلت:لا بطـل قولـك: "أعطـاه اللـه الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله".

أنه إذا كانت الشفاعة لله، ولا تكـون إلا بإذنـه، ولا تكـون إلا لمن ارتضى ولا يرضى إلا التوحيد لـزم من ذلـك أن لا تطلب الشفاعة إلا من الله تعالى لا من النبي، صلى الله عليـه وسـلم فيقـول : اللهم شـفع في نبيـك اللهم لا تحرمني شفاعته وأمثال ذلك.

(1) (1)

قوله: " فإن قال " أي المشرك الذي يدعو رسـول اللـه، صلى الله عليه وسلم، إن الله أعطى محمـداً صـلى اللـه عليه وآله وسلم الشفاعة فأنا أطلبها منه.

فالجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تشـرك بـه في دعائه فقال:) فلا تدعوا مع الله أحداً(.

الثاني: أن الله سبحانه وتعـالى أعطـاه الشـفاعة ولكنـه صلى الله عليه وسلم، لا يشفع إلا بإذن اللـه، ولا يشـفع إلا لمن ارتضاه الله، ومن كان

مشركاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالى:) ولا يشفعون إلا لمن ارتضى (.
الثالث: أن الله تعالى أعطى الشفاعة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، فقل له: هل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء؟ فإن قال: لا فقد خصم وبطل قوله وإن قال: نعم . رجع إلى القول بعبادة الصالحين، ثم إن هذا المشرك المشبه ليس يريد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع له ، ولو كان يريد ذلك لقال : " اللهم شفع في نبيك محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" ولكنه يدعو الرسول مباشرة ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحد عند الله سبحانه وتعالى؟!
وقال المؤلف : " إن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون " سنده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي رواه مسلم مطولاً وفيه فيقول الله عز وجل : " شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون " [1] الحديث.
وقوله : " والأفراط يشفعون" الأفراط هم الذين ماتوا قبل البلوغ وسنده حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: " لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم" أخرجه البخاري وله عنه وعن أبي سعيد من حديث آخر " لم يبلغوا الحنث " .

---

(1) مسلم: كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية.

فـإن قـال: أنـا لا أشـرك باللـه شـيئاً حاشـا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.
فقل لـه : إذا كنت تقـر أن اللـه حـرم الشـرك أعظم من تحريم الـزنى ، وتقـر أن اللـه لا يغفـره، فمـا هـذا الأمـر الذين حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري [1] .
فقــل لــه: كيــف تــبرىء نفســك [2]من الشــرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنـه لا يغفـره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمـه ولا يبينـه لنا؟

---

(1) (1) إذا قال هذا المشرك : أنا لا أشرك بالله شيئاً، والالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.
فجوابه: أن يقال له : ألسـت تقـر أن اللـه حـرم الشـرك أعظم من تحـريم الـزنى، وأن اللـه لا يغفـره فمـا هـذا الشرك ؟ فإنه سوف لا يدري ولا يجيب بالصـواب مـا دام يعتقد أن طلب الشفاعة من رسول الله صلى الله عليــه وآلـه وسـلم ليس بشـرك فهـو دليـل على أنـه لا يعـرف الشرك الذي عظمه الله تعالى وقـال فيـه: ﴿ إن الشـرك لظلم عظيم ﴾ [سورة لقمان، الآية: 13].
(2) (2) قوله: " فقل له : كيف تـبرئ نفسـك" إلخ يعـني إذا بـرأ نفســه من الشــرك بلجوئــه إلى الصــالحين فجوابــه من وجهين:
الأول: أن يقال : كيف تبرئ نفســك من الشــرك وأنت لا تعرفه؟
وهل الحكم على الشيء إلا بعـد تصـوره فحكمـك بـبراءة نفســك من الشــرك وأنت لا تعلمــه حكم بلا علم فيكـون مردوداً ؟
الوجه الثاني: أن يقال : لماذا لا تسأل عن الشرك الــذي حرمه الله تعالى

فإن قال : الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصـنام.
فقل له : ما معنى عبادة الأصـنام؟ أتظن أنهم يعتقـدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق، وترزق، وتـدبر أمـر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن [1].
وإن قال: [2]هو من قصد خشـبة ، أو حجـراً، أو بنيـة على قبر أو غيره، يـدعون ذلـك ويـذبحون لـه ويقولـون : إنـه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنـا ببركتـه أو يعطينـا ببركته.
فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية الـتي على القبور وغيرها. فهذا أقر أن فعلهم هـذا هـو عبـادة الأصنام فهو المطلوب.

أعظم من تحـريم قتـل النفس والـزنى وأوجب لفاعلـه النار وحرم عليه الجنة؟ أتظن أن الله حرمـه على عبـاده ولم يبينه لهم؟ حاشاه من ذلك.

(1) يعـني إذا قـال لـك المشـرك المشـبه: الشـرك عبـادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فأجبه بجوابين.
الأول: قـل لـه: مـا هي عبـادة الأصـنام؟ أتظن أن من عبدها يعتقد أنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فإن زعم ذلك فقد كذبه القرآن.

(2) قولـه : (وإن قـال) إلخ هـذا مقابـل قولنـا : " إن زعم ذلك فقد كذب القرآن " يعني إن قال: عبادة الأصنام أن يقصد خشبة أو حجراً أو بنيـة على قـبر أو غـيره يـدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون : إنه يقربنـا إلى اللـه زلفى قلنا: صدقت وهذا هو فعلك سواء بسـواء وعليـه فتكـون مشركاً بإقرارك على نفسك وهذا هو المطلوب.

ويقـال لـه أيضـاً: قولـك : الشـرك عبـادة الأصـنام، هـل مـرادك أن الشـرك مخصـوص بهـذا، وأن الاعتمـاد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرده ما ذكـر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسـى أو الصـالحين[1] . فلابـد أن يقـر لـك أن من أشـرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهـو الشـرك المـذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة[2]: أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله؟ فسره لي؟

فإن قال[3]: هو عبادة الأصنام.

---

(1) (1) قوله : " ويقال له أيضاَ : قولك: الشـرك عبـادة الأصـنام" إلى قولـه : " وهـذا هـو المطلـوب" هـذا هـو الجواب الثاني أن يقال: هل مرادك أن الشرك مخصوص بهـذا وأن الاعتمـاد على الصـالحين ودعـاء الصـالحين لا يدخل في ذلك فهذا يرده القرآن، فلابد أن يقر لـك بـأن من أشـرك في عبـادة أحـد من الصـالحين فهـو الشـرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.

(2) (2) قولـه : " وسـر المسـألة " يعـني لبهـا أنـه إذا قال :أنا لا أشرك بالله فاسأله مـا معـنى الشـرك؟ فـإن قـال: هـو عبـادة الأصـنام. فاسـأله ممـا معـنى عبـادة الأصنام؟ ثم جادله على ما سبق بيانه.

(3) (3) قولـه : (فـإن قـال) إلخ يعـني إذا ادعى هـذا المشـرك أنـه لا يعبـد إلا اللـه وحـده فاسـأله: مـا معـنى عبادة الله وحده؟ وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يفسـرها بمـا دل عليـه القـرآن فهـذا هـو المطلوب والمقبول، وبه يتبين أنه لم يحقق عبـادة اللـه وحده حيث أشرك به.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي[1].
فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. فقل: ما معنى عبادة الله فسرها لي؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟
وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه.
وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ [سورة ص، الآية: 5].

الثانية: أن لا يعرف معناها، فيقال: كيف تدعي شيئاً وأنت لا تعرفه؟ أم كيف تحكم به لنفسك والحكم على الشيء فرع عن تصوره؟.
الثالثة: أن يفسر عبادة الله بغير معناها، وحينئذ يبين له خطؤه ببيان المعنى الشرعي للشرك وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه بعينه ويدعون أنهم موحدون غير مشركين.
(1) (1) يعني ويبين له أيضاً أن عبادة الله وحده هي التي ينكرونها علينا ويصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . انطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾ [سورة ص، الآيات: 5-7].

فإذا عرفت [1] أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا " كبير الاعتقاد " هو الشرك الذي نزل في القرآن، وقاتل رسول الله، صلى الله عليه وسلم الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى:)وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ([سورة الإسراء، الآية: 67].

---

(1) (1)

قوله : " إذا عرفت " يعني علمت معنى العبادة وأن ما عليه أولئك المشركون في زمنه هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي، صلى الله عليه وسلم، من وجهين:

الوجه الأول: أن هؤلاء يشركون بالله في الشدة والرخاء. وأما أولئك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يشركون في الرخاء، ويخلصون في حال الشدة، كما قال تعالى:) وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه... (الآية فكانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لا يدعون غيره ولا يسألون سواه، ثم إذا أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون، أو فريق منهم بربهم يشركون، فهذا هو وجه.

وقولــه:) قــل أرأيتكم إن أتــاكم عــذاب اللــه أو أتتكم الســاعة أغـير اللـه تـدعون إن كنتم صـادقين. بـل إيـاه تـدعون فيكشـف مـا تـدعون إليـه إن شـاء وتنسـون مـا تشركون ([1][سورة الأنعام، الآيتان :40-41]

وقوله تعالى :) وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليـه (إلى قوله :) تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار([2]
[سورة الزمر، الآية: 8].

وقولـه تعـالى:) وإذا غشـيهم مـوج كالظلـل دعـوا اللـه مخلصين له الدين ([3][سورة لقمان، الآية: 32].

---

(1) (1) وهذه أيضاً تـدل على أنهم كـانوا يشـركون في حــال الرخــاء وأنهم إذا أتــاهم عــذاب أو أتتهم الســاعة فإنهم لا يدعون غـير اللـه، كمـا قـال تعـالى:) بـل إيـاه تـدعون فيكشـف مـا تـدعون إليـه إن شـاء وتنسـون مـا تشركون(فهم في هذه الحال ينسون مـا يشـركون، ولا يدعون سوى الله عز وجل.

(2) (2) وهذه أيضاً كالآيتين اللتين قبلهـا، تـدل على أن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه منيباً إليه، ولكنه إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يـدعو إليـه من قبـل، وجعـل للـه أنــداداً ليضــل عن ســبيله .. فيشــرك في حــال الرخــاء ويخلص في حال الشدة.

(3) (3) هذه أيضاً كالآيات السـابقة تـدل على أن هـؤلاء المشركين إنما يشركون بالله في حال الرخـاء، أمـا في حال الشدة فيلجؤون لله وحده.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون سادتهم [1]. تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً، والله المستعان[2].

---

(1) (1) يبين رحمه الله أن المشركين في زمانه أشد شركاً من مشركي زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن مشركي زمانه يدعون غير الله في الرخاء وفي الشدة، وأما المشركون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنهم يدعون الله ويدعون غيره في حالة الرخاء، وأما في حال الشدة فلا يدعون إلا الله عز وجل، وهذا يدل على أن شرك المشركين في زمانه رحمه الله أعظم من شرك المشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) (2) قوله: " تبين له الفرق" إلخ هذا جواب قوله: " فمن فهم هذه المسألة إلخ " أي تبين له الفرق، بين مشركي زمانه رحمه الله والمشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه، ولكن أين من يفهم قلبه ذلك، أكثر الناس في غفلة عن هذا وأكثر الناس يلبس عليهم الحق الباطل فيظنون الباطل حقاً كما يظنون الحق باطلاً.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً ، أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنى والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك[1].

---

(1) (1)

قوله: " الأمر الثاني " أي في بيان أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه رحمه الله أن المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعون أناساً مقربين من أولياء الله عز وجل أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ذليلة له، أما هؤلاء أعني المشركين في زمانه فإنهم يدعون من يحكون عنهم الفجور والزنى والسرقة وغير ذلك من معاصي الله عز وجل ومعلوم أن من يعتقد في الصالح أو الجماد الذي لا يعصي الله تعالى أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه ويشهد به. وهذا ظاهر.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

وإذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصح عقولاً، وأخف شركاً من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها وهي:

أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ [1]

---

(1) (1) في هذه الجملة يبين رحمه الله شبهة من أعظم شبههم ويجيب عنها فيقول: إذا تحققت أن المشركين في عهده عليه الصلاة والسلام أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء فاعلم أنهم يوردون شبهة حيث يقولون : إن المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولا يؤمنون بالبعث ولا الحساب ويكذبون القرآن، ونحن يعني (مشركي زمانه) نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان فكيف تجعلوننا مثلهم وهذه شبهة عظيمة.

فـالجواب: أنـه لا خلاف بين العلمـاء كلهم أن الرجـل إذا صدق الرسول صلى الله عليـه وسـلم، في شـيء وكذبـه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القـرآن وجحـد بعضـه؟ كمن أقـر بالتوحيـد وجحـد وجوب الصـلاة، أو أقـر بالتوحيـد والصـلاة وجحـد وجـوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصـوم، أو أقـر بهـذا كلـه وجحد الحج، ولمـا لم ينقـد أنـاس في زمن النـبي صـلى الله عليه وسلم، للحج أنـزل اللـه في حقهم ﴿ وللـه على الناس حج البيت من استطاع إليه سـبيلاً ومن كفـر فـإن الله غني عن العالمين﴾ [1][سورة آل عمران، الآية: 97].

---

(1) (1)

يقــول رحمــه اللــه: إنهم إذا قــالوا هــذا، يعــني أنهم يشهدون أن لا إله إلا اللـه وأن محمـداً رسـول اللـه إلى آخره، يعني فكيف يكونون كفاراً وجوابه أن يقال:

إن العلمـاء أجمعـوا على أن من كفـر ببعض مـا جـاء بـه الرسول صلى الله عليه وسلم وكذب به، فهو كمن كـذب بالجميع وكفر به ومن كفـر بنـبي من الأنبيـاء فهـو كمن كفر بجميع الأنبياء لقول الله تعالى: ﴿ إن الذين يكفـرون باللــه ورســله ويريــدون أن يفرقــوا بين اللــه ورســله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريـدون أن يتخـذوا بين ذلـك سـبيلاً . أولئـك هم الكـافرون حقـاً ﴾ [سـورة النســاء، الآيتــان: 150-151] وقولــه تعــالى في بــني إسرائيل: ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فمـا جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامـة يـردون إلى أشـد العـذاب ومـا اللـه بغافـل عمـا تعملون ﴾ [سورة البقرة، الآية: 85].

ومن أقر بهذا كله [1] وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله.

ثم ضرب المؤلف لذلك أمثلة:
المثال الأول: الصلاة فمن أقر بالتوحيد وأنكر وجوب الصلاة فهو كافر.
قوله: (أو أقر بالتوحيد) إلخ هذا هو المثال الثاني وهو من أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة فإنه يكون كافراً.
المثال الثالث: من أقر بوجوب ما سبق وجحد وجوب الصوم فإنه يكون كافراً.
المثال الرابع: من أقر بذلك كله وجحد وجوب الحج فإنه كافر، واستدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى:) ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر ـ يعني من كفر بكون الحج واجباً أوجبه الله على عباده ـ فإن الله غني عن العالمين (.
قول المؤلف رحمه الله : " ولما لم ينقد" إلى آخره ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا ولم أعلم لِمَ ذكره الشيخ دليلاً.
(1) (1) قوله ومن أقر بهذا كله أي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجوب الصلاة، والزكاة، والصيام ، والحج، لكنه كذب بالبعث فإنه كافر بالله لقول الله تعالى:) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ([سورة التغابن، الآية: 7]. وقد حكى المؤلف رحمه الله الإجماع على ذلك.

كمـا قـال تعـالى: ﴿ إن الـذين يكفـرون باللـه ورسـله ويريـدون أن يفرقـوا بين اللـه ورسـله ويقولـون نـؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سـبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ [1] [سورة النساء، الآيتان: 150-151] .

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً زالت هذه الشبه، وهذه هي الـتي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه[2] الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضاً:[3] إذا كنت تقر أن من صـدق الرسـول صـلى الله عليه وسلم في كل شيء وجحـد وجـوب الصـلاة أنـه كافر حلال الـدم والمـال بالإجمـاع، وكـذلك إذا أقـر بكـل شـيء إلا البعث، وكـذلك لـو جحـد وجـوب صـوم رمضـان وصدق بذلك كله ولا تختلف المذاهب فيه، وقـد نطـق بـه القرآن كما قدمنا.

---

(1) (1) قوله :كما قال الله تعالى: ﴿ إن الـذين يكفـرون بالله ورسله ﴾ الآيـة، سـبق الكلام على هـذه الآيـة. وقـد ساقها المؤلف مستدلاً بها على أن الإيمـان ببعض الحـق دون بعض كفر بالجميع كما قرره بقوله.

(2) (2) لا أعلم عن هذا الكتاب شيئاً فليبحث عنه.

(3) (3) قوله: " ويقال أيضاً : إذا كنت تقر أن من صدق الرسول" إلخ هذا جواب ثان فإن مضمونه أنك إذا عرفت وأقررت بأن من جحد الصلاة

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!

والزكاة والصيام والحج والبعث كافر بالله العظيم، ولو أقر بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سوى ذلك فكيف تنكر أن يكون من جحد التوحيد وأشرك بالله تعالى كافراً؟ إن هذا لشيء عجيب، أن تجعل من جحد التوحيد مسلماً، ومن جحد وجوب هذه الأشياء كافراً، مع أن التوحيد هو أعظم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو أعم ما جاءت به الرسل، فجميع الرسل قد أرسلت به، كما قال تعالى:) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ([سورة الأنبياء، الآية: 25] وهو أصل هذه الواجبات التي يكفر من أنكر وجوبها إذ لا تصح إلا به كما قال الله تعالى:) ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين (فإذا كان من أنكر وجوب الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو أنكر البعث كافراً، فمنكر التوحيد أشد كفراً وأبين وأظهر.

ويقال أيضاً [1]: هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤذنون ويصلون.
فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.
فقل: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف وصحابيا أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله، ما أعظم شأنه) كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ([سورة الروم، الآية: 59].

---

(1) (1) قوله: " ويقال أيضاً :هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" إلخ هذا جواب ثالث ومضمونه أن الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا مسيلمة وأصحابه، واستحلوا دماءهم وأموالهم مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤذنون، ويصلون وهم إنما رفعوا رجلاً إلى مرتبة النبي، فكيف بمن رفع مخلوقاً إلى مرتبة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة مخلوق آخر؟! وهذا أمر واضح، ولكن كما قال الله تعالى:) كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ([سورة الروم، الآية: 59].

ويقال أيضاً : [1] الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضـي الله عنـه بالنـار كلهم يـدعون الإسـلام وهم من أصـحاب علي رضـي اللـه عنـه وتعلمـوا العلم من الصـحابة ولكن اعتقـدوا في علي مثـل الاعتقـاد في يوسـف وشمسـان وأمثالهما. فكيف أجمـع الصـحابة على قتلهم وكفـرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسـلمين ؟ أم تظنـون أن الاعتقاد في تاج وأمثالـه لا يضـر والاعتقـاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟

ويقال أيضاً: بنـو عبيـد القـداح [2] الـذين ملكـوا المغـرب ومصر في زمان بـني العبـاس كلهم يشـهدون أن لا إلـه الله وأن محمداً رسول الله، ويـدعون الإسـلام، ويصـلون الجمعة والجماعـة، فلمـا أظهـروا مخالفـة الشـريعة في أشـياء دون مـا نحن فيـه أجمـع العلمـاء على كفـرهم وقتـالهم، وأن بلادهم بلاد حـرب، وغـزاهم المسـلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

---

(1) (1) قوله: " ويقال أيضاً : إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار" إلخ، هذا جواب رابـع فقـد كـان هـؤلاء يـدعون الإسـلام، وتعلمـوا من الصـحابة ومـع ذلـك لم يمنعهم هذا من الحكم بكفرهم، وتحـريقهم بالنـار لأنهم قالوا في علي بن أبي طالب : إنـه إلـه، مثـل مـا يـدعي هؤلاء بمن يؤلهونهم، كشمسان وغيره.

فكيف أجمع الصحابة رضي اللـه عنهم على قتـل هـؤلاء، أتظنون أن الصحابة رضي الله عنهم يجمعـون على قتـل من لا يحل قتله، وتكفير من ليس بكافر ؟! ذلـك لا يمكن أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضـر والاعتقـاد في علي بن أبي طالب يضر.

(2) قولـه: " ويقـال أيضـاً : بنـو عبيـد القـداح " إلخ هـذا جواب خامس وهـو إجمـاع العلمـاء على كفـر بـني عبيـد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر وكانوا

ويقال أيضاً[1]: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشـرك وتكـذيب الرسـول والقـرآن وإنكـار البعث، وغير ذلك فما معـنى البـاب الـذي ذكـر العلمـاء في كـل مذهب: (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفـر بعـد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحـل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عنـد من فعلهـا، مثـل كلمـة يـذكرها بلسـانه دون قلبـه، أو كلمـة يذكرها على وجه المزح واللعب.

يشـهدون أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمـداً رسـول اللـه، ويصـلون الجمعـة والجماعـات ويـدعون أنهم مسـلمون، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسـلمين عليهم بـالردة حين أظهروا مخالفة المسلمين في أشـياء دون التوحيـد حتى قاتلوهم واستنقذوا ما بأيديهم.

(1) (1) قوله: " ويقال أيضاً : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم " إلخ هـذا جـواب سـادس مضـمونه أنـه إذا كـان الأولون لم يكفروا إلا حين جمعوا جميع أنواع الكفـر من الشرك والتكذيب والاستكبار فمـا معـنى ذكـر أنـواع من الكفر في (باب حكم المرتد) كل نـوع منهـا يكفـر حـتى ذكروا أشياء يسـيرة عنـد من فعلهـا مثـل كلمـة يـذكرها بلسـانه دون قلبـه، أو كلمـة يـذكرها على وجـه المـزح واللعب، فلولا أن الكفر يحصل بفعل نوع منـه وإن كـان الفاعـل مسـتقيماً في جـانب آخـر لم يكن لـذكر الأنـواع فائدة.

يقـول رحمـه اللـه تعـالى: وممـا يـدفع شـبه هـؤلاء، هم الفقهـاء في كـل مـذهب، ذكـروا في كتبهم (بـاب حكم المرتد) وذكروا أنواعاً كثيرة، حتى ذكروا الكلمة يـذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه، أو يذكرها على سبيل المزح، ومع ذلـك كفـروهم وأخرجـوهم من الإسـلام بهـا وسيأتي لذلك مزيد بيان وإيضاح.

ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم[1]:) يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم (أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون، ويزكون، ويحجون، ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم:) قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم (فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

---

(1) (1) قوله: " ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم :) يحلفون بالله ما قالوا ("إلخ هذا جواب سابع مضمونه واقعتان:

الأولى: أن الله تعالى حكم بكفر المنافقين الذين قالوا كلمة الكفر مع أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلون ويزكون ويحجون ويجاهدون ويوحدون.

الثانية: أنه حكم بكفر المنافقين الذين استهزؤوا بالله وآياته ورسوله وقالوا : " ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء " [1] يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء فأنزل الله فيهم) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم (. فحكم بكفرهم بعد إيمانهم مع أنهم ذكروا أنهم كانوا

ومن الـدليل على ذلـك [1]– أيضـاً مـا حكى اللـه عن بـني إسـرائيل مـع إسـلامهم وعلمهم وصـلاحهم أنهم قـالوا لموسى:) اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (وقول أنــاس من الصحابة: " اجعل لنا ذات أنواط " فحلف النبي صلى الله عليه وسلم، أن هذا نظير قول بـني إسـرائيل:اجعـل لنـا إلهاً.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هـذه القصـة وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بـذلك، وكـذلك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسـلم :اجعـل لنـا ذات أنواط لم يكفروا.

فالجواب: أن نقـول : إن بـني إسـرائيل لم يفعلـوا ذلـك وكذلك الـذين سـألوا النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسـرائيل لـو فعلـوا ذلـك، لكفـروا، وكـذلك لا خلاف في أن الــذين نهـاهم النــبي، صلى الله عليه وسلم، لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنـواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب.

يسـتهزئون ولم يقولـوا ذلـك على سـبيل الجـد، وكـانوا يصــلون ويتصــدقون، ثم ذكــر المؤلــف رحمــه اللــه أن الجواب على هذه الشبهة من أنفع ما في هذه الأوراق.

(1) قوله: " ومن الدليل على ذلك " أي على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر قول بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصـلاحهم لموسـى عليـه الصـلاة والسـلام:)اجعـل لنـا إلهـاً كمـا لهم آلهة(وقـول أصحاب النبي، صلى اللـه عليـه وسـلم: " اجعـل لنـا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط " فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، :

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنـواع من الشـرك لا يـدري عنهـا فتفيـد التعلم والتحـرز ومعرفة أن قول الجاهل: (التوحيد فهمناه) أن هـذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان[1].

" الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:) اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهـة قـال إنكم قـوم تجهلـون (لـتركبن سـنن من كـان قبلكم " [1]
وهــذا يــدل على أن موســى ومحمــداً عليهمــا الصــلاة والسلام قد أنكرا ذلك غاية الإنكـار وهـذا هـو المطلـوب، فإن هذين النبيين الكريمين لم يقرا أقوامهمـا على هـذا الطلب الذي طلبوه بل أنكراه.
وقـد شـبه بعض المشـركين في هـذا الـدليل فقـال: إن الصحابة وبني إسرائيل لم يكفروا بذلك.
وجـواب هـذه الشـبهة: أن الصـحابة وبـني إسـرائيل لم يفعلوا ذلك حين لقوا من الرسولين الكريمين إنكار ذلك.
(1) (1) هذا شروع في بيان ما تفيده هذه القصة أعـني قصة الأنواط وبني إسرائيل من الفوائد:
الفائـدة الأولى: أن الإنسـان وإن كـان عالمـاً قـد يخفى عليه بعض أنواع الشـرك، وهـذا يـوجب على الإنسـان أن يتعلم ويعرف حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري، وأنـه إذا قال : أنا أعرف الشرك وهـو لا يعرفـه كـان ذلـك من أخطر ما يكون على العبد، لأن هذا جهل مركب، والجهـل المــركب شــر من الجهــل البســيط، لأن الجاهــل جهلاً بسـيطاً يتعلم وينتفـع بعلمـه، وأمـا الجاهـل جهلاً مركبـاً فإنه يظن نفسه عالماً وهو جاهل فيستمر فيما هو عليه من العمل المخالف للشريعة.

وتفيـد أيضـاً أن المسـلم المجتهـد [1]إذا تكلم بكلام كفـر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفـر كما فعل بنو إسرائيل والـذين سـألوا النـبي، صـلى اللـه عليه وسلم.

وتفيد أنه لـو لم يكفر[2] فإنـه يغلـظ عليـه الكلام تغليظـاً شديداً كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللمشركين شبهة أخرى[3] يقولون: إن النبي صـلى اللـه عليه وسلم أنكر على أسـامة قتـل من قـال: " لا إلـه إلا اللـه "، وكـذلك قولـه: " أمـرت أن أقاتـل النـاس حـتى يقولـوا لا إلـه إلا اللـه" وأحـاديث أخـري في الكـف عمن قالهـا، ومـراد هـؤلاء الجهلـة أن من قالهـا لا يكفـر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

---

(1) (1) قوله: " وتفيد أيضـاً أن المسـلم المجتهـد " إلخ هذه هي الفائدة الثانية أن المسلم إذا قـال مـا يقتضـي الكفر جاهلاً بـذلك ثم نبـه فانتبـه وتـاب في الحـال فـإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلـف اللـه نفسـاً إلا وسعها، أما لو استمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله.

(2) (2) قوله: " وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر" إلخ هذه هي الفائدة الثالثة، أن الإنسان وإن كان لا يدري عن الشيء إذا طلب مـا يكـون بـه الكفـر فإنـه يغلـظ عليـه تغليظـاً شـديداً، لأن النـبي صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم قـال لأصحابه : " الله أكبر إنها السـنن لتتبعن سـنن من كـان قبلكم حذو القذة بالقذة " وهذا إنكار ظاهر.

(3) (3) قولـه: " وللمشـركين شـبهة أخـرى" إلخ يعـني للمشـركين المشـبهين شـبهة أخـرى مـع مـا سـبق من الشبهات وهي: أن النبي صلى الله عليه وآله

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طلب بالنار[1].

وسلم أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه قتل الرجل بعد أن قال : لا إله إلا الله فقال: "أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله " وما زال يكررها عليه الصلاة والسلام على أسامة حتى قال أسامة: "تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد"[1]. وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله "[2] وأمثال ذلك من الأحاديث التي يستدلون بها على أن من قال : " لا إله إلا الله " لا يكفر ولا يقتل وإن كان على الشرك من جهة أخرى، وهذا من الجهل العظيم، فليس قول : " لا إله إلا الله" منجياً من عذاب النار ومخلصاً للإنسان من الشرك إذا كان يشرك من جهة أخرى.

(1) (1) قوله:" فيقال لهؤلاء المشركين الجهال " إلخ هذا جواب الشبهة التي أوردها هؤلاء الجهال فيما سبق وجوابها بما يلي:

أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : لا إله إلا الله.

ثانياً: أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون أنهم مسلمون.

ثالثاً: أن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله.

---

(1) البخاري (4269) ومسلم (96).

(2) البخاري(1399) مسلم (20).

وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟[1]
ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك) يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ([سورة النساء، الآية: 94] أي فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى :) فتبينوا(ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى [2].

---

(1) (1) قوله: " وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث" إلخ هذا إلزام لهؤلاء الجهال واحتجاج عليهم بمثل ما قالوا به، فقد قالوا : إن من أنكر البعث فإنه يقتل كافراً، ويقولون : من جحد وجوب شيء من أركان الإسلام، فإنه يحكم بكفره ويقتل وإن قال :لا إله إلا الله، فكيف لا يكفر ولا يقتل من يجحد التوحيد الذي هو أساس الدين وإن قال :لا إله إلا الله ؟! أفلا يكون هذا أحق بالتكفير ممن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة ؟ ! وهذا إلزام صحيح لا محيد عنه.
(2) (2) قوله: " ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث " إلخ. يعني الأحاديث التي شبهوا بها ثم أخذ رحمه الله يبين معناها فقال:

فأما حديث أسامة، يعني الحديث الذي قتـل فيـه أسـامة رضي الله عنه من قال : لا إله إلا الله حين لحقه أسـامة ليقتلـه وكـان مشـركاً، فقـال: " لا إلـه إلا اللـه " فقتلـه أسـامة لظنـه أنـه لم يكن مخلصـاً في قولـه وإنمـا قالـه تخلصاً فليس فيه دليل على أن كل من قال : " لا إلـه إلا الله" فهو مسلم ومعصوم الدم، ولكن فيه دليل على أنه يجب الكف عمن قال : " لا إله إلا الله" ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين واستدل المؤلف لذلك بقوله تعالى:) يا أيها الذين آمنـوا إذا ضـربتم في سـبيل اللـه فتـبينوا (الآية، فأمر الله تبارك وتعـالى بـالتبين أي التثبت وهـذا يدل على أنه إذا تبين أن الأمر كـان خلاف مـا كـان عليـه فإنه يجب أن يعامل بما يتبين من حاله، فإذا بان منـه مـا يخالف الإسلام قتل ولو كان لا يقتل مطلقاً إذا قالها لم يكن فائدة للأمر بالتثبت.

وعلى كل حال فإن حـديث أسـامة رضـي اللـه عنـه ليس فيه دليل على أن من قال : " لا إله إلا الله" وهو مشرك يعبد الأصنام والأموات والملائكة والجن وغير ذلك يكـون مسلماً.

وكذلك الحـديث الآخـر وأمثالـه معنـاه مـا ذكرنـاه أن من أظهر التوحيـد والإسـلام وجب الكـف عنـه إلى أن يتـبين منـه مـا ينـاقض ذلـك والـدليل على هـذا أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، قال: "أقتلته بعد مـا قـال : لا إلـه إلا الله" وقال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولـوا : لا إلــه إلا اللــه" هــو الــذي قــال في الخــوارج : " أينمــا لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" مع كونهم من أكثر الناس عبـادة وتهليلاً وتسـبيحاً، حـتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبـادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة [1].

---

(1) (1) قولـه: " وكـذلك الحـديث الآخـر وأمثالـه" يريـد بالحديث الآخر قوله صلى اللـه عليـه وسـلم: "أمـرت أن أقاتـل النـاس" الخ، فـبين رحمـه اللـه تعـالى أن معـنى الحـديث أن من أظهـر الإسـلام وجب الكـف عنـه حـتى يتبين أمره، لقوله تعـالى:) فتـبينوا (لأن الأمـر بـالتبين يحتاج إليه إذا كنا في شك من ذلك، أما لو كان قولـه : " لا إله إلا الله " بمجرده عاصـماً من القتـل فإنـه لا حاجـة إلى التبين، ثم استدل المؤلف رحمه الله لمـا ذهب إليـه بأن الذي قال لأسامة : "أقتلتـه بعـد أن قـال : لا إلـه إلا الله " وقال: " أمرت أن أقاتـل النـاس حـتى يقولـوا : لا إلـه إلا اللـه وأن محمـداً رسـول اللـه ..." هـو الـذي أمـر بقتال الخوارج وقال : " أينما لقيتموهم فــاقتلوهم " [1] مع أن الخوارج يصلون ويذكرون الله ويقرؤون القــرآن، وهم قد تعلموا من الصحابة رضي اللـه عنهم ومـع ذلـك لم ينفعهم ذلك شيئاً، لأن الإيمان لم يصـل إلى قلـوبهم كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " إنه لا يجاوز حناجرهم ".

---

[1] البخاري (6930) ومسلم (1068) .

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهـود وقتـال الصـحابة بـني حنيفة، وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم، أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجـل أنهم منعـوا الزكـاة حـتى أنزل الله تعالى:) يا أيها الـذين آمنـوا إن جـاءكم فاسـق بنبأ فتبينوا (وكان الرجل كاذباً عليهم[1] ، وكل هـذا يـدل على أن مراد النبي، صلى الله عليه وسلم، في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه[1].

ولهم شبهة أخرى: وهو ما ذكـر النـبي، صـلى اللـه عليـه وسلم، أن الناس يوم القيامة يستغيثون بـآدم، ثم بنـوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى فكلهم يعتـذر حـتى ينتهوا إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

والجواب أن نقول: سبحان من طبـع على قلـوب أعدائـه فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرهـا، كمـا قال الله تعالى في قصة موسـى:) فاسـتغاثه الـذي من شـيعته على الـذي من عـدوه (وكمـا يسـتغيث الإنسـان بأصـحابه في الحـرب أو غـيره في أشـياء يقـدر عليهـا المخلوق، ونحن أنكرنـا اسـتغاثة العبـادة الـتي يفعلونهـا عنـد قبـور الأوليـاء، أو في غيبتهم في الأشـياء الـتي لا يقدر عليها إلا الله [2].

---

(1) (1) وهو أن مجرد قول : " لا إله إلا الله " ليس مانعاً من القتـل بـل يجـوز قتـال من قالهـا إذا وجـد سـبب يقتضي قتاله.

(2) (2) قولــه: " ولهم شــبهة أخــرى " يعــني في أن الاسـتغاثة بغـير اللـه ليسـت شـركاً وقـد أجـاب عنهـا بجوابين:

([1] أخرجه ابن جرير الطبري جـ 26 ص 123، وابن كثير جـ 4 ص 187 وقال: "قد روي طرق لهذا الحديث من أحسنها ما رواه الإمام أحمد"، والهيثمي في " المجمع " جـ 7 ص 111 وقال: "رواه أحمد ورجاله ثقات".

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ؟[1]

الأول : أن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه وهذا لا ينكر لقوله تعالى في قصة موسى :)فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه (.

الجواب الثاني: أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله عز وجل ليزيل هذه الشدة، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك.

(1) قوله: " إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء " الخ هذا هو الجواب الثاني وهو أن استغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله عز وجل أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم، وليس دعاء لهم، بل طلب دعائهم لربهم عز وجل، وهذا أمر جائز كما أن الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليهم وسلم أن يدعو الله لهم، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب . فقال : " يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا" ولم يقل : فأغثنا يا

رسول الله، بل قال: " فادع الله يغيثنا " فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه وقال: "اللهم أغثنا " ثلاث مرات، فأنشأ الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت، ولم يروا الشمس أسبوعاً كاملاً، والمطر ينهمر، وفي الجمعة التالية دخل رجل أو الرجل الأول فقال: " يا رسول الله غرق المال، وتهدم البناء فادع الله تعالى يمسكها عنا" ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه وقال: " اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر" فانفرجت السماء وخرج الصحابة يمشون في الشمس([2]2).

فهذا طلب دعاء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لله عز وجل وليس دعاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا استغاثة به، وبهذا يعرف أن هذه الشبهة التي لبس بها هؤلاء شبهة لا تنفعهم بل هي حجة داحضة عند الله عز وجل.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه لا بأس أن تأتي لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك، وهذا حق إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدناً له كلما رأى رجلاً صالحاً قال : ادع الله لي، فإن هذا ليس من عادة السلف رضي الله عنهم، وفيه اتكال على دعاء الغير، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيراً له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل فإن الدعاء من العبادة كما قال الله تعالى): ادعوني أستجب لكم (الآية، والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله عز وجل في حصول المنفعة ودفع المضرة، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه

---

2 (1) أخرجه البخاري / كتاب الاستسقاء / باب الاستسقاء في خطبة الجمعة ، ومسلم / كتاب صلاة الاستسقاء / باب الدعاء في الاستسقاء.

ولهم شبهة [1] أخرى وهي: قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم؟ فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى: فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه :) شديد القوى ([سورة النجم، الآية:5] فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد. فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟ !.

بالله عز وجل، وهذا الأمر فيه خطورة وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله : " إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعو له فإن هذا من المسألة المذمومة " فينبغي للإنسان إذا طلب من شخص أن يدعو له أن ينوي بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له، فإنه يؤجر على هذا وربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة : آمين ولك بمثلها.

(1) (1) قوله: " ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار " الخ. والجواب عن هذه الشبهة:

أن جبريل إنما عرض عليه أمراً ممكناً يمكن أن يقوم به فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله تعالى من القوة فإن جبريل كما وصفه الله تعالى (شديد القوى) فلو أمره الله أن يأخذ نار إبراهيم وما

ولنختم الكلام [1]إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما.

حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يحمل إبراهيم إلى مكان بعيد عنهم لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

ثم ضرب المؤلف بهذا مثلاً : رجل غني أتى إلى فقير فقال : هل لك حاجة في المال؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك؟ فإنما هذا مما يقدر عليه، ولا يعد هذا شركاً لو قال: نعم لي حاجة أقرضني، أو هبني لم يكن مشركاً.

(1) (1) ختم المؤلف هذه الشبهات بمسألة عظيمة هي: أنها لابد أن يكون الإنسان موحداً بقلبه وقوله وعمله فإن كان موحداً بقلبه ولكنه لم يوحد بقوله أو بعمله فإنه غير صادق في دعواه، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1] فإذا وحد الله كما زعم بقلبه ولكنه لم يوحده بقوله أو فعله فإنه من جنس فرعون الذي كان مستيقناً بالحق عالماً لكنه أصر وعاند وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية، قال الله تعالى:) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً (وحكى تعالى عن موسى أنه قال لفرعون :) لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر (.

([1] البخاري (52) مسلم (1599) .

وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولـون: هـذا حـق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقـدر أن نفعلـه ولا يجـوز عنـد أهـل بلـدنا إلا من وافقهم، وغـير ذلـك من الأعذار[1].

ولم يدر المسكين [2] أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحـق، ولم يـتركوه إلا لشـيء من الأعـذار كمـا قـال تعـالى: ﴿ اشتروا بآيات اللـه ثمنـاً قليلاً ﴾ [سـورة التوبـة، الآيـة:9] وغـير ذلـك من الآيـات كقولـه: ﴿ يعرفونـه كمـا يعرفـون أبناءهم ﴾ [سورة البقرة، الآية:146].

---

(1) (1) قوله: " وهـذا يغلـط فيـه كثـير من النـاس" الخ يعـــني أن كثـــيراً من النـــاس يعـــرف الحـــق في هـــذا ويقولون : نحن نعرف أن هذا هـو الحـق ولكننـا لا نقـدر عليه لمخالفته أهل بلـدنا ونحـو ذلـك من الأعـذار، وهـذا العـذر لا ينفعهم عنـد اللـه عـز وجـل لأن الـواجب على المرء أن يلتمس رضا الله عز وجـل ولـو سـخط النـاس، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله عز وجل، وهذا يشـبه من يحتجون بما كان عليه آباؤهم وهم الـذين حكى اللـه عنهم ﴿ إنـا وجـدنا آباءنـا على أمـة وإنـا على آثـارهم مهتدون ﴾ والآية الأخرى ﴿ وإنا على آثارهم مقتدون ﴾.

(2) (2) قولـه: " ولم يـدر المسـكين " أي المعـدوم من الفقه والبصيرة أن غالب أئمة الكفر كانوا يعرفون الحق لكنهم عاندوا فخـالفوا الحـق كمـا قـال تعـالى: ﴿ الـذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفـون أبنـاءهم ﴾ وقـال: ﴿ اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ فكانوا يعتـذرون بأعـذار لا تنفعهم كخـــوف بعضـــهم من فـــوات الرئاســـة وتصـــدر المجالس ونحو ذلك.

فكثير من أئمـة الكفـار يعرفـون الحكم ولكنهم يكرهونـه ولا يتبعونه، ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق، لأن الجاهل بالحق

فإن عمـل بالتوحيـد عملاً ظـاهراً [1] وهـو لا يفهمـه، أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهـو شـر من الكـافر الخـالص لقولـه تعـالى:) إن المنـافقين في الـدرك الأسـفل من النار ([سورة النساء: الآية:145].

وهذه المسألة كبيرة طويلة [2] تتبين لـك إذا تأملتهـا في ألسـنة النـاس تـرى من يعـرف الحـق ويـترك العمـل بـه لخـوف نقص دنيـا، أو جـاه، أو مـداراة لأحـد، وتـرى من يعمل به ظاهراً لا باطناً فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

يعذر، وقد يعلم فيتنبه ويتعلم بخلاف المعانـد المسـتكبر، ولهذا كان اليهود مغضوباً عليهم لعلمهم بالحق وتــركهم إياه، وكان النصارى ضالين لأنهم لم يعرفـوا الحـق، لكن بعـد بعثـة الرسـول صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم كـان النصارى عالمين فكانوا مثل اليهود في كـونهم مغضـوباً عليهم.

(1) (1) يقول رحمه الله: فإن عمل بالتوحيد ظـاهراً أي باللسان والجوارح، ولكنـه لم يعتقـده بقلبـه ولم يفهمـه فإنه منافق، وهو شر من الكافر المصـرح بكفـره لقولـه تعـالى:) إن المنـافقين في الـدرك الأسـفل من النـار (وهذا ظاهر فيمن كان معانداً يعلم[1] لحق ولكنـه كرهـه بقلبـه ولم يطمئن إليـه، ولم يسـتقر بـه، ولكنـه أظهـر الالتزام بالشريعة خداعاً لله ولرسوله وللمؤمـنين، وأمـا من كـان لا يفهمـه بالكليـة ولا يـدري ولكنـه يعمـل كمـا يعمل الناس ولم يتـبين لـه ذلـك الشـيء الـذي يعملونـه والمقصود منه، فإن الـواجب أن يبلـغ ويعلم، فـإن أصـر على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق.

(2) (2) بين رحمه الله أن هذه المسـألة كبـيرة طويلـة يعـني أن تتبعهـا يطـول بواسـطة أن كثـيراً من الناس قد يـأبى الحـق خوفـاً من أن يلام عليـه، أو رجـاء لجاه أو دنيـا، فيحتـاج أن يتتبـع أحـوال النـاس ويعرفهـا تماماً حتى

أولاهما[1] : قولـه تعـالى:) لا تعتـذروا قـد كفـرتم بعـد إيمـانكم (، فـإذا تحققت أن بعض الصـحابة الـذين غـزوا الروم مع رسول الله ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، كفـروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لـك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفـاً من نقص مـال، أو جاه، أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.
والآيـة الثانيـة: [2]قولـه تعـالى:) من كفـر باللـه من بعـد إيمانــه إلا من أكــره وقلبــه مطمئن بالإيمــان ولكن من شرح بالكفر صـدراً فعليهم غضـب من اللـه ولهم عـذاب عظيم . ذلـــك بـــأنهم اســـتحبوا الحيـــاة الـــدنيا على الآخرة(فلم يعذر الله

يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً.
(1) (1) يحث المؤلف رحمه الله تعالى على تـدبر آيـتين من كتاب الله عز وجل: أولاهما قوله تعالى:) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم (وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين سبوا رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، وأصحابه القراء.
فالمؤلف رحمه اللـه يقـول : إذا كـان هـؤلاء المنـافقون الذين غزوا مع رسول الله، صلى اللـه عليـه وسـلم، في غزوة تبوك كفـروا بكلمـة قالوهـا على سـبيل المـزاح لا على سبيل الجد فما بالـك بمن يكفـر كفـراً جـدياً يريـده بقلبه من أجل خوف فـوات مركـز، أو جـاه، أو مـا أشـبه ذلك، فإنه يكـون أعظم وأعظم. فـالواقع خوفـاً أو رجـاء أن كلهم كفروا بعد إيمانهم سواء فعلوا ذلك استهزاء أو فعلوه على سبيل الجد والكفـر، فـإن كـل إنسـان يظهـر الإسلام ويبطن الكفر فهو منافق على أي وجه كان.
(2) هذه هي الآية الثانيـة الـتي حث المؤلـف رحمـه اللـه تعالى على تدبرها وهذه الآية تدل على أنـه لا يعـذر أحـد كفر بعد إيمانه إلا من كان

من هؤلاء إلا من أكـره مـع كـون قلبـه مطمئنـاً بالإيمـان وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانـه سـواء فعلـه خوفـاً، أو مداراة ، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو مالــه، أو فعلـه على وجــه المــزح أو لغــير ذلــك من الأغــراض إلا المكره.

فالآية تدل على هذا [1] من جهتين:

الأولى: قوله:) إلا من أكره (فلم يستثن اللـه تعـالى إلا المكـره، ومعلـوم أن الإنسـان لا يكـره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد.

والثانية[2]: قولـه تعـالى:) ذلـك بـأنهم اسـتحبوا الحيـاة الدنيا على الآخرة (فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسـبب الاعتقـاد، أو الجهـل، أو البغض للـدين، أو محبـة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظـوظ الـدنيا فآثره على الدين.

مكرهاً، وأما من كفر على سبيل الاختيـار لأي غـرض من الأغـراض سـواء كـان مزاحـاً، أو مشـحة في وظيفـة، أو دفاعاً عن وطن، أو ما أشبه ذلك فإنه يكون كافراً، فالله عز وجل لم يعذر من كفر إلا من كـان مكرهـاً بشـرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان.

(1) (1) أي إن اللــه تعــالى لم يســتثن في الآيــة من الكافرين إلا من أكره، والإكراه لا يكـون إلا على القـول أو الفعل، أما عقيدة القلب فلا يطلع عليهـا إلا اللـه، ولا يتصور فيها الإكراه، لأنه لا يمكن لأحـد أن يكـره شخصـاً فيقول: لابد أن تعتقد كذا وكذا، لأنـه أمـر بـاطن لا يعلم به، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أو الفعل.

(2) (2) الوجه الثاني: أنهم استحبوا الحيـاة الـدنيا على الآخـرة فكـان كفـرهم سـببه أنهم اسـتحبوا الـدنيا على الآخرة، ويعني بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه،

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى اللـه على نبينـا محمـد وآله وصحبه وسلم [1].

أو مال، أو رياسة أو غير ذلـك ممن آثـر الـدنيا بمـا فيهـا على الآخرة وكفره من أجل إيثار الدنيا فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مستحباً للكفر ولكنـه مسـتحب لحيـاة الـدنيا فإنه يكفر، وذلك أن بعض الناس يكفـر لأنـه يحب الكفـر ويعجبـه، وبعض النـاس يكفـر لمـال، أو جـاه، أو رياسـة، وبعض الناس يكفر لينال بـذلك شـيئاً من السـلطان ومـا أشبه ذلك فالأغراض كثيرة.

نسأل اللـه تعـالى أن يهـدينا الصـراط المسـتقيم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

(1) (1) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهـاب رحمـه الله تعالى كتابه هذا برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم وبهـذا انتهى كتاب كشف الشبهات فنسأل الله تعالى أن يـثيب مؤلفه أحسن ثواب وأن يجعل لنا نصيباً من أجره وثوابـه وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته إنه جواد كـريم والحمـد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قال المؤلف شيخ الإسلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعجب العجـاب ، وأكـبر الآيـات الدالة على قـدرة الملك الغلاب ستة أصـول بينها الله تعـالى بيانـاً واضـحاً للعـوام فـوق ما يظن الظـانون ، ثم بعد هـذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الشـــرح

قوله : "بســم الله"

ابتدأ المؤلف -رحمه الله تعالى -كتابه بالبسملة اقتداء بكتـــاب الله عز وجل فإنه مبـــدوء بالبســـملة، واقتـــداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.
والجار والمجرور متعلق بفعل محـذوف مـؤخر مناسب للمقام تقديره هنا بسم الله أكتب.
وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.
وقدرناه مؤخراً لفائدتين:
الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.
الثانيـــة: إفـــادة الحصر لأن تقـــديم المتعلق به يفيد الحصر.
وقــدرناه مناســباً لأنه أدل على المــراد فلو قلنا مثلاً عنـدما نريد أن نقـرأ كتابـاً : باسم الله نبتـدئ ، ما يـدرى بماذا نبتدئ ، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد.
قوله: "الله"
لفظ الجلالة علم على البـــــاري جل وعلا وهو الاسم الــذي تتبعه جميع الأســماء حــتى إنه في قوله تعــالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النــور بــإذن ربهم إلى صــراط العزيز الحميد . الله الــذي له ما في الســـماوات وما في الأرض﴾، {ســـورة إبـــراهيم، الآيتان: 1-2}. لا نقول : إن لفظ الجلالة (الله) صـفة بل نقــول : هي عطف بيــان لئلا يكــون لفظ الجلالة تابعــاً تبعية النعت للمنعــوت ولهــذا قــال العلمــاء : أعــرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يـدل على أحد سـوى الله عز وجل.
قوله: "الرحمن"
الـــرحمن: اسم من الأســـماء المختصة بالله لا يطلق على غيره،
ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.
قوله: "الرحيـم"
الرحيم: اسم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره.
ومعنـــاه: ذو الرحمة الواصــلة ، فــالرحمن ذو الرحمة الواسـعة، والـرحيم ذو الرحمة الواصـلة فـإذا جُمعا صـار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشــاء من عبــاده

كما قال الله تعالى: ﴿يعـذب من يشـاء ويـرحم من يشـاء وإليه تقلبـون﴾ {سـورة العنكبـوت، الآيـة: 21} والمـراد بالرحمن الواسع الرحمة.

قوله : "من أعجب العجاب ، وأكـبر الآيـات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول . .إلخ"

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله تعـالى له عناية بالرسـائل المختصـرة الـتي يفهمها العـامي وطـالب العلم، ومن هـذه الرسـائل هـذه الرسـالة (سـتة أصول عظيمة) وهي:

الأصل الأول: الإخلاص وبيان ضده وهو الشرك.

الأصل الثاني: الاجتماع في الدين والنهي عن التفرق فيه.

الأصل الثالث: السمع والطاعة لولاة الأمر.

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء ، والفقه والفقهـاء ، ومن تشبه بهم وليس منهم.

الأصل الخامس: بيان من هم أولياء الله.

الأصل السـادس: رد الشـبهة الـتي وضـعها الشـيطان في ترك القرآن والسنة.

وهـذه الأصـول أصـول مهمة جـديرة بالعناية ، ونحن نستعين بالله تعالى في شـرحها والتعليق عليها بما يسر الله.

الأصل الأول

إخلاص الـدين لله تعـالى وحـده لا شـريك له ، وبيـان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيـان هذا الأصل من وجوه شـتى بكلام يفهمه أبلد العامـة، ثم لما صـار على أكـثر الأمة ما صـار أظهر لهم الشـيطان الإخلاص في صــورة تنقص الصــالحين والتقصــير في حقــوقهم، وأظهر لهم الشــرك بالله في صــورة محبة الصالحين وأتباعهم.

الشرح

قولــه: "إخلاص الــدين لله تعــالى وحــده لا شــريك له. . . ."

الإخلاص لله معنـاه :"أن يقصد المـرء بعبادته التقـرب إلى الله تعـالى والتوصل إلى دار كرامتـه". بـأن يكـون العبد مخلصاً لله تعالى في قصده مخلصاً لله تعـالى في محبته ، مخلصــاً لله تعــالى في تعظيمه ، مخلصــاً لله تعــالى في ظــاهره وباطنه لا يبتغي بعبادته إلا وجه الله تعالى والوصول إلى دار كرامته كما قال تعـالى: }قل إن صـلاتي ونسـكي ومحيـاي وممـاتي لله رب العـالمين . لا شـريك له وبـذلك أمـرت وأنا أول المسـلمين{ . {سـورة الأنعام، الآيتان: 162، 163} وقوله تعالى: }وأنيبـوا إلى ربكم وأسلموا له{ ، {سـورة الزمر ، الآية : 54} وقوله : }وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم{ ، {سـورة البقــرة، الآيــة: 163} وقوله : }فــإلهكم إله واحد فله أسلموا{ {سورة الحج ، الآية: 34} وقد أرسل الله تعالى جميع الرسل بذلك كما قال تعالى: }وما أرسلنا من قبلك من رســـــــول إلا نـــــــوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبـدون{ {سـورة الأنبيـاء، الآيـة:25} . وكما وضح الله ذلك في كتابه كما قال المؤلف: "من وجـوه شـتى بكلام يفهمه أبلد العامة ، فقد وضــحه رســول الله صــلى الله عليه وســلم فقد جــاء عليه الصــلاة والســلام بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شـــــــائبة، وسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضــعافه ،

حتى إن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما شاء الله وشئت" فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده"[1] فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الرجل أن يقرن مشيئته بمشيئة الله تعالى بحرف يقتضي التسوية بينهما ، وجعل ذلك من اتخاذ الند لله عز وجل ، ومن ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم الحلف بغير الله وجعل ذلك من الشرك بالله فقال صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"[1] وذلك لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله عز وجل ، وحينما قدم عليه وفد فقالوا: "يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا" قال : "يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل"[2] وقد عقد المصنف رحمه الله لذلك باباً في كتاب التوحيد.

فقال: "باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك".

وكما بين الله تعالى الإخلاص وأظهره بين ضده وهو الشرك فقال تعالى: }إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء{ {سورة النساء، الآية: 116} وقال تعالى: }واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً{ {سورة النساء، الآية: 36}.

وقال: }ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت{ ، {سورة النحل ، الآية: 36} والآيات

---

[1] أخرجه الإمام أحمد جـ1 ص214، ص 224، والنسائي في "عمل اليوم و الليلة" ص 286 رقم (994-995)، وعبد الرزاق في "المصنف" جـ11، ص27، والبخاري في "الأدب" المفرد" ص243 .

[1] أخرجه الإمام أحمد جـ2 ص 125، وأبو داود : كتاب الأيمان والنذور : باب الحلف بغير الله تعالى، والترمذي : كتاب النذور: باب كراهية الحلف بغير الله وقال : حديث حسن، والبيهقي في "السنن" جـ10 ص 29، والبغوي في "شرح السنة" جـ10 ص7، والحاكم في "المستدرك" جـ1 ص65، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين" .

[2] أخرجه الإمام أحمد جـ3 ص 241، وعبد الرزاق في "المصنف" جـ11 ص 272، والبخاري في "الأدب المفرد" رقم (875).

في ذلك كثـيرة. ويقـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم :"من لقي الله لا يشـرك به شـيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"[3] رواه مسلم من حديث جابر.
والشرك على نوعين:

النـوع الأول: شـرك أكـبر مخـرج عن الملة وهـو: "كل شرك أطلقه الشارع وهو مناف للتوحيد منافاة مطلقـة" مثل أن يصـرف شـيئاً من أنـواع العبـادة لغـير الله بـأن يصلي لغير الله أو يذبح لغير اللـه، أو ينـذر لغـير اللـه، أو أن يدعو غـير الله تعـالى مثل أن يـدعو صـاحب قـبر ، أو يـدعو غائبـاً لإنقـاذه من أمر لا يقـدر عليه إلا الحاضـر، وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم.
النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو "كل عمل قولي أو

---

[3] أخرجه البخاري : كتاب العلم: باب من خص بالعلم قومـاً دون قـوم كراهية أن لا يفهموا، ومسلم : كتاب الإيمان: باب من مات لا يشـرك بالله شـيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك دخل النار.

فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينـافي التوحيد منافاة مطلقـة" مثل الحلف بغـير الله فالحـالف بغير الله الـذي لا يعتقد أن لغـير الله تعـالى من العظمة ما يماثل عظمة الله مشـرك شـركاً أصـغر ، ومثل الريـاء وهو خطــير قــال فيه النــبي صــلى الله عليه وعلى آله وسلم : "أخوف ما أخـاف عليكم الشـرك الأصـغر فسـئل عنــه؟ فقــال : الريــاء"[1] وقد يصل الريــاء إلى الشــرك الأكــبر، وقد مثل ابن القيم رحمه الله للشــرك الأصــغر بيسير الرياء وهذا يدل على أن كثير الريــاء قد يصل إلى الشــرك الأكــبر، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعـالى: }إن الله لا يغفر أن يشـرك به{ {سـورة النسـاء، الآية: 116}. يشمل كل شرك ولو كان أصغر ، فـالواجب الحـذر من الشـرك مطلقـاً فـإن عاقبته وخيمة قـال الله تعــالى: }إنه من يشــرك بالله فقد حــرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار{ ، {سورة المائــدة، الآية: 72} فإذا حرمت الجنة على المشرك لزم أن يكون خالـداً في النـار أبـداً ، فالمشـرك بالله تعـالى قد خسر الآخـرة لا ريب لأنه في النـار خالـداً ، وخسر الـدنيا لأنه قـامت عليه الحجة وجـاءه النـذير ولكنه خسر لم يسـتفد من الدنيا شيئاً قال الله تعالى: }قل إن الخاسرين الذين خســـروا أنفســـهم وأهليهم يـــوم القيامة ألا ذلك هو الخســران المــبين{ {ســورة الزمر ، الآيــة: 15}. فخسر نفسه لأنه لم يســتفد منها شــيئاً وأوردها النـــار وبئس الورد المورود، وخسر أهله لأنهم إن كـانوا مؤمـنين فهم في الجنة فلا يتمتع بهم ، وإن كــانوا في النـــار فكــذلك لأنه كلما دخلت أمة لعنت أختها.

واعلم أن الشرك خفي جـداً وقد خافه خليل الـرحمن وإمـام الحنفـاء كما حكى الله عنـه: }واجنبـني وبـني أن نعبد الأصنام{ {سورة إبراهيم، الآية: 35}. وتأمل قولــه: }واجنبـني{ ولم يقـل: "وامنعـني" لأن معـنى اجنبـني أي اجعلني في جانب وعبادة الأصنام في جـانب، وهـذا أبلغ

---

[1] أخرجه الإمـام أحمد جــ5 ص428، وابن أبي شـيبة في "الإيمـان" ص86 بـاب الخروج من الإيمان بالمعاصي ، والهيثمي في " المجمـع" جــ10 ص222 وقـال : "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة" .

من امنعني لأنه إذا كان في جانب وهي في جانب ، كـان أبعد ، وقـال ابن أبي مليكة : "أدركت ثلاثين من أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كلهم يخـاف النفـاق على نفسـه" [2] وقـال أمـير المؤمـنين عمر بن الخطـاب رضي الله عنه لحذيفة بن اليمـــان: "أنشـــدك الله هل سـماني لك رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مع من سمى من المنافقين"

مع أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم بشـره بالجنة ولكنه خاف أن يكون ذلك لما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسـلم من أفعاله في حياتـه، فلا يـأمن النفـاق إلا منـافق ، ولا يخـاف النفـاق إلا مـؤمن، فعلى العبد أن يحـرص على الإخلاص وأن يجاهد نفسه عليه قـال بعض السلف : "ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهـدتها على الإخلاص" فالشـرك أمـره صـعب جـداً ليس بـالهين ولكن الله ييسر الإخلاص على العبد وذلك بـأن يجعل الله نصب عينيه فيقصد بعمله وجه الله.

---

[2] أخرجه البخـاري : كتـاب الإيمـان : بـاب خـوف المـؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

الأصل الثاني

أمر الله بالاجتماع في الـدين ونهى عن التفـرق فيـه، فــبين الله هـذا بيانــاً شـافياً تفهمه العـوام ، ونهانا أن نكون كالـذين تفرقـوا واختلفـوا قبلنا فهلكـوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهـاهم عن التفـرق فيه ، ويزيـــده وضـــوحاً ما وردت به الســـنة من العجب العجــاب في ذلــك، ثم صــار الأمر إلى أن الافــتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين ، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

الشــرح

قوله: "أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه . . إلخ"

الأصل الثاني من الأصـول الـتي سـاقها الشـيخ-رحمه الله تعالى-الاجتماع في الدين والنهي عن التفــرق فيه ، وهذا الأصل العظيم قد دل عليه كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعمل الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله تعالى:

أما كتاب الله تعالى: فقد قال اللــه-عز وجــل-:}يا أيها الــذين آمنــوا اتقــوا الله حق تقاته ولا تمــوتن إلا وأنتم مســلمون . واعتصــموا بحبل الله جميعــاً ولا تفرقـــوا واذكـــروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعـــداء فـــألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانـاً وكنتم على شـفا حفـرة من النار فأنقـذكم منها كـذلك يـبين الله لكم آياته لعلكم تهتــدون {{ ســورة آل عمــران، الآيتــان: 102-،103}. وقال تعالى : }ولا تكونـوا كالـذين تفرقـوا واختلفـوا من بعد ما جــاءهم البينـــات وأولئك لهم عـــذاب عظيم { . {ســورة آل عمــران، الآيــة: 105}. وقــال تعــالى :} ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم{ {سورة الأنفال، الآيــة: 46} وقال تعالى: }إن الذين فرقـوا دينهم وكـانوا شـيعاً لست منهم في شــيء{ {ســورة الأنعــام، الآيــة: 159} وقــال تعــالى: }شــرع لكم من الــدين ما وصى به نوحــاً والـــذي أوحينا إليك وما وصـــينا به إبـــراهيم وموسى

وعيسى أن أقيمــوا الــدين ولا تتفرقــوا فيه﴿ {ســورة الشورى، الآية: 13}.

ففي هـذه الآيـات نهى الله تعـالى عن التفـرق وبين عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها.

وأما دلالة الســنة على هـذا الأصل العظيم: فقد قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقـره، التقـوى هاهنا ، التقـوى هاهنا-ويشير إلى صدره- بحسب امرئ

من الشر أن يحقر أخــاه المســلم، كل المســلم على المســلم حــرام دمه وعرضه ومالــه"[1] وفي روايــة: "لا تحاسـدوا ، ولا تباغضـوا، ولا تجسسـوا ولا تحسسـوا ولا تناجشــوا وكونــوا عبــاد الله إخوانــاً" وفي روايــة: "لا تقـاطعوا ولا تـدابروا ولا تباغضـوا ولا تحاسـدوا وكونـوا عبــاد الله إخوانــاً"[2]. ويقــول عليه الصــلاة والســلام: "المـؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشد بعضه بعضـاً" [3] وقـال عليه الصلاة والسلام لأبي أيوب رضي الله عنه: "ألا أدلك على تجارة؟" قال : بلى يا رسـول اللـه. قـال : "تسـعى في الإصلاح بين النـاس إذا تفاسـدوا ،وتقـارب بينهم إذا تباعدوا" [4] وفي مقابلة أمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالتحاب والتـآلف ومحبة الخـير والتعـاون على البر والتقوى وفعل الأسباب التي تقوي ذلك وتنميه في مقابلة ذلك نهى النبي صـلى الله عليه وسـلم عن كل ما يوجب تفرق المسلمين وتباعـدهم وذلك لما في التفـرق والبغضــاء من المفاسد العظيمة فـالتفرق هو قــرة عين شـــياطين الجن والإنس، لأن شـــياطين الإنس والجن لا يــودون من أهل الإســلام أن يجتمعــوا على شــيء فهم يريــدون أن يتفرقــوا لأنهم يعلمــون أن التفــرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عز وجل.

فــالنبي صــلى الله عليه وســلم حث على التـــآلف والتحـــاب بقوله وفعله ، ونهى عن التفـــرق والاختلاف الذي يؤدي إلى تفريق الكلمة وذهاب الريح.

وأما عمل الصـــحابة: فقد وقع بينهم رضي الله عنهم الاختلاف ،لكن لم يحصل به التفـــرق ولا العـــداوة ولا البغضــاء، فقد حصل الخلاف بينهم في عهد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ورسـول الله بين أظهـرهم فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسـلم لما فـرغ من غـزوة

---

[1] أخرجه البخاري : كتاب الإكراه : باب يمين الرجل لصاحبه : إنه أخوه إذا خــاف عليه القتل أو نحوه، ومسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم.

[2] أخرجه البخاري : كتاب الأدب : بـاب ما ينهى عن التحاسد والتـدابر ، ومسـلم : كتاب البر والصلة: باب تحريم التحاسد والتباغض.

[3] أخرجه البخـاري :كتـاب الأدب: بـاب تعـاون المؤمـنين بعضـهم بعضـاً، ومسـلم :كتاب البر والصلة : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

[4] الهيثمي: في المجمع جـ 8 ص 80.

الأحزاب، وجاءه جبريل يـأمره أن يخـرج إلى بـني قريظة لنقضهم العهد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة" [5].

فخرجــوا من المدينة إلى بــني قريظــة، وحــان وقت صــلاة العصــر، فقــال بعضــهم : لا نصــلي إلا في بــني قريظـة، ولو غـابت الشـمس، لأن النـبي صـلى الله عليه وســلم قــال: "لا يصــلين أحد منكم العصر إلا في بــني قريظة".فنقول سمعنا وأطعنا .

ومنهم من قــال: نصــلي في الـوقت لأن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أراد بـذلك المبـادرة والإسـراع إلى الخروج ولم يرد منا تأخير الصلاة . فبلغ ذلك النبي صـلى الله عليه وسلم فلم يعنف أحداً منهم ولم يوبخه على ما فهم ، وهم بأنفســهم رضي الله عنهم لم يتفرقــوا من أجل ختلاف الرأي في فهم حديث رسول الله صــلى الله عليه وسلم .

أما عمل السلف الصـالح: فـإن من أصـول أهل السـنة والجماعة في المســائل الخلافية أن ما كـان الخلاف فيه صـادراً عن اجتهـاد وكـان مما يسـوغ فيه الاجتهـاد فـإن بعضهم يعذر بعضاً بالخلاف ولا يحمل بعضــهم على بعض حقـداً ، ولا عـداوة ، ولا بغضـاء بل يعتقـدون أنهم إخـوة حــتى وإن حصل بينهم هــذا الخلاف ، حــتى إن الواحد منهم ليصلي خلف من يـرى أنه ليس على وضـوء ويـرى الإمام أنه على وضوء ، مثل أن يصـلي خلف شـخص أكل لحم إبل وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صــحيحة ، كل هــذا لأنهم يــرون أن الخلاف الناشئ عن اجتهـــاد فيما يســـوغ فيه الاجتهـــاد ليس في الحقيقة بخلاف، لأن كل واحد من المختلفين قد تبع ما يجب عليه اتباعه من الـدليل الـذي لا يجـوز له العـدول عنـه، فهم يرون أن أخـاهم إذا خـالفهم في عمل ما اتباعـاً للـدليل هو في الحقيقة قد وافقهم ، لأنهم يـــدعون إلى اتبـــاع

---

(5) أخرجه البخاري : كتاب الخوف: باب صـلاة الطـالب والمطلـوب راكبـاً وإيمـاء، ومسلم : كتاب الجهاد والسير : باب المبادرة بالغزو. . . .

الدليل أينما كان،فإذا خـالفهم موافقة لـدليل عنـده فهو في الحقيقة قد وافقهم،لأنه تمشى على ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتـاب الله تعـالى وسـنة رسـوله صلى الله عليه وسلم .

أما مـالا يسـوغ فيه الخلاف فهو ما كـان مخالفـاً لما كان عليه الصحابة والتابعون، كمسائل العقائد الـتي ضل فيها من ضل من النـــاس ، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القـــرون المفضـــلة-أي لم ينتشر الخلاف إلا بعد القـرون المفضـلة-وإن كـان بعض الخلاف فيها موجـوداً في عهد الصحابة ولكن ليعلم أننا إذا قلنا : قرن الصحابة ليس المعنى أنه لا بد أن يمـوت كل الصـحابة، بل القـرن ما وجد فيه معظم أهله قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية – رحمه الله – : "إن القرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله".

فـــالقرون المفضـــلة انقرضت ولم يوجد فيها هـــذا الخلاف الـذي انتشر بعـدهم في العقائد ، فمن خـالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه عليه ولا يقبل خلافه.

أما المسائل التي وجد فيها الخلاف في عهد الصـحابة وكان فيها مسـاغ للاجتهـاد فلا بد أن يكـون الخلاف فيها باقياً قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحـاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجـر" [1] فهذا هو الضابط.

فالواجب على المسلمين جميعاً أن يكونوا أمة واحـدة وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحـزب بحيث يتنـاحرون فيما بينهم بأســنة الألسن ويتعــادون ويتباغضــون من أجل اختلاف يسـوغ فيه الاجتهـاد فـإنهم وإن اختلفـوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم فإن هـذا أمر فيه سـعة ولله الحمـد، والمهم ائتلاف القلـوب واتحـاد الكلمة ولا ريب أن أعـداء المسـلمين يحبـون من المسـلمين أن يتفرقـوا سـواء كـانوا أعـداء يصـرحون

---

(1) أخرجه البخاري :كتاب الاعتصـام بالكتـاب والسـنة: بـاب أجر الحـاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ومسلم: كتاب الأقضية: باب بيان أجر الحـاكم إذا اجتهد فأصـاب أو أخطأ.

بالعــداوة ، أو أعــداء يتظــاهرون بالولاية للمســلمين أو للإسلام وهم ليسوا كذلك.

الأصل الثالث

أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تــأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً ، فبين الله هـذا بيانـاً شـائعاً كافيـاً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً ، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به.

الشرح

قوله: "أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة . . إلخ".

ذكر المؤلف رحمه الله تعـالى -أن من تمـام الاجتمـاع السمع والطاعة لولاة الأمر بامتثال ما أمروا به وتـرك ما نهواعنه ولو كان من تأمر علينا عبداً حبشياً.

قوله: "فبين الله هذا بياناً شائعاً كافياً . . . إلخ".

أما بيانه شرعاً: ففي كتاب الله تعـالى وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم: فمن بيانه في كتـاب الله تعـالى قوله تعـالى: }يا أيها الـذين آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسول وأولي الأمر منكم{ {سورة النساء، الآيــة: 59}. الآية ، وقوله : }وأطيعــــوا الله ورســــوله ولا تنـــــازعوا فتفشـــــلوا وتـــــذهب ريحكم واصـــــبروا إن الله مع الصـــابرين{ {ســـورة الأنفـــال، الآيـــة: 46} وقولـــه: }واعتصـموا بحبل الله جميعــاً ولا تفرقــوا{ {ســورة آل عمران، الآية: 103}.

ومن بيانه في سنة رسول الله صلى الله عليه وســلم : ما ثبت في الصـحيحين من حـديث عبـادة ابن الصـامت رضي الله عنه قـال: "بايعنا رسـول الله صـلى الله عليه وســلم على الســمع والطاعة في منشــطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا نتـازع الأمر أهله ، قـــال : إلا أن تـــروا كفـــراً بواحـــاً عنـــدكم من الله فيه برهـان"[1]. وقـال عليه الصـلاة والسـلام : "من رأى من أميره شيئاً فليصبر فإنه من فارق الجماعة شـبراً فمـات فميتته جاهلية"[2] وقال صلى الله عليه وسلم : "من خلع

---

[1] أخرجه البخاري : كتاب الفتن : باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: "سـترون بعدي أموراً تنكرونها"، ومسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

[2] البخاري : كتاب الفتن : باب قول النبي عليه الصلاة والسـلام: "سـترون بعـدي أموراً تنكرونها"، ومسلم : كتاب الإمارة : بـاب وجـوب ملازمة جماعة المسـلمين

يداً من الطاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له"[3] وقال : " اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي"[4] وقال عليه الصــلاة والســلام: "على المــرء المســلم الســمع والطاعة فيما أحب وكـره إلا أن يـؤمر بمعصـية فـإذا أمر بمعصـية فلا سـمع ولا طاعـة"[1] متفق عليـه. وقـال عبد الله بن عمر رضي الله عنهمـا: كنا مع النــبي صــلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فنادى منــادي رســول الله صــلى الله عليه وســلم الصــلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه ما من نبي بعثه الله إلا كــان حقــاً عليه أن يــدل أمته على خــير ما يعلمه لهم، وينــذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هــذه جعلت عافيتها في أولهــا، وسيصــيب آخرها بلاء وأمــور تنكرونها، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضــاً ، تجيء الفتنة فيقول المؤمن: هـذه مهلكـتي ، وتجيء الفتنة فيقـول : هذه هـذه، فمن أحب أن يزحــزح عن النــار ويــدخل الجنة فلتأته منيته وهو يـؤمن بالله واليـوم الآخـر، وليـأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بـايع إمامـاً فأعطـاه صفقة يـده وثمـرة قلبه فليطعه إن اسـتطاع فـإن جـاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"[2] رواه مسلم.

وأما بيانه قــدراً: فإنه لا يخفى حــال الأمة الإســلامية حين كانت متمسكة بـدينها، مجتمعة عليـه، معظمة لـولاة أمورهــا، منقــادة لهم بــالمعروف ، كــانت لها الســيادة والظهـور في الأرض كما قــال تعــالى: }وعد الله الــذين آمنـوا منكم وعملـوا الصـالحات ليسـتخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الــذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنــاً يعبـدونني لا يشركون بي شيئاً{ {سورة النـور ، الآية : 55}ـ ، وقـال

عند ظهور الفتن.

[3] رواه مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسـلمين عند ظهـور الفتن.

[4] أخرجه البخــاري : كتــاب الأحكــام : بــاب الســمع والطاعة للإمــام ما لم تكن معصية.

[1] أخرجه البخــاري : كتــاب الأحكــام : بــاب الســمع والطاعة للإمــام مــالم تكن معصية، ومسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

[2] مسلم :كتاب الإمارة: باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

تعـالى: ﴿ولينصـرن الله من ينصـره إن الله لقـوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتـوا الزكـاة وأمروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبة الأمـور﴾. {سورة الحج، الآيتان: 40-41} .

ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت وفرقوا دينهم ، وتمـــردوا على أئمتهم ، وخرجـــوا عليهم وكـــانوا شـــيعاً نـزعت المهابة من قلـوب أعـدائهم ، وتنـازعوا ففشـلوا وذهبت ريحهم ، وتداعت عليهم الأمم وصاروا غثاء كغثاء السيل.

وصار هـذا الأصل لا يعـرف عند أكـثر من يـدعي العلم والغيرة على دين الله وترك العمل به ورأى كل فــرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المنابذ للأمير. فالواجب علينا جميعاً –رعـاة ورعيـة-أن نقـوم بما أوجب الله علينا من التحـــاب والتعـــاون على الـــبر والتقـــوى، والاجتماع على المصالح لنكون من الفــائزين ، وعلينا أن نجتمع على الحق ونتعـــاون عليـــه، وأن نخلص في جميع أعمالنا ، وأن نسـعى لهـدف واحد هو إصـلاح هـذه الأمة إصــلاحاً دينيــاً ودنيويــاً بقــدر ما يمكن ، ولن يمكن ذلك حـتى تتفق كلمتنا ونـترك المنازعـات بيننا والمعارضـات الـتي لا تحقق هـدفاً ، بل ربما تفـوت مقصـوداً وتعـدم موجوداً.

إن الكلمة إذا تفـــرقت ،والرعية إذا تمـــردت ، دخلت الأهـواء والضـغائن وصـار كل واحد يسـعى لتنفيذ كلمته وإن تـــبين أن الحق والعـــدل في خلافها وخرجنا عن توجيهـات الله تعـالى حيث يقـول: ﴿يا أيها الـذين آمنـوا اتقـــوا الله حق تقاته ولا تمـــوتن إلا وأنتم مســـلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصـبحتم بنعمته إخوانـاً وكنتم على شـفا حفـرة من النـار فأنقـذكم منها كــذلك يــبين الله لكم آياته لعلكم تهتــدون﴾. {ســورة آل عمران، الآيتان:102- 103} .

فإذا عرف كل واحد منال ما له وما عليه وقام به على وفق الحكمة فـــإن الأمـــور العامة والخاصة تســـير على أحسن نظام وأكمله.

الأصل الرابع

بيـان العلم والعلمـاء ، والفقه والفقهـاء ، وبيـان من تشـــبه بهم وليس منهم ، وقد بين الله هـــذا الأصل في أول سـورة البقـرة من قولـه: }يـابني إسـرائيل اذكـروا نعمـــتي الـــتي أنعمت عليكم وأوفـــوا بعهـــدي أوف بعهدكم{ {سورة البقرة، الآيـة: 40} إلى قولـه: }يا بـني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العـالمين{ ، {سـورة البقـرة، الآيـة: 47}. ويزيـده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثـير الـبين الواضح للعامي البليد ، ثم صار هذا أغرب الأشياء ، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل ، وصار العلم الذي فرضه الله تعـالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون ، وصار من أنكـره وعـاداه وصـنف في التحـذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الشـرح

قولـــه: "بيـــان العلم والعلمـــاء ، والفقه والفقهـــاء . . .إلخ"

المــراد بــالعلم [*] هنا العلم الشــرعي وهو : "علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى" والعلم الــذي فيه المدح والثناء هو علم الشرع

(*) انظر في هذا الكتاب الفذ لشيخنا "كتاب العلم" . وقد صدر حديثاً.

علم ما أنزله الله على رسـوله صـلى الله عليه وسـلم من الكتـاب والحكمة قـال الله تعـالى : }قل هل يسـتوي الــذي يعلمــون والــذين لا يعلمــون إنما يتــذكر أولــوا الألباب{ ، {سـورة الزمر ، الآيـة: 9} وقـال النـبي صـلى الله عليه وســـلم : "من يـــرد الله به خـــيراً يفقهه في الــدين" [1] وقــال النــبي صــلى الله عليه وســلم : "إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثـوا العلم فمن أخــذه أخذ بحظ وافــر" [2] ومن المعلــوم أن الــذي ورثه الأنبياء إنما هو علم الشـريعة، ومع هـذا فنحن لا ننكر ان يكون للعلوم الأخرى فائدة ، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعـــــانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله كانت خيراً ومصـلحة ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية وهذا محل نظر ونزاع.

وعلى كل حــال فــالعلم الــذي ورد الثنــاء فيه وعلى طالبيه هو فقه كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسلم ، وما عدا ذلك فإن كان وسيلة إلى

---

[1] أخرجه البخاري : كتاب العلم : باب من يرد الله به خيراً، ومسلم: كتاب الزكاة : باب النهي عن المسألة.

[2] أخرجه الإمام أحمد جـ5 ص196، وأبو داود (3641) والترمـذي (2681) وابن ماجه (223) والدارمي (338) والبغوي في " شرح السنة" جــ 1 ص 275 بـرقم {129}،وابن حبان في "صحيحه" برقم 88 ، والهيثمي في "موارد الظمآن" جــ 1ص 177 برقم {80}، والبخاري في " صحيحه" جـ8 ص 337 ، قال الحافظ في "الفتح" جـ1 ص 160 "وله شواهد يتقوى بها".

خير فهو خير ، وإن كان وسيلة إلى شر فهو شر، وإن لم يكن وسيلة لهذا وهذا فهو ضياع وقت ولغو.

والعلم له فضائل كثيرة:

منها: أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الـدنيا، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قـاموا به من الـدعوة إلى الله والعمل بما عملـوا، وفي الـدنيا يـرفعهم الله بين عبـاده بحسب ما قـاموا به قـال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنـوا منكم والـذين أوتـوا العلم درجات﴾ {سورة المجادلة، الآية: 11} .

ومنها : أنه إرث النبي صلى الله عليه وسلم كما قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم : "إن الأنبيـاء لم يورثـوا دينـاراً ولا درهمـاً إنما ورثـوا العلم فمن أخـذه أخذ بحظ وافر"[1] .

ومنها : أنه مما يبقى للإنسان بعد مماته فقد ثبت في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : " إذا مـات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صـــدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له "[2]

---

[1] تقدم انظر ص 114.

[2] أخرجه مسلم: كتاب الوصية: باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

ومنها : أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لم يـرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من النعم إلا على نعمـتين هما:

1-طلب العلم والعمل به.

2-الغني الذي جعل ماله خدمة للإسلام ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : "لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتـاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" [1] .

ومنها: أن العلم نـور يستضـيء به العبد فيعـرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل غــيره، فتكــون مســيرته في ذلك على علم وبصيرة.

ومنها : أن العــالم نــور يهتــدي به النــاس في أمــور دينهم ودنيــاهم ، ولا يخفى على كثــير من النــاس قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعاً وتسـعين نفسـاً فسأل رجلاً عابداً هل له من توبة . فكأن العابد استعظم الأمر فقال: "لا" فقتله السائل فــأتم به المئة ، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة وأنه لا شــيء يحـول بينه وبين التوبــة، ثم دله على بلد أهله صـالحون ليخــرج إليه

---

[1] رواه البخاري : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة، ومسلم : كتاب المسافرين من كتاب الصلاة : باب من يقوم بالقرآن ويعلمه.

فخـــرج فأتـــاه المـــوت في أثنـــاء الطريق ، والقصة مشهورة [1] فانظر الفرق بين العالم والجاهل.

إذا تــبين ذلك فلابد من معرفة من هم العلمـاء حقـاً ، هم الربانيون الذين يربون الناس على شريعة ربهم حتى يتمــيز هــؤلاء الربــانيون عمن تشــبه بهم وليس منهم ، يتشبه بهم في المظهر والمنظر والمقال والفعال، لكنه ليس منهم في النصــيحة للخلق وإرادة الحق ، فخيــار ما عنده أن يلبس الحق بالباطل ويصـوغه بعبـارات مزخرفة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجــده شــيئاً، بل هو البـــدع والضـــلالات الـــذي يظنه بعض النـــاس هو العلم والفقه وأن ما سواه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون.

هذا معنى كلام المؤلف -رحمه اللــه- وكأنه يشــير إلى أئمة أهل البدع المضـلين الـذين يلمـزون أهل السـنة بما هم بريئــون منه ليصــدوا النــاس عن الأخذ منهم ، وهــذا إرث الذين طغوا من قبلهم وكذبوا الرسل كما قــال الله تعالى: }كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الله إلا قالوا ساحر أو مجنون{ {ســورة الـذاريات، الآية : 52}ـ .

---

[1] نص القصة: عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخــدري رضي الله عنه أن رســول الله صــلى الله عليه وســلم قــال: "كــان فيمن قبلكم رجل قتل تســعة وتسـعين نفسـاً فسـأل عن أعلم أهل الأرض؛ فـدل على راهب فأتـاه فقـال : إنه قتل تسـعة وتسـعين نفسـاً فهل له من توبـة؟ فقـال: لا فقتله فكمل به مئـة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عـالم فقـال : إنه قتل مئة نفس فهل له من توبــة؟ فقــال: نعم ؛ ومن يحــول بينه وبين التوبــة؟! انطلق إلى أرض كــذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سـوء، فـانطلق حـتى إذا نصف الطريق أتـاه المـوت فاختصـمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العــذاب فقـالت ملائكة الرحمة : جـاء تائبـاً مقبلاً بقلبه إلى الله تعـالى! وقـالت ملائكة العـذاب: إنه لم يعمل خـيراً قـط، فأتـاهم ملك في صـورة آدمي فجعلوه بينهم-أي حكماً –فقال:قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة" وفي روآية : الصحيح: "فكان إلى القرية الصالحة أقــرب بشــبر فجعل من أهلهــا" وفي روآية : في الصــحيح : "فــأوحى الله تعــالى إلى هــذه أن تباعــدي وإلى هــذه أن تقربي" . وقال : "قيسوا ما بينهمــا، فوجــدوه إلى هــذه أقــرب بشــبر فغفر لــه" . وفي روآية : "فنأى بصدره نحوهـا" أخرجه البخـاري : كتـاب الأنبيـاء: بـاب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم : كتـاب التوبة : بـاب قبـول توبة القاتل رقم {46-47-48} جــ4 ص 2118 ولمزيد من الفائـدة راجع شـرح فضـيلة شـيخنا على هـذا الحديث في "شرح رياض الصالحين"جـ1 : كتاب التوبة حديث رقم (21) ولا يزال العمل فيه جارياً.

قــال الله تعــالى:}أتواصــوا به بل هم قــوم طــاغون{ . {سورة الذاريات، الآية: 53}.

الأصل الخامس

بيـــان الله ســبحانه لأوليـــاء الله وتفريقه بينهم وبين المتشــبهين بهم من أعــداء الله المنـــافقين والفجـــار، ويكفي في هــذا آية من ســورة آل عمــران وهي قولــه: }قل إن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكم الله{ {سـورة آل عمـران، الآيـة: 31} . الآية ،و آية في سـورة المائـدة وهي قولـه: }يا أيها الـذين آمنـوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه{ {سورة المائدة، الآيــة: 54} . الآية ، وآية في يــونس وهي قوله : }ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنـون . الـذين أمنـوا وكانوا يتقـون{ {سـورة يـونس ، الآيتـان: 62-63}ـ ، ثم صـار الأمر عند الله أكـثر من يـدعي العلم وأنه من هـداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتبــــاع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من تــــرك الجهاد فمن جاهد فليس منهم ، ولا بد من تـرك الإيمـان والتقــوى فمن تعهد بالإيمـــان والتقــوى فليس منهم يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الشـرح

قوله: "بيان الله سبحانه لأولياء الله . . .إلخ"

أوليــــاء الله تعـــالى هم الـــذين آمنـــوا به واتقـــوه واستقاموا على دينه وهم من وصفهم الله تعالى بقوله: }ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الـذين آمنوا وكانوا يتقـون{ فليس كل من يـدعي الولاية يكـون وليــاً ، وإلا لكــان كل واحد يــدعيها ، ولكن يــوزن هــذا المدعي للولاية بعمله، إن كـان عمله مبنيـاً على الإيمـان والتقوى فإنه ولي ، وإلا فليس بولي وفي دعواه الولاية تزكية لنفسه وذلك ينــافي تقــوى الله عز وجل لأن الله تعــــالى يقــــول: }فلا تزكــــوا أنفســــكم هو أعلم بمن اتقى{ {ســورة النجم، الآيــة: 32} . فــإذا ادعى أنه من أوليــــاء الله فقد زكى نفسه وحينئذ يكــــون واقعــــاً في معصـية الله وفيما نهـاه الله عنه وهـذا ينـافي التقـوى ، فأولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشـهادة، وإنما هم يؤمنــون بالله ويتقونــه، ويقومــون بطاعته ســبحانه

وتعـــــالى على الوجه الأكمل ، ولا يغـــــرون النـــــاس ويخدعونهم بهذه الدعوى حـتى يضـلوهم عن سـبيل الله تعـالى. فهـؤلاء الـذين يـدعون أنفسـهم أحيانـاً أسـياداً ، وأحياناً أولياء لو تأمل الإنسان ما هم عليه لوجـدهم أبعد ما يكونــون عن الولاية والســيادة فنصــيحتي لإخـــواني المسـلمين أن لا يغـتروا بمـدعي الولاية حـتى يقيسـوا حالهم بما جاء في النصوص في أوصاف أوليــاء الله وقد أشـــار الشـــيخ – رحمه الله تعـــالى - إلى علامة محبة صحبة الله وولايته بما ساقه من الآيات :

الآية الأولى: قوله تعـــالى في آل عمـــران : }قل إن كنتم تحبـــون الله فـــاتبعوني يحببكم الله{ {ســـورة آل عمــران، الآيــة: 31} وهــذه الآية تســمى آية المحنة أي الامتحـان حيث ادعى قـوم محبة الله تعـالى فـأنزل الله هــذه الآية فمن ادعى محبة الله تعــالى نظرنا في عمله فـإن كـان متبعـاً لرسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو صادق وإلا فهو كاذب.

الآية الثانيــة: قوله تعـالى في المائـدة: }يا أيها الـذين آمنــوا من يرتد منكم عن دينه فسـوف يــأتي الله بقــوم يحبهم ويحبونه{ ، {سورة المائـدة، الآيـة: 54} . الآيـتين فوصفهم بأوصاف هي علامة المحبة وثمراتها :

الوصف الأول: أنهم أذلة على المؤمـــــــــــــــنين فلا يحاربونهم ولا يقفون ضدهم ولا ينابذونهم.

الوصف الثـاني: أنهم أعـزة على الكـافرين أي أقويـاء عليهم غالبون لهم.

الوصف الثـــالث: أنهم يجاهـــدون في ســـبيل الله أي يبذلون الجهد في قتـال أعـداء الله لتكـون كلمة الله هي العليا.

الوصف الرابـــع: أنهم لا يخـــافون في الله لومة لائم . أي إذا لامهم أحد على ما قـــــــــاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم يمنعهم ذلك من القيـام بـدين الله عز وجل.

الآية الثالثة: قوله تعالى في يونس: }ألا إن أولياء الله لا خـــوف عليهم ولا هم يحزنــون . الـذين آمنــوا وكــانوا يتقون{ {سورة يونس، الآيتان:62-63}. فبين الله تعالى

أن أولياء الله تعالى هم الذين اتصفوا بهذين الوصـفين: الإيمان والتقوى فالإيمان بـالقلب، والتقـوى بـالجوارح ، فمن ادعى الولاية ولم يتصف بهـذين الوصـفين فهو كاذب.

ثم إن الشـيخ-رحمه اللـه-بين أن الأمر صـار على العكس عند أكـثر من يـدعي العلم وأنه من هـداة الخلق وحفـاظ الشـرع فـالولي عنـده من لا يتبع الرسل ولا يجاهد في سبيل الله ولا يؤمن به ولا يتقيه.

ويحسن بنا أن ننقل هنا ما كتبه شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته: "الفرقان بين أوليـاء الرحمن وأولياء الشيطان" [1] ونسوق ما تيسر منها:

قال - رحمه الله-: "وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم أن لله أوليـاء من النـاس،وللشـيطان أوليـاء،ففـرق بين أوليـاء الـرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى:﴿ألا إن أولياء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخـرة لا تبـديل لكلمـات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ "{سورة يونس، الآيـات: 62-64}. وذكر أولياء الشيطان فقـال تعـالى : ﴿فـإذا قـرأت القرآن فاستعذ بالله من الشـيطان الـرجيم . إنه ليس له سـلطان على الـذين آمنـوا وعلى ربهم يتوكلـون . إنما سـلطانه على الـذين يتولونه والـذين هم به مشركون﴾ {سـورة النحـل، الآيـات: 98-100}. فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فـرق الله ورسـوله بينهمـا، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون..... وهم الـذين آمنـوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضـوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط، وأمروا ما يأمر، ونهـوا عما نهى، وأعطـوا من يحب أن يعطى، ومنعـوا من يحب أن يمنع فلا يكـون وليـاً لله إلا من آمن به وبما جـاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه أي الرسـول فليس من أوليـاء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان قـال تعـالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكم الله﴾ {سـورة

---

1) مجموع الفتاوى جـ 1، ص 156 .

آل عمـران ، الآية : 31} فالنـاس متفاضـلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضـلهم في الإيمـان والتقـوى ، وكذلك يتفاضـلون في عـداوة الله بحسب تفاضـلهم في الكفر والنفاق . . وأوليـاء الله على طبقـتين : سـابقون مقربون. وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله في عـدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها ، وفي الإنســان ، والمطففين ، وفي ســورة فــاطر. . . والجنة درجـات متفاضـلة تفاضـلاً عظيمـاً، وأوليـاء الله المؤمنـون المتقـون في تلك الـدرجات بحسب إيمـانهم وتقواهم.

فمن لم يتقـرب إلى الله لا يفعل الحسـنات ولا يـترك السيئات لم يكن من أوليـاء الله فلا يجـوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله لا ســـيما أن تكــــون محجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منـه، أو نـوع من تصـرف . . . فلا يجـوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كـون الشـخص وليـاً لله وإن لم يعلم منه ما ينقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما ينــــــاقض ولاية الله ؟ مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب إتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظـاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأوليــاء الله طريقــاً إلى الله غــير طريق الأنبياء عليهم السـلام . . . فعلى هـذا فمن أظهر الولاية وهو لا يـؤدي الفـرائض ولا يجتنب المحـارم بل قد يـأتي بما ينــاقض ذلك لم يكن لأحد أن يقــول : هــذا ولي الله . . . وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن النــاس في الظاهر من الأمور المباحات . . .

وليس من شرط ولي الله أن يكـون معصـوماً لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجـوز أن يخفى عليه بعض علم الشـريعة ويجـوز أن يشـتبه عليه بعض أمـور الـدين . . .ولهـذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكــون نبيــاً . . . بل يجب أن يعــرض ذلك جميعه على ما جــاء به محمد صــلى الله عليه وسلم فـإن وافقه قبله ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف؟ توقف فيه ، والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفــان ووسط ، فمنهم من

إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حـــدث به قلبه عن ربه وســـلم إليه جميع ما يفعله ، ومنهم من إذا رآه قد قـــــــال أو فعل ما ليس بموافق للشـــرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كـان مجتهـداً مخطئاً. وخيار الأمور أوساطها: هو أن لا يجعل معصـوماً ولا مأثوماً إذا كـان مجتهـداً مخطئـاً ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه بـــالكفر والفسق مع اجتهـــاده، والـواجب على النـاس اتبـاع ما بعث الله به رسـوله . . . وقد اتفق ســـــلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويـترك إلا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فالأنبياء صـلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمـان بجميع ما يخـبرون به عن الله عز وجل وتجب طـــاعتهم فيما يـــأمرون به ، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون بـه، ولا الإيمـان بجميع ما يخـبرون به بل يعـرض أمـرهم وخبرهم على الكتاب والسـنة فما وافق الكتـاب والسـنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صـاحبه من أوليـاء الله وكـان مجتهـداً معـذوراً فيما قالــه، له أجر على اجتهـــاده ، لكنه إذا خـــالف الكتـــاب والسنة كـان مخطئـاً وكـان من الخطأ المغفـور إذا كـان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع . . . . وهـذا الـذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والســنة وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغـيره اتبـاع ما يقع في قلبه من غـير اعتبـار بالكتـاب والسـنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خـالف في هـذا فليس من أولياء الله سـبحانه الـذين أمر الله باتبـاعهم ، بل إما أن يكـون كـافراً ، وإما أن يكـون مفرطـاً في الجهل . . . . وكثـــير من النـــاس يغلط في هـــذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله ، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويســـلم إليه كل ما يقوله ويســـلم إليه كل ما يفعله وإن خــــالف الكتـــاب والســـنة فيوافق ذلك له ، ويخـالف ما بعث الله به رسـوله الـذي فـرض الله على جميع الخلق تصـــديقه فيما أخـــبر ، وطاعته فيما أمر ،

وجعله الفـــــــــارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء

والأشـقياء ، فمن اتبعه كـان من أوليـاء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصـالحين ، ومن لم يتبعه كـان من أعــداء الله الخاســرين المجــرمين فتجــره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال ، وآخـراً إلى الكفر والنفـاق . . . وتجد كثـيراً من هـؤلاء عمــدتهم في اعتقـــاد كونه وليـــاً لله أنه قد صـــدر عنه مكاشـفة في بعض الأمـور ، أو بعض التصـرفات الخارقة للعادة ..ـ وليس في شيء من هـذه الأمـور ما يـدل على أن صـــاحبها ولي لله بل قد اتفق أوليـــاء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغـتر به حـتى ينظر متابعته لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وموافقته لأمره ونهيه . . . وكرامـات أوليـاء الله تعـالى أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعـادة وإن كـان صـاحبها وليـاً لله فقد يكـون عـدواً لله فـإن هـذه الخــوارق تكــون لكثــير من الكفــار والمشــركين وأهل الكتـاب والمنـافقين، وتكـون لأهل البـدع ، وتكـون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتـبر أوليـاء الله بصـفاتهم وأفعــالهم وأحــوالهم الــتي دل عليها الكتــاب والســنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشــرائع الإســلام الظـاهرة . . . وقد اتفق سـلف الأمة وأئمتها وسائر أوليـاء الله تعـالى على أن الأنبيـاء أفضل من الأوليــاء الــذين ليســوا بأنبيــاء وقد رتب الله عبــاده السعداء المنعم عليهم "أربع مـراتب" فقـال الله تعـالى: ﴿ومن يطع الله والرســول فأولئك مع الــذين أنعم الله عليهم من النبــيين والصــديقين والشــهداء والصــالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ {سورة النسـاء، الآيـة: 69}ـ ـ ـ . ولهم الكرامــات الــتي يكــرم الله بها أوليــاءه المتقين وخيــار أوليـاء الله كرامـاتهم لحجة في الـدين أو لحاجة بالمسـلمين كما كـانت معجـزات نـبيهم صـلى الله عليه وسـلم كـذلك ، وكرامـات أوليـاء الله إنما حصـلت ببركة اتبـــاع رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم فهي في الحقيقة تـدخل في معجـزات الرسـول صـلى الله عليه وسلم . . . . ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون

بحسب حاجة الرجل فـإذا احتـاج إليها لضـعف الإيمـان أو المحتاج أتـاه منها ما يقـوي إيمانه ويسد حاجتـه، ويكـون من هو أكمل ولاية لله منه مســـــتغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ، ولهـذا كانت هذه الأمـور في التـابعين أكـثر منها في الصـحابة. بخلاف من يجــري على يديه الخـــوارق لهـــدي الخلق ولحاجتهم فهـؤلاء أعظم درجة . . . والنـاس في خـوارق العادات على ثلاثة أقسام:

قسم يكذب بوجود ذلك لغـير الأنبيـاء ، وربما صـدق به مجملاً ، وكــذب ما يــذكر له عن كثــير من النـــاس لكونه عنده ليس من الأولياء.

ومنهم من يظن أن كل من كـــان له نـــوع من خـــرق العادة كان ولياً لله . وكلا الأمرين خطأ . . ولهذا تجد أن هــؤلاء يــذكرون أن للمشــركين وأهل الكتــاب نصــراء يعينـونهم على قتـال المسـلمين وأنهم من أوليـاء اللـه، وأولئك يكـــذبون أن يكـــون معهم من له خـــرق عـــادة والصواب القـول الثـالث وهو أن معهم من ينصـرهم من جنسهم لا من أولياء الله عز وجل .

وفيما نقل كفاية إن شاء الله تعـالى ومن أراد المزيد فليرجع إلى الأصل والله الموفق.

الأصل السادس

رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة ، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر ، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه ، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق ، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعاً وقدراً ، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ولكن أكثر الناس لا يعلمون }لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم{. {سورة يس ، الآيات: 7-11} .

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

الشرح

قوله : "رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة. . . .إلخ"

الاجتهاد لغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.
واصطلاحاً : بذل الجهد لإدراك حكم شرعي.

والاجتهاد له شروط منها: -

1- **1- أن يعلم من الأدلة الشرعية ما يحتاج إليه في اجتهاده كآيات الأحكام وأحاديثها.**
2- **2- أن يعرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه كمعرفة الإسناد ورجاله وغير ذلك.**
3- **3- أن يعرف الناسخ والمنسوخ ومواقع الإجماع حتى لا يحكم بمنسوخ أو مخالف للإجماع.**
4- **4- أن يعرف من الأدلة ما يختلف به الحكم من تخصيص أو تقييد أو نحوه حتى لا يحكم بما يخالف ذلك .**
5- **5- أن يعرف من اللغة وأصول الفقه ما يتعلق بدلالات الألفاظ كالعام والخاص، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ونحو ذلك ليحكم بما تقتضيه تلك الدلالات.**
6- **6- أن يكون عنده قدرة يتمكن بها من استنباط الأحكام من أدلتها.**

والاجتهاد يتجزأ فيكون في باب واحد من أبواب العلم ، أو في مسألة من مسائلة ، والمهم أن المجتهد يلزمه أن يبذل جهده في معرفة الحق ثم يحكم بما يظهر له فإن أصاب فله أجران : أجر على اجتهاده وأجر على إصابة الحق ؛ لأن في إصابة الحق إظهاراً له وعملاً به ، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور له لقوله صلى الله عليه وسلم :"إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" [1] وإن لم يظهر له الحكم وجب عليه التوقف وجاز التقليد حينئذ للضرورة لقوله تعالى: }فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون{ {سورة النحل، الآية : 43} . ولهذا قال شيخ

---

[1] رواه البخاري : كتاب الاعتصام : باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ومسلم : كتاب الأقضية : باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

الإســــلام ابن تيمية رحمه الله :"إن التقليد بمنزلة أكل الميتة فإذا استطاع أن يســتخرج الـدليل بنفسه فلا يحل له التقليد" وقال ابن القيم رحمه الله في النونية :

العلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان

والتقليد يكون في موضعين:

الأول : أن يكــون المقلد عاميـــاً لا يســـتطيع معرفة الحكم بنفسه ففرضه التقليد لقوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الـذكر إن كنتم لا تعلمـون﴾ ويقلد أفضل من يجـده علماً وورعاً ، فإن تساوى عنده اثنان خير بينهما.

الثـــاني : أن يقع للمجتهد حادثة تقتضي الفورية ولا يتمكن من النظر فيها فيجوز له التقليد حينئذ.

والتقليد نوعان: عام وخاص .

فالعام : أن يلـتزم مـذهباً معينـاً يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه ، وقد اختلف العلماء فيه:

فمنهم من حكى وجوبه لتعذر الاجتهاد في التأخرين .

ومنهم من حكى تحريمه لما فيه من الالـتزام المطلق لاتبـاع غـير النـبي صـلى الله عليه وسـلم ، وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله : "إن في القـول بوجـوب طاعة غـير النـبي صـلى الله عليه وسـلم في كل أمـره ونهيه هو خلاف الإجماع وجوازه فيه ما فيه".

والخاص : أن يأخذ بقول معين في قضـية معينة فهـذا جـــائز إذا عجز عن معرفة الحق بالإجتهـــاد ســـواء عجز عجزاً حقيقياً ، أو استطاع ذلك مع المشقة العظيمة.

وبهذا انتهت رسالة الأصول الستة فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن الثواب وأن يجمعنا وإياه في دار كرمته إنه جواد كريم
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على
نبينا محمد

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسـنا ومن سـيئات أعمالنـا، من يهـده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسوله صـلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: فهذه مختـارات من كتـاب " اقتضـاء الصـراط المسـتقيم مخالفة أصـحاب الجحيم " الـذي ألفه شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله وقد ابتـدأنا قراءته من ذي القعدة من عام ستة وتسعين وثلاثمائة وألف نسـأل الله أن ينفعنا به وقد أشـــرنا فيها إلى رقم الصـــفحات من الطبعة الثانية مطبعة السنة المحمدية على نفقة منصور بن عبد العزيز آل سـعود، وإذا كتبنا النقـط.. فمعنـاه أن في الكلام حذفاً تعمـدناه لعـدم الحاجة إليـه، وربما نغـير لفظ المؤلف اختصاراً، وإذا قلنا: قلت، فالكلام بعـده من عنـدنا، وإذا جعلنا كلمة بين قوسـين ولم تكن نص كتـاب أو سنة فهي زيادة من عندنا نسأل الله تعـالى أن ينفعنا والمسلمين به إنه جواد كريم.

بقلم

محمد بن صالح العثيمين

قال المؤلف رحمه الله تعالى

1.1. وبعد فــإني قد نهيت إما مبتــدئاً وإما مجيبــاً عن التشبه بالكفار في أعيادهم، وأخـبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القــديم والدلالة الشــرعية، وبينت بعض حكمة الشرع في مجانبة هدي الكفار.. ثم بلغني أن من الناس من اسـتغرب بعض الأصـحاب أن أعلق في ذلك ما يكـون فيه إشارة إلى أصل هذه المسألة، لكثرة ذلك واسـتبعده لمخالفة عــادة قد نشــؤوا عليهــا، وتمســكوا في ذلك بعمومات وإطلاقات اعتمدوا عليهـا، فاقتضـاني فائـدتها وعمـوم المنفعة بهـا، ولما قد عم كثـيراً من النـاس من الابتلاء في ذلك حتى صـاروا إيمـاءات الشـرع ومقاصـده وعلل الفقهــاء ومســائلهم يشك في ذلــك، بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمــان في قلبــه، وخلص إليه حقيقة الإســلام، وأنه دين الله الــذي لا يقبل من أحد في نــوع جاهلية.

2.2. ولم أكن أظن أن من خاض في الفقه ورأى سـواه إذا نبه على هذه النكتة (يعني نكتة مخالفة هدي الكفار) إلا كــانت حيــاة قلبه وصــحة إيمانه تــوجب اســتيقاظه بأسـرع تنبيـه، ولكن نعـوذ بالله من رين القلـوب وهـوى النفوس اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه.

5.وجمــاع ذلك أن كفر اليهــود أصــله من جهة عــدم العمل بعلمهم، فهم يعلمـــون الحق ولا يتبعونــــه، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم،

فهم يجتهـدون في أصـناف العبـادات بلا شـريعة من اللـه، ولهـذا كـان السـلف كسـفيان بن عيينة وغـيره يقولـون: "من فسد من علمائنا ففيه شـبه من اليهـود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى"، وفي (ص 6) فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاةً لليهود والنصـارى وفارس والـروم، وليس هـذا إخبـاراً عن جميع الأمـة، بل قد تواتر عنه أنه قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظـاهرة على الحق " [1].

6.وأنا أشـير إلى بعض أمـور أهل الكتـاب والأعـاجم الـتي ابتليت بها هـذه الأمـة، ليتجنب المسـلم الحـنيف الانحراف عن الصراط المسـتقيم إلى صـراط المغضـوب عليهم أو الضالين.

1- أ- الحسد: قال الله تعالى:) ود كثير من أهل الكتـاب لو يـردونكم من بعد إيمـانكم كفـاراً حسـداً من عند أنفسـهم ([2]وقد يبتلى بعض المنتسـبين إلى العلم وغـيرهم بنـوع من الحسد لمن هـداه الله لعلم نـافع أو عمل صـالح وهو في هـذا الموضع من أخلاق المغضـوب عليهم.

7.البخل: قـال الله تعـالى:) الـذين يبخلـون ويـأمرون النـاس بالبخل ويكتمـون ما آتـاهم الله من فضـله ([3] فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بـالعلم والمـال، ثم ذكر آيـات ثم قـال: فوصف المغضـوب عليهم بـأنهم يكتمـون العلم تارة بخلاً به، وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا،

---

[1] البخاري: كتاب المناقب (3437) مسلم : كتاب الإمارة (1921).
[2] البقرة : 109.
[3] النساء :37.

وتارة خوفاً من أن يحتج عليهم بما أظهروه منه، وهذا قد ابتلي به طوائف من المنتســـبين للعلم فيكتم العلم تارة بخلاً به أن ينال غيرهم من الفضل ما نـالوه، وتـارة اعتياضاً عنه برئاسة، أو مال فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته أو ماله، وتارة يخالف غيره في مسألة فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يـــــتيقن أن مخالفه مبطل.

8.عـدم الانقيـاد للحق إذا خـالف متبوعه : قـال الله تعالى:) وإذا قيل لهم آمنـوا بما أنـزل الله قـالوا نـؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم([1] بعد أن قال:) وكـانوا من قبل يسـتفتحون على الذين كفروا ([3] فوصف اليهود بأنهم لما جـاءهم النـبي الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له، فـإنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة الـتي هم منتسـبون إليها مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقـادهم، وهـذا يبتلى به كثـير من المنتســبين إلى طائفة معينة في العلم أو الـدين من المتفقهة والمتصـوفة، فـإنهم لا يقبلـون من الـدين إلا ما جـاءت به طـائفتهم، مع أن دين الإسـلام يوجب اتبـاع الحق مطلقـاً رواية وفقهـاً من غـير تعـيين شخص أو طائفة غير الرسول صلى الله عليه وسلم.

8. تحريف الكلم عن مواضـعه:قـال الله تعـالى:)من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه([3] وقـال تعـالى:) وإن منهم لفريقاً

([1] البقرة : 91.

([2] البقرة : 89.

[3] النساء : 46 .

يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ([1] والتحريف قد فسر بتحريف التأويل ، وقد ابتليت به طوائف من هذه الأمة ، وبتحريف التنزيل، وقد وقع فيه كثير من الناس يحرفون ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ويروون أحاديث بروايات منكرة وإن كان الجهابذة يدفعون ذلك وربما تطاول بعضهم إلى تحريف التنزيل وإن لم يمكنه ذلك كما قرأ بعضهم) وكلم الله موسى تكليماً ([2].

9.الغلو في المخلوقين: قال الله تعالى:) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ([3] ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين وقع فيه طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيراً منهم ما هو أقبح من قول النصارى.

ح .طاعة المخلوقين في مخالفة أحكام الله : قال الله تعالى:) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ([4] فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم في ذلك[5]وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال.

([1] آل عمران (78) .

([2] النساء (164) .

([3] النساء (171).

([4] التوبة (31) .

([5] الترمذي: كتاب تفسير القرآن: التوبة: حديث (3095).

خ.الرهبانيـة: قـال الله تعـالى:)ورهبانية ابتـدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغـــــاء رضـــــوان الله([1] وقد ابتلي طوائف من المسلمين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليم.

10/د - بناء المساجد على القبـور: قـال الله تعـالى:) قال الـذين غلبـوا على أمـرهم لنتخـذن عليهم مسـجداً ([2]ثم إن هــذا قد ابتلي به كثــير من هــذه الأمة مع نهي النــبي صــلى الله عليه وســلم حــتى في وقت مفارقته الدنيا[3].

ذ - التدين بالأصـوات المطربة والصـور الجميلة : فـإن الضالين عامة دينهم يقـوم بـذلك فلا يهتمـون في دينهم بــأكثر من تلحين الأصـوات ثم تجد هـذه الأمة ابتليت من اتخــاذ الســماع المطــرب بســماع القصــائد والصــور والأصــوات الجميلة لإصــلاح القلــوب والأحــوال ما فيه مضاهاة لبعض حال الضالين.
ر- تضــليل كل طائفة للأخــرى: قــال الله تعــالى:) وقــالت اليهــود ليست النصــارى على شــيء وقــالت النصـارى ليست اليهـود على شـيء وهم يتلـون الكتـاب([4]وتجد كثيراً من المتفقهة إذا رأى المتصوفة والمتعبـدة لا يعــدهم إلا جهــالاً ولا يعتقد في طــريقهم من العلم والهدى شيئاً، وترى كثـيراً من المتصـوفة والمتفقـرة لا يـرى الشـريعة والعلم شـيئاً، وأن المتمسك بهما منقطع عن الله عز وجل، والصواب أن ما جاء به

---

[1] الحديد (27).
[2] الكهف (21) .
[3] ذكر ذلك الكهف (21) .
[3] ذكر ذلك في عدد من الأحاديث الصـحيحة، انظر صـحيح مسـلم: كتـاب المسـاجد (532) والبخاري : كتاب الصلاة: (425) .
[4] البقرة (113).

الكتاب والسـنة من هـذا وهـذا حق وما خـالف الكتـاب والسنة من هذا وهذا باطل.

وأما مشـابهة فـارس والـروم فقد دخل منه في هـذه الأمة ما لا يخفى على عليم بالإسلام وما حدث فيه.

1- 1- الصــراط المســتقيم أمــور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغـير ذلك وأمـور ظـاهرة من أقـوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون عـادات في الطعـام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك، وبين هـذه الأمـور الباطنة والظـاهرة ارتبـاط ولابـد، فـإن ما يقـوم بـالقلب من الشـعور والأحـوال يـوجب أمـوراً ظـاهرة، وما يقـوم بالظاهر من الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

وقد بعث الله عبـده ورسـوله محمـداً صـلى الله عليه وسـلم .. فكـان من الحكمة أن شـرع له من الأعمـال والأقـوال ما يبـاين سـبيل المغضـوب عليهم والضـالين، وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر، وإن لم يظهر لكثـير من الخلق في ذلك مفسدة، لأمور منها:

1- أ- أن المشـاركة في الهـدى الظـاهر تـورث تناسـباً وتشـاكلاً بين المتشـابهين يقـود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال.

2- ب- أن المخالفة في الهـدى الظـاهر تـوجب مباينة تقتضي الانقطاع عن موجبـات الغضب وأسـباب الضـلال .. ومتى كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسـلام الـذي هو الإسلام.. كان إحساسه بمفارقة اليهود

والنصــارى باطنــاً وظــاهراً أتم، وبعــده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ج - أن مشاركتهم في الهـدى الظـاهر تـوجب الاختلاط الظـــاهر حـــتى يرتفع التميـــيز ظـــاهراً بين المهـــديين المرضـيين وبين المغضـوب عليهم والضـالين. هـذا إذا لم يكن الهـــدى الظـــاهر إلا مباحـــاً محضـــاً لو تجـــرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفـرهم فإنه يكـون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نــوع من أنواع معاصيهم.

12 12 - لأمر بموافقة قوم في شيء: إما أن يكون من أجل أن ذلك الشـيء مصـلحة في نفسـه، وإما أن يكـون من أجل أن قصد مـــوافقتهم فيه مصـــلحة، وإن لم يكن في الشيء نفسه مصلحة.

13 13 - الأول مقصـــود في نفسه والتعبـــير عنه بالموافقة من بـــــــاب الدلالة والتعريف بمعـــــــنى أن موافقتهم فيه دليل على المصلحة.

والثـــاني مقصـــود لغـــيره فإننا نعلم انتفاعنا بنفس متابعتنا للرســـول صـــلى الله عليه وســـلم والســـابقين الأولين من المهـاجرين والأنصـار في أعمـال لـولا أنهم فعلوها لربما لا يكـون لنا فيها منفعـة، لكن متابعتنا لهم فيها تــورث محبتهم وائتلاف قلوبنا بقلــوبهم، وتــدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى.

وقد يكــون الأمر بالموافقة من أجل الأمــرين جميعــاً مصلحة الشـيء في نفسـه، ومصـلحة قصد اتبـاعهم فيه وهذا هو الغالب على ما أمر بالموافقة فيه.

والأمر بمخالفة قــوم في شــيء له نفس التقســيم السـابق فإننا قد نتضـرر بموافقة الكـافرين في أعمـال لولا أنهم فعلوها لم يكن علينا ضرر بها.

14-قال الله تعالى:)ثم جعلناك على شـريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهـواء الـذين لا يعلمـون إنهم لن يغنـوا عنك من الله شـيئاً وإن الظـالمين بعضـهم أولـيـاء بعض والله ولي المتقين([1] وقد دخل في (الذين لا يعلمـون) كل من خالف شريعته، وأهواؤهم كل ما يهـوون وما هم عليه من الهــدى الظــاهر الــذي هو من موجبــات دينهم الباطل وتوابع ذلــك، ولهــذا يفــرح الكــافرون بموافقة المسلمين لهم في بعض أمورهم، ويودون لو بذلوا مــالاً عظيماً ليحصل ذلك، ولو فرض أن الفعل ليس من اتبــاع أهوائهم فمخالفتهم فيه أحسم لمتـابعتهم في أهـوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها.

19- المعــــروف: اسم جــــامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح،

والمنكر: اسم جامع لكل ما كرهه الله ونهى عنه.

20- 20- الزكاة: وإن كانت قد صارت حقيقة عرفية في الزكــــاة المفروضة فإنها اسم لكل نفع للخلق من نفع بدني أو مالي.

الصلاة: تعم المفروضة والتطوع، وقد يــدخل فيها كل ذكر لله تعالى قلت : بناء على أنها من الصــلة، وكل ذكر لله تعالى فهو صلة به قـال ابن مسـعود: "ما دمت تـذكر الله فأنت في صلاة".

---

[1] الجاثية (18-19).

21- 21- وقد قيـل: إن قولـه:) ولهم عـذاب مقيم ([1] إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخــرة من الآلام النفسية: غمـاً وحزنـاً وقسـوة وظلمة قلب وجهلاً، فـإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم، ولهذا تجد غالب هـؤلاء لا يطيبـون عيشـهم إلا بما يزيل عقولهم ويلهي قلـوبهم من تنـاول مسـكر أو رؤية مله أو سماع مطرب ونحو ذلك.

25- 25- فســـاد الـــدين إما أن يقع بالاعتقـــاد الباطل والتكلم به كالبـــدع ونحوهـــا، وإما أن يقع بالعمل بخلاف الاعتقاد الحق كفسق الأعمال ونحوها.

36- 36- والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

***أحـــدهما:يـــذم الطـــائفتين جميعـــاً كما في قوله تعالى:)ولا يزالون مختلفين .إلا من رحم ربك([2].**

37- 37- وهذا الاختلاف يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو ونحو ذلـــك، وتارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الـذي يرشد به أحـدهما اآلأخـر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق.

الاختلاف [3]في الأصل قســمان: اختلاف تنــوع واختلاف تضاد، واختلاف التنوع على وجوه:

أ- أن يكـــون كل واحد من القـــولين أو الفعلين حقـــاً مشـــروعاً كـــاختلاف القـــراءات وصـــفة الأذان والإقامة وغيرها مما شـرع جميعـه، وإن كـان قد يقـال : إن بعض أنواعه أفضـل، ثم نجد لكثـير من الأمة من الاختلاف مما أوجب اقتتال طوائف منهم وهـذا عين المحـرم، ومن لم يبلغ مبلغ الاقتتـال فـإن في قلبه من الهـوى لأحد هـذه الأنـــواع والإعـــراض عن الآخر أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

38/ب - أن يكـــون كل واحد من القـــولين هو معـــنى القـــول الآخر لكن اختلفا في العبـــارة: كـــالاختلاف في

---

[1] التوبة (68).

[2] هود(118-119).

[3] يعني هذا القسم الذي يذم فيه الطرفان.

ألفاظ المـدود والتعريفـات ونحوها ولكن الجهل والظلم يحمل إحدى الطائفتين على ذم الأخرى.
22/ج - أن يكون كل واحد من القـولين غـير الآخر في المعنى لكن لا ينافيه ثم يحصل الاختلاف و النزاع الكثير.
38/د - أن تكون طريقتان كلتاهما مشروعة حسنة في الدين لكن سلك رجل أو قوم طريقة وسلك رجل أو قوم الطريقة الأخرى ثم يحصل الاختلاف والنزاع.
والجهل أو الظلم يحمل على ذم أحـدهما أو تفضـيله بلا قصد صالح أو بلا علم أو بلا نية.
39- 39- وهذا القسم الـذي سـميناه اختلاف التنـوع كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الـذم واقع على من بغى فيه على الآخر وفي (ص40) أن أكـــــثر الاختلاف الـــذي يـــؤول إلى الاختلاف بين الأمة وإلى العداوة والبغضاء وسـفك الـدماء واسـتباحة الأمـوال من هذا القسم.
38- أما اختلاف التضـــاد فهو أن يكـــون كل واحد من القولين منافياً للآخر.. فهذا الخطب فيه أشـد، فإنك تجد كثيراً من هؤلاء المتنـازعين يكـون في قـول منازعه حق وباطل فيرد القول كله، فيصير مبطلاً في

بعض رده كما كـــان منازعه مبطلاً في بعض قوله كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسـائل القـدر والصـفات والصـحابة، ولكثـير من الفقهـاء في مسـائل الفقـه، أما أهل البدعة فالأمر فيهم ظاهر.

39 - القسم الثـــاني من الاختلاف الـــذي ذكـــره في القـــرآن فهو ما حمـــدت فيه إحـــدى الطـــائفتين وهم المؤمنـون وذمت الأخـرى كما في قوله تعـالى :) ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر([1] .

41- ثم الاختلاف قد يكـون في التنزيل والحـروف كما في حـديث ابن مسـعود رضي الله عنه (يعـني السـابق في الأصل (ص 35) حين ســـمع رجلاً يقـــرأ آية ســـمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بخلافها فأخذ بيـده إلى النــبي صــلى الله عليه وســلم وذكر له ذلك فعـرف في وجهه الكراهيـة، وقـال: كلاكما محسن ولا تختلفـوا فـإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[2].

وقد يكـون الاختلاف في التأويل وفي (ص43) وأكـثر ما يكـــون ذلك لوقـــوع المنازعة في الشـــيء قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه.

44- فعلم أن مشــابهة هــذه الأمة لليهــود والنصــارى وفارس والـروم مما ذمّه الله ورسـوله، ولا يقـال : فـإذا كـان الكتـاب والسـنة قد دلا على وقـوع ذلك فما فائـدة النهي عنه ؟

***(والجواب) أن الكتاب والسنة أيضاً قد دلا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسـكة بـالحق، ففي النهي عن ذلك تكثــير لهــذه الطائفة وتثبيتها وزيــادة إيمانهــا، وأيضاً لو فرض أن الناس وقعوا في هذه المشابهة لكان فائدة النهي عنها العلم بكراهة الله لها والإيمان بذلك،**

---

[1] البقرة (253).

[2] البخاري: كتاب الخصومات (2279).

وهـذا خـير وإن لم يعمل به وفي (ص45) فـإن الرجل قد يستغفر من الذنب مع إصراره عليه أو يأتي بحسـنات تمحـوه أو تمحو بعضه أو تقلل منه أو تضـعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر.

45- ثم لو فـرض أن النـاس لا يـتركون المنكـر، ولا يعـترفون بأنه منكر فليس هـذا مانعـاً من إبلاغ الرسـالة وبيان العلم، بل لا يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجـوب الأمر والنهي في إحدى الروايـتين عن أحمـد، وهو قـول كثـير من أهل العلم، ولله الحمد على ما أخـبر به النـبي صـلى الله عليه وسـلم من أنه لا تـزال من أمته طائفة ظـاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله [1]. وليس هذا من خصائص هـذه المسـألة بل هو وارد في كل منكر أخـبر الصـادق بوقوعه.

50-والموالاة والموادة وإن كانت متعلقة بـالقلب لكن المخالفة في الظـاهر أعـون على مقاطعة الكـافرين ومباينتهم.

ومشـاركتهم في الظـاهر إن لم تكن ذريعة أو سـبباً قريباً أو بعيداً إلى نـوع ما من المـوالاة والمـوادة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نـوع ما من المواصـلة كما توجبه الطبيعة وتـدل عليه العـادة، ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على تـرك الاسـتعانة بهم في الولايـات، فـروى الإمـام أحمد بإسناد صـحيح عن أبي موسى الأشـعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً قـال: مالك قاتلك الله أما سـمعت الله يقـول: ﴿ يا أيها الذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أولـيـاء بعضـهم أوليـاء بعض﴾ [2] ألا اتخـذت وليـاً ؟ قـال: قلت: يا أمـير المؤمنين لي كتابته وله دينه.

---

[1] تقدم ص130 .

[2] المائدة (51) .

قـال: لا أكـرمهم إذ أهـانهم الله ولا أعـزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله [1].

51- الفعل المـأمور به إذا عـبر عنه بلفظ مشـتق من معـــنى أعم ، فلابد أن يكـــون ما منه الاشـــتقاق أمـــراً مطلوباً وذلك لوجوه:

51/أ - أن الأمر إذا تعلق باسم مشـتق من معـنى كـان ذلك المعـنى علة الحكم كما في قوله تعـالى :) فـاقتلوا المشركين ([2]فعلة القتل الشـرك، لأن المشـركين اسم مشتق منه.

51/ ب - أن جميع الأفعال مشتقة فإذا أمر بفعل كـان نفس مصـــدر الفعل أمـــراً مطلوبـــاً للآمر كما في قوله تعالى:) وأحسنوا ([3] فالإحسان أمر مطلوب للآمر.

55/ج - أن العـــدول عن لفظ الفعل الخـــاص به إلى لفظ أعم منه في المعـــنى لابد أن يكـــون له فائـــدة : كالعـدول عن لفـظ: فاصـبغوا إلى فخـالفوهم وإلا لكـان مطابقة اللفظ الخاص أولى من إطلاق لفظ عام يراد به الخاص.

55/د- أن العلم بالعـــــام يقتضي العلم بالخـــــاص والقصد للمعنى العام يوجب قصد المعنى الخاص فـإذا علمت الأمر بمخالفة الكفـار وعلمت أنهم لا يصـبغون علمت الأمر بالصـبغ لدخوله في المعـنى العـام وهو المخالفة.

---

[1] 50 - وقد جاء الكتاب وسنة النـبي صـلى الله عليه وسـلم وخلفائه الراشـدين بمخالفتهم وترك التشبه بهم ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال: إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم.

[2] التوبة (5).

[3] البقرة (195).

56/هـــــــــ - أنه رتب الحكم على الوصف بالفـــــــاء (فخـالفوهم) فـدل على أنه علة الحكم، يوضـحه أنه لو لم يكن لقصد مخالفتهم تأثير في الصبغ لم يكن لذكرهم فائدة، ولا اكتفى بقوله اصبغوا.

وهذا وإن دل على أن مخالفتهم أمر مقصـود للشـرع، فإنه لا ينفي أن يكـــــون في نفس المخالفة مصـــــلحة مقصودة مع مصلحة مخالفتهم وذلك أن هنا شيئين:

- أحدهما: أن نفس مخالفتهم مصلحة ومنفعة لعبـاد الله المؤمــنين، لما فيها من المجانبة والمباعــدة الــتي تـوجب النفـور من أعمـال أهل الجحيم، ولا يظهر شـيء من هذه المصلحة إلا لمن تنـور قلبه حـتى رأى ما اتصف به المغضـوب عليهم والضـالون من مـرض القلب الـذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان.
- الثــاني : أن نفس ما هم عليه من المنهج والخلق قد يكون ضـاراً أو منقصـاً فيُنهى عنه ويـؤمر بضـده لما فيه من النفع والكمال فليس شيء من أمـورهم إلا وهو ضار أو ناقص.. ولا يتصـور أن يكـون شـيء من أمـورهم كاملاً قط.

57 57- تى ما هم عليه من إتقــان أمــور دنيــاهم قد يكون ضـاراً بآخرتنا أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا فالمخالفة فيها صلاح لنا.

57 57 - الكفر مرض القلب ومتى كان القلب مريضاً لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة، وإنما الصـلاح أن لا تشــابه مــريض القلب في شــيء من أمــوره، وإن خفي عليك مـــــــرض في ذلك العضو فإنه يكفيك أن تعلم أن فساد الأصل لابد أن يؤثر في الفرع، ومن انتبه لهــذا قد يعلم بعض الحكمة التي أنزلها الله، ومن في قلبه مـرض قد يرتـــاب في الأمر بنفس المخالفة لعـــدم اســـتبانته لفائدته.

52 - [1] فـــإن قيل : الأمر بالمخالفة أمر بالحقيقة المطلقة وذلك لا عمــــوم فيــــه، بل تكفي فيه المخالفة بــأمر ما قلت : هــذا ســؤال يــورده بعض المتكلمين في عامة الأفعـال المـأمور بهـا، ويلبسـون به على الفقهـاء وجوابه من وجهين:

- **أحدهما: أن المخالفة ونحوها قد يكون العموم فيها من جهة عمــوم الكل لأجزائه لا من جهة عمــوم الجنس لأنواعه، فإن العموم ثلاثة أقسام:**

1- 1- عمـوم الكل لأجزائه وهو ما لا يصـدق فيه الاسم العـــام ولا أفـــراده على جزئه في الأعيـــان والأفعـــال والصــفات مثــل: الوجه فإنه عــام لأجزائه من العيــنين والخدين والفم والأنف ولا يصـدق اسم الوجه على واحد منها، ومثل إذا قيل : أكرم زيداً فأطعمه وضـربه لم يكن ممتثلاً لأن الإكرام المطلق يقتضي أن لا يسـوءه بشــيء وإذا قيل : خالفوهم فــإن المخالفة المطلقة تقتضي أن لا يوافقهم في شيء.

54-2- عموم الجمع لأفراده وهو ما يصـدق فيه أفــراد الاسم العام على آحاده مثل (المسلمين) فإن فرده وهو مسلم يصدق على كل واحد من المسلمين.

3- عمـــوم الجنس لأنواعه وأعيانه وهو ما يصـــدق فيه الاسم العــام على أفــراده مثل قوله تعــالى:) والله خلق كل دابة من ماء ([2] فإن الدابة والمــاء يصـدقان على كل فرد من أفراد الدواب والماء وقد مثل له المؤلف

---

[1] الشـيخ – رحمه الله تعـالى- ذكر هـذه الفائـدة من الصـفحة نفسـها والـترقيم صحيح، وإنما رجع الشيخ لينقل هذه الفائدة.

[2] النور (45).

بقوله صـــلى الله عليه وســـلم: " لا يقتل مســـلم بكافر"[1] فإنه يعم جميع أنواع القتل والمسلم والكافر.
• • الوجه الثـاني: العمـوم المعنـوي وهو أن المخالفة مشـتقة وإنما أمر بها لمعـنى كونها مخالفة وذلك ثـابت في كل فرد من أفراد المخالفة.
55- فإن قيل : هـذا يـدل على أن جنس المخالفة أمر مقصـود للشـارع وقصد الجنس قد يحصل الاكتفـاء فيه بالمخافة في بعض الأمـــــور فما زاد على ذلك لا حاجة
قلنا: إذا ثبت أن الجنس مقصـود في الجملة كـان ذلك حاصلاً في كل فـرد من أفـراده، ولو فـرض أن الوجـوب سقط بالبعض لم يرفع حكم الاستحباب عن الباقي.
58- وإذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بيـاض الشـيب الذي ليس من فعلنا، فلأن يُنهى عن إحداث التشــبه بهم أولى، ولهذا كـان هـذا التشـبه بهم يكـون محرمـاً بخلاف الأول.
62- ثم المخالفة تــارة تكــون في أصل الحكم وتــارة تكـــون في وصـــفه فمجانبة الحـــائض مثلاً مخالفة في الوصف لا في الحكم.
64- ولهــذا نهى عن الصــلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملـــــة، وإن لم يكن العابد يقصد ذلك فنهي عن الســـجود لله بين يـــدي الرجـــل، لما فيه من مشـــابهة السجود لغير الله.
66- ونهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله كالنــار ونحوها.
67- الحكم إذا علل بعلة ثم نسخ مع بقـاء العلـة، فلابد أن يكون غيرها

---

[1] البخاري: كتاب العلم (111).

تـــرجح عليها وقت النسخ أو ضـــعف تأثيرهـــا، أما أن تكون في نفسها باطلة فهذا محال.

70- لكن ليس كل من قامت به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى تقـوم به حقيقة الكفـر، وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله صـلى الله عليه وسـلم :" ليس بين العبد وبين الكفر أو الشـرك إلا ترك الصلاة"[1] وبين كفر منكر في الإثبات مثل: " اثنتان في الناس هما بهم كفر "[2].

72- وعن سـراقة بن مالك قـال : خطبنا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فقـال: " خـيركم المـدافع عن عشـيرته ما لم يـأثم " رواه أبو داود [3]، وروى أيضـاً عن ابن مســعود رضي الله عنه أن النـــبي صـــلى الله عليه وســـلم قـــال : " من نصر قومه على غـــير الحق فهو كالبعير الذي تردى فهو ينزع بذنبه " [4].

72- الانتســـــاب إلى الاسم الشـــــرعي أحسن من الانتساب إلى غيره ألا ترى إلى ما رواه أبو داود عن أبي عقبة وكـان مـولى من أهل فـارس قـال: " شـهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً فضـربت رجلاً من المشـــركين فقلت : خـــذها مـــني وأنا الغلام الفارسي فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هلا قلت : خذها وأنا الغلام الأنصاري"[5].

76- ولهذا كان الصحيح أن حرمة القتال في البلد الحرام باقية بخلاف الشهر الحرام.

---

[1] مسلم: كتاب الإيمان : (82).

[2] مسلم : كتاب الإيمان: (67).

[3] سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في العصبية.

[4] أبو داود: كتاب الأدب: باب في العصبية.

[5] أبو داود: كتاب الأدب: باب في العصبية.

77- إذا قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهـل، وكـذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهـل، وإن علم أنه مخـالف للحق وسـبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصـدر معه ما يخالفه من قول أو فعـل، فمـتى صـدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه أو ضعفه عن مقاومة ما يعارضه.

79- وقوله في الحـديث: ومبتغ في الإسـلام سـنة جاهليـة، ينـدرج فيه كل جاهلية مطلقة أو مقيـدة يهودية أو نصـرانية أو مجوسـية أو غيرها فـإن جميعها مبتـدعها ومنسـوخها صـارت جاهلية بمبعث محمد صـلى الله عليه وسلم.

82- ألا ترى أن متابعة النبـيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين في أعمـالهم أنفع وأولى من متـابعتهم في مساكنهم ورؤية آثارهم.

ذكر ما رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: " من تشـبه بقوم فهو منهم " [1]وذكر إسناده ثم قـال : وهـذا إسـناد جيد، وأقل أحواله يقتضي تحـريم التشـبه بهم، وإن كـان ظـاهره يقتضي كفر المتشـبه بهم كما في قوله تعـالى:)ومن يتولهم منكم فإنه منهم ([2]. فقد يحمل هـذا على التشـبه المطلق فإنه يـوجب الكفـر، ويقتضي تحـريم أبعـاض ذلـك، وقد يحمل على أنه صـار منهم في القـدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر.

83- والتشبه يعم من فعل الشـيء لأنهم فعلـوه، وهو نادر ومن تبع غـيره في فعل لغـرض له في ذلك إذا كـان أصل الفعل مأخوذاً عن ذلك الغير،

---

[1] الإمام أحمد جـ2 ص 50 وأبو داود: كتاب اللباس: بـاب في لبس الشـهرة، وقد حسنه شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) والفتاوى جـ 25 ص 321.

[2] المائدة (51).

فأما من فعل الشيء واتفق أن الغـير فعله أيضـاً ولم يأخذه أحدهما عن صـاحبه ففي كـون هـذا تشـبهاً نظـر، لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكـون ذريعة إلى التشـبه ولما فيه من المخالفة.

84- قـال حـرب الكرمـاني: قلت لأحمـد: هـذه النعـال الغلاظ قال: " هذه السندية إذا كانت للوضـوء أو للكـنيف أو لموضع ضرورة فلا بأس " [1] وكأنه كره أن يمشي بها في الأزقـــة، وفي رواية المر وذي: قـــال: وأما من أراد الزينة فلا، ورأى على بـاب المخـرج نعلاً سـندياً فقـال: تتشبه بأولاد الملوك؟

87- وهـذا دليل على ما أجمع عليه المسـلمون إلا من شذ من بعض المتأخرين المخالفين المسبوقين بالإجماع من أن مـــواقيت الصـــوم والفطر والنسك إنما تكـــون بالرؤية عند إمكانها لا بالكتـاب والحسـاب الـذي تسـلكه الأعاجم من الروم والفرس والقبط والهند وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد روى غـير واحد من أهل العلم أن أهل الكتـــابين قبلنا إنما أمـــروا بالرؤية أيضـــاً في صــومهم وعبــادتهم، ولكنهم بــدلوا قلت: ويؤيــده قوله تعــالى:) يســألونك عن الأهلة قل هي مــواقيت للنــاس والحج ([2]والنـــاس كلمة عامة وقوله تعـــالى:)هو الــذي جعل الشمس ضياء والقمر نـوراً وقـدره منـازل لتعلمـوا عدد السنين والحساب([3] وقوله تعالى:) إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شـــهراً في كتـــاب الله يـــوم خلق السـموات والأرض منها أربعة حـرم([4] وقد أجمعـوا على أن المراد الأشهر الهلالية.

---

[1] مسائل الإمام أحمد للنيسابوري جـ 2 (ص 145-147).

[2] البقرة (189).

[3] يونس (5).

[4] التوبة (36).

89- فما كـــان من زي اليهـــود الـــذي لم يكن عليه المسلمون، إما أن يكون مما يعذبون عليه أو مظنة ذلـك، أو يكون تركه حسماً لمادة ما عذبوا عليه، لا سـيما إذا لم يتمـيز ما هو الـذي عـذبوا عليه من غـيره فإنه يكـون قد اشتبه المحظور بغيره فيترك الجميع، كما أن ما يخـبرون به لما اشتبه صدقه بكذبه ترك الجميع.

93- وما ذكره أنس من التخفيف فهو بالنســبة إلى ما كان يفعله بعض الأمراء وغيرهم في قيـام الصـلاة، فـإن منهم من كان يطيل زيادة على ما كان عليه النبي صـلى الله عليه وســـلم يفعله في غـــالب الأوقـــات ويخفف الركـوع والسـجود والاعتـدال عما كـان النـبي صـلى الله عليه وسلم يفعله في غالب الأوقـات، ولعل أكـثر الأئمة أو كثيراً منهم كانوا يفعلون كذلك.

94-95 وروى مســلم في صــحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه : " ما صـــليت خلف أحد أوجز صـــلاة من رسول الله صلى الله عليه في تمام. كانت صلاة رســول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة، وكانت صلاة أبي بكر رضي الله عنه متقاربة، فلما كان عمر رضي الله عنه مد في صــلاة الفجر ، وكــان رســول الله صــلى الله عليه وسلم إذا قال: سمع الله لمن حمده قام حتى نقول: قد أوهم ثم يسـجد ويقعد بين السـجدتين حـتى نقـول : قد أوهم" [1].. فجمع أنس في هــذا الحــديث الصــحيح بين الإخبــار بإيجــاز صــلاة النــبي صــلى الله عليه وســلم وإتمامها.. فيشـبه والله أعلم أن يكـون الإيجـاز عـاد إلى القيــام، والإتمــام إلى الركــوع والســجود.. فإنه بإيجــاز القيــام وإطالة الركــوع والســجود تكــون الصــلاة تامة لاعتدالها وتقاربها.

---

(1) مسلم : كتاب الصلاة حديث رقم (473).

97- ثم إن عـرض حـال عـرف منها إيثـار المـأمومين للزيـادة على ذلك فحسن ، فإنه صـلى الله عليه وسـلم: (قـرأ في المغـرب بطـولى الطولـيين)، وإن عـرض ما يقتضي التخفيف عن ذلك فعل كما في بكـــاء الصـــبي ونحوه.

99- ذكر أن التخفيف قد فسره النبي صـلى الله عليه وسـلم بفعله وأمـره ثم قـال: وليس الفعل في الصـلاة من العادات كالإحراز والقبض والاصطياد وإحياء المـوات حـــتى يرجع في حـــده إلى عـــرف اللفظ بل هو من العبـادات، والعبـادات يرجع في صـفاتها ومقاديرها إلى الشارع كما يرجع في أصلها إلى الشارع ولو جاز الرجوع فيه إلى عرف الناس في الفعل أو في مسمى التخفيف لاختلفت الصـــلاة الشـــرعية الراتبة الـــتي أمرنا بها في غالب الأوقات عند عدم المعارضات المقتضية للطـول أو القصر اختلافاً متباينـاً لا ضـبط له ولكـان لكل أهل عصر ومصر بل لكل أهل حي وسكة بل لأهل كل مسجد عـرف في معـــنى اللفظ وفي عـــادة الفعل مخـــالف لعـــرف الآخـرين وهـذا مخـالف لأمر الله ورسـوله، حيث قـال : صلوا كما رأيتموني أصلي.

ولم يقل : كما يســميه أهل أرضــكم خفيفــاً أو كما يعتادونه وما أعلم أحـــداً من العلمـــاء يقـــول ذلك فإنه يفضي إلى تغيير الشريعة وموت السـنن إما بزيـادة وإما بنقص.

102- وعن سـليمان بن يســار عن أبي هريــرة رضي الله عنه قال: ما صليت وراء أحد أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان: كـان يطيل الركعتين الأوليين من الظهر ويخفف الأخـيرتين ويخفف العصر ويقـرأ في المغـرب بقصـار المفصل ويقـرأ في العشاء بأواسط المفصل

ويقـرأ في الصـبح بطـوال المفصل[1]. رواه النسـائي وابن ماجه وهو إسناد على شرط مسلم.

103- وأما ما في حديث أنس رضي الله عنه من قـول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تشـددوا على أنفسـكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقايـــاهم في الصـــوامع والـــديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم " [2] ففيه نهى النـبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد في الدين بالزيـادة عن المشروع، والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتـارة باتخـــاذ ما ليس بمحـــرم ولا مكـــروه بمنزلة المحـــرم والمكروه في الطيبات، وفيه تنبيه على أن التشديد على النفس ابتـداء يكـون سـبباً لتشـديد آخر يفعله الله ، إما بالشــرع وإما بالقـدر فأما الشـرع فمثل ما كـان النـبي صلى الله عليه وسلم يخافه في زمانه من زيـادة إيجـاب أو تحريم (يعني بسبب أسئلة من الناس أو فعل منهم) وأما القدر فكثيراً ما رأينا وسمعنا من يتنطع في أشــياء فيُبتلى بأســـباب تشـــدد الأمـــور عليه مثل كثـــير من الموسوســـين في الطهـــارات إذا زادوا على المشـــروع ابتلـوا بأسـباب تـوجب حقيقة أشـياء فيها عظيم مشـقة ومضرة.

105- وأما السياحة التي هي الخـروج في البرية لغـير قصد معين فليست من عمل هــذه الأمــة، ولهــذا قــال الإمام أحمد: "ليست السياحة من الإسلام في شــيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين".

---

[1] النسائي: كتاب الافتتاح : باب تخفيف القراءة والقيام: وابن ماجه: كتـاب إقامة الصلاة / رقم (82-87)

[2] سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الحسد.

والغرض بيان ما جاءت به الحنيفية من مخالفة اليهـود فيما أصـابهم من القسـوة عن ذكر الله وعما أنـزل من الهدى الذي به حياة القلـوب ومخالفة النصـارى فيما هم عليه من الرهبانية المبتدعـة، وإن كـان قد ابتلي بعض المنتسبين منا إلى علم أو دين بنصيب من هذا ومن هـذا ففيهم شبه بهؤلاء وهؤلاء.

106- ومن ذلك أنه صـلى الله عليه وسـلم حـذرنا عن مشابهة من كـان قبلنا أنهم كـانوا يفرقـون في الحـدود بين الأشـراف والضـعفاء، وإن كثـيراً من ذوي الـرأي والسياسـة، قد يظن أن إعفـاء الرؤسـاء أجـود في السياسة.

109- ثم من المعلوم ما ابتلي به كثـير من هـذه الأمة من بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبـور مسـاجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعـون فاعله بالمسـتفيض من السنة.

111- تحت سـياق فوائد خطبة النـبي صـلى الله عليه وسلم يوم عرفة[1] قـال: فقوله صـلى الله عليه وسـلم: (كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضـوع) يـدخل فيه كل ما كانوا عليه من العبـادات والعـادات، ولا يـدخل فيه ما كـانوا عليه من الجاهلية وأقـره الله تعـالى في الإسـلام كالمناسك والدية والقسـامة، لأن أمر الجاهلية معناه المفهـوم منه ما كـانوا عليه مما لا يقـره الإسـلام فيـدخل في ذلك ما كـانوا عليه وإن لم ينه في الإسـلام عنه بعينه.

113- نهي النـبي صـلى الله عليه وسـلم عن الـذبح بـالظفر معللاً بأنها مُـدى الحبشـة، كما علل السن بأنه عظم، فـذهب أهل الـرأي إلى أن علة النهي كـون الـذبح بهما يشـبه الخنق أو هو مظنته والمنخنقة محرمة وسوغوا على هذا الذبح

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الحج (12182) .

بهما إذا كانا منزوعين والجمهور منعوا من ذلك مطلقاً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم استثناهما مما أنهر الدم، ولأن العلة التي ذكروها مخالفة لتعليل النبي صلى الله عليه وسلم المنصوص عليه في الحديث.

116- فقد تبين لك أن من أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين، كما أن أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار فكيف إذا جمعت الوصفين.

118- وهذا يقتضي نهيه عن كل ما هو من أمر اليهود والنصارى هذا مع أن قرن اليهود يقال: إن أصله مأخوذ عن موسى عليه الصلاة والسلام، وإنه كان يضرب بالبوق في عهده، وأما ناقوس النصارى فمبتدع إذ عامة شرائع النصارى أحدثها أحبارهم ورهبانهم.

120- وفي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي قال: " كتب إلينا عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد يا عتبة: إنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير، وقال: إلا هكذا ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما " [1].

121- شروط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره من الأئمة على أهل الذمة فيما شرطه أهل الذمة على أنفسهم (أن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم قلنسوة أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم ولا

---

[1] البخاري: كتاب اللباس: باب لبس الحرير للرجال: ومسلم : كتاب اللباس: رقم(2069).

نكتني بكنـاهم ولا نـركب السـروج ولا نتقلد السـيوف ولا نتخذ شـيئاً من السـلاح ولا نحمله ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نـبيع الخمـور وأن نجز مقـادم رؤوسـنا وأن نلزم زينا حيثما كان وأن نشد الزنانير على أوساطنا وأن لا نظهر الصليب على كنائسـنا ولا نظهر صـليباً ولا كتبـاً من كتب ديننا في شـــيء من طـــرق المســـلمين ولا أسـواقهم ولا نضـرب بنواقيسـنا في كنائسـنا إلا ضـرباً خفيفــاً ولا نرفع أصــواتنا مع موتانا ولا نظهر النــيران معهم في شــيء من طــرق المســلمين) [1]رواه حــرب بإســناد جيــد، وفي رواية أخـرى رواها الخلال زيـادة ولا نرفع أصواتنا في الصـلاة ولا القـراءة في كنائسـنا فيما يحضره المسلمون ولا نخرج باعثاً، (والبعوث أن يخرجــوا مجتمعين كما نخرج يـوم الأضـحى والفطـر) ولا شـعانينا وأن لا نجاوزهم (أي المسلمين بالجنائز) ولا نبيع الخمور ولا نتشبه بالمسلمين في مراكبهم.

122- وهــذه الشــروط أشــهر شــيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلمـــــاء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة وهي أصــناف، فمنها ما مقصــوده التمــيز عن المســلمين في الشــعور واللباس والأسماء والمراكب ونحوها، ليتميز المسلم من الكـافر ولا يشـبه أحـدهما الآخر في الظـاهر، ولم يـرض عمر رضي الله عنه والمســـــلمون بأصل التميـــــيز بل بالتمييز في عامة الهدى على تفاصيل معروفة في غــير هذا الموضع. وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهراً.

---

1 [1] انظر أحكام أهل الذمة / للعلامة ابن القيم جـ 2 ص . 66 .

123-وروى أبو الشـيخ الأصـفهاني في شـروط أهل الذمة بإسـناده أن عمر رضي الله عنه كتب أن لا تكـاتبوا أهل الذمة فيجـري بينكم وبينهم المـودة ولا تكنـوهم وأذلوهم ولا تظلموهم .. وروى أيضاً بإسناده: دخل ناس من بني تغلب قال : أو لستم من أواسط العرب؟ قالوا : نحن نصـارى قـال : علي بجلم – والجلم المقص – فأخذ من نواصـيهم وألقى العمـائم وشق من رداء كل واحد شبراً يحتزم به ، وقال : لا تركبوا السـروج واركبـوا على الأكف ودلوا أرجلكم من شق واحد.

124- ومن الشـروط ما يعـود بإخفـاء منكـرات دينهم كمنعهم من إظهـار الخمر والنـاقوس والنـيران والأعيـاد ونحو ذلك.

ومنها ما يعـود بإخفـاء شـعائر دينهم كأصـواتهم بكتـابهم. فـاتفق عمر رضي الله عنه والمسـلمون معه وسائر العلماء بعده ومن وفقه الله من ولاة الأمـور على منعهم من أن يظهروا بدار الإسـلام شـيئاً مما يختصـون به مبالغة في أن لا يظهـروا في دار الإسـلام خصـائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها هم.

ومنها ما يعود بترك إكرامهم وإلـزامهم الصـغار الـذي شرعه الله تعالى.

ومن المعلـوم أن تعظيم أعيـادهم ونحوها بالموافقة فيها هو نوع من إكرامهم فإنهم يفرحون بذلك ويسرون به.

124- في قصة المـرأة الـتي سـألت أبا بكر رضي الله عنه قالت : " ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الـذي جـاء الله به بعد الجاهليـة؟ قـال: بقـاؤكم عليه ما اسـتقامت عليه أئمتكم. قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومكم

رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى قـــال : فهم أولئك على النـــاس" [1]رواه البخـــاري في صحيحه.

125- كل ما اتخذ من عبــــادة مما كـــــان عليه أهل الجاهلية ولم يشــرع الله التعبد به في الإســلام، وإن لم ينوه عنه بعينه كالمكاء والتصدية فاتخاذ هذا قربة وطاعة من عمل الجاهلية الــذي لم يشــرع في الإســلام بخلاف السعي بين الصفا والمروة وغيره من شـعائر الحج فـإن ذلك من شعائر الله، وإن كـان أهل الجاهلية قد يفعلـون ذلك في الجملة قلت: وبهــذا علم أن ما اتخــذه الكفـــار عبـادة ينقسم ثلاثة أقسـام: أحـدها: ما نـوه الله بذمه أو رسوله كالمكاء والتصـدية فـأمره واضـح. الثـاني: ما ثبت كونه من شـعائر الله كالسـعي بين الصـفا والمـروة فهو من شــرع الله ولا يبطله تعبد الكفـار بـه. الثـالث: ما لم يكن من القسمين فيلحق بالقسم الأول المنهي عنه لما فيه من مشابهة الكفار.

126- وروى الإمام أحمد في المسند [2](وذكر السند) عن عمر رضي الله عنه أنه قـــال لكعب : أين تـــرى أن أصلي ؟ (يعـني في المسـجد الأقصـى) قـال: إن أخـذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القـدس كلها بين يـديك فقال عمر : ضاهيت اليهودية لا ولكن أصـلي حيث صـلى رســول الله صــلى الله عليه وســلم فتقــدم إلى القبلة فصــلى.. فعمر رضي الله عنه عــاب على كعب الأحبـــار مضــاهاة اليهودية أي مشـــابهتها في مجـــرد اســتقبال الصــخرة لمشـــابهة من يعتقـــدها قبلة باقية وإن كـــان المسـلم لا يقصد أن يصـلي إليهـا، وقد كـان لعمر رضي الله عنه في هـذا البـاب من السياسـات المحكمة ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية، فإنه رضي

---

[1] البخاري: كتاب مناقب الأنصار: (3834).

[2] المسند جـ ا ص 37 .

الله عنه هو الذي استحالت ذنوب الإسلام بيده غرباً فلم يفر عبقري فريه حتى صدر الناس بعطن، فأعز الله به الإسلام وأذل الشرك وأهله وأقام شعائر الدين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه نزوع إلى نقض عُرا الإسلام مطيعاً في ذلك لله ورسوله .. مشاوراً في أموره السابقين الأولين .. حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه، وحتى منع من استعمال كافر أو ائتمانه على أمر الأمة وإعزازه بعد أن أذله الله .. في خصوص أعياد الكفار من النهي عن الدخول عليهم فيها وعن تعلم رطانة الأعاجم ما يتبين به ثبوت قوة شكيمته في النهي عن مشابهة الكفار والأعاجم.

129- هل عمل الراوي بخلاف روايته يقدح في روايته؟ المشهور عن أحمد وأكثر العلماء لا يقدح لما تحتمله المخالفة من وجوه غير ضعف الحديث[1].

131- وأما ما في الحديث من النهي عن تغطية الفم فقد علله بعضهم بأنه فعل المجوس عند نيرانهم التي يعبدونها، فعلى هذا تظهر مناسبة الجمع بين النهي عن السدل وعن تغطية الفم بما في كل منهما من مشابهة الكفار، مع أن في كل منهما معنى آخر يوجب الكراهة ولا محذور في تعليل الحكم بعلتين.

---

[1] 130- وأكثر العلماء يكرهون السدل مطلقاً، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي والمشهور عن أحمد وعنه إنما يكره فوق الإزار دون القميص توفيقاً بين الآثار في ذلك. وحملاً للنهي على لباسهم المعتاد قال صالح: سألت أبي عن السدل في الصلاة فقال: يلبس الثوب فإذا لم يطرح أحد طرفيه على الآخر فهو السدل، وهذا الذي عليه عامة العلماء.

132- عن إسـماعيل بن عبد الـرحمن بن ذؤيب قـال: دخلت مع ابن عمر مسـجداً بالجحفة فنظر إلى شـرفات فخرج في موضع فصلى فيه ثم قـال لصـاحب المسـجد: إني رأيت في مسـجدك هـذا يعـني الشـرفات شـبهتها بأنصاب الجاهلية فمر بها أن تكسر[1].

133- وعن عبيد بن أبي الجعد قـــال: كـــان أصـــحاب محمد صـلى الله عليه وسـلم يقولـون : إن من أشـراط الساعة أن تتخذ المذابح في المساجد يعني الطاقات[2].

وما علمنا أحــداً خــالف ما ذكرنـــاه عن الصــحابة من كراهة التشـبه بالكفـار والأعـاجم في الجملـة، وإن كـان بعض هذه المسائل المعينة فيها خلاف وتأويل، وهذا كما أنهم مجمعـون على اتبـاع الكتـاب والسـنة وإن كـان قد يختلف في بعض أعيان المسائل لتأويل.

135- مما ذكره عن مذهب مالك أنه يكـره تـرك العمل يــوم الجمعة كفعل أهل الكتــاب ويــوم السـبت والأحــد. وذكر كراهته للقيام للرجل وأنه ليس من فعل الإسلام.

136- وبـــالغ طائفة منهم أي الشـــافعية فنهـــوا عن التشـبه بأهل البـدع مما كـان شـعاراً لهم، وإن كـان في الأصل مسـنوناً كما في تسـنيم القبـور، فــإن الأفضل تسـطحبها عنـدهم فقـالوا : ينبغي تسـنيمها في هـذه الأوقات

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة جـ 1 ص 309.

[2] مصنف عبد الرزاق جـ 2 ص 412.

لأن شعار الرافضة اليـوم تسـطيحها، ففي تسـطيحها تشـــبه بهم فيما هو شـــعار لهم وقـــالت طائفـــة: بل نسطحها حتى لا يكـون التسـطيح شـعاراً للرافضة قلت: وهـــذه المبالغة من بعض أصـــحاب الشـــافعي فيها نظر فالصواب أن لا تترك السنة من أجل أن بعض أهل البـــدع أو أهل الكفر عملوا بها لأن مصلحة العمل بها باقية وإن عمل بها هؤلاء.

137- وكره أي الإمام أحمد تسـمية الشـهور بالعجمية والأشخاص بالأسماء الفارسية وعد الفقهاء من أصـــحابه وغيرهم من اللباس المكروه ما خالف زي العرب وأشـــبه زي الأعاجم وعادتهم.

138- وإنما الغـــرض بيـــان ما اتفق عليه العلمـــاء من كراهة التشبه بغير أهل الإسلام، وقد يـتردد العلمـاء في بعض فـروع هـذه القاعـدة لتعـارض الأدلة فيها أو لعـدم اعتقاد بعضهم اندراجه في هذه القاعدة.

139- ومثل هذا هل يجعل قولاً له أي للإمـام أحمد إذا سـئل عن مســألة فحكى فيها جـواب غـيره ولم يردفه بموافقة ولا مخالفة؟ في ذلك لأصحابه وجهان: أحدهما: نعم لأنه لولا موافقته له لكـان قد أجابه بغـيره، لأنه إنما سأله عن قوله ولم يسأله أن يحكي له مذاهب الناس.

الثاني: لا لأنه إنما حكاه فقط، ومجـرد الحكاية لا يـدل على الموافقة.

142- وقـــريب من هـــذا مخالفة من لم يكمل دينه من الأعـراب ونحـوهم كما في صـحيح البخـاري عن عبد الله بن مغفل أن النـــبي صـــلى الله عليه وســـلم قـــال: لا تغلبنكم الأعـــراب على اسم صـــلاتكم المغـــرب، قـــال: والأعراب تقول : هي العشاء[1] ، ولمسـلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا

---

[1] البخاري: كتاب مواقيت الصلاة (563).

يغلبنكم الأعــراب على اسم صــلاتكم العشــاء،فإنها في كتاب الله العشاء فإنها تعتم بحلاب الإبل[1]

واعلم أن بين التشـــبه بالكفـــار والشـــياطين وبين التشبه بالأعراب والأعاجم فرقـاً يجب اعتبـاره، وذلك أن نفس الكفر والشـيطنة مـذموم في حكم الله ورســوله وعبـــاده المؤمـــنين ونفس الأعرابية والأعجمية ليست مذمومة في نفسها عند الله ورسـوله وعبـاده المؤمـنين بل الأعراب منقسـمون إلى أهل جفـاء وأهل إيمـان وبر وكــذلك العجم وهم من ســوى العــرب ينقســمون إلى مؤمن وكافر وبر وفاجر.

145- ذكر الأحـاديث الـواردة في فضل بعض الفـرس وما يشـــــهد له من الواقـــــع، وأن في بقية العجم من الحبشة والترك وغيرهم من هوسـابق في العلم والـدين ثم قال: وإنما وجه النهي عن مشابهة الأعراب والأعاجم ما ذكرنـــاه من الفضل فيهم وعـــدم العـــبرة بالنسب والمكــان مبــني على أصل وذلك أن الله ســبحانه جعل سُــكنى القــرى يقتضي من كمــال الإنســان في العلم والدين ورقة القلوب، مالا يقتضيه سُكنى البادية، كما أن البادية توجب من صلابة البدن والخلق ومتانة الكلام ما لا يكـــون في القـــرى ولـــذلك جعل الله الرسل من أهل القرى.

147- والتحقيق أن سكان البـوادي لهم حكم الأعـراب سواء دخلوا في لفظ الأعراب أم لم يدخلوا، فهذا الأصل يوجب أن يكون جنس الحاضـرة أفضل من جنس الباديـة، وإن كان بعض أعيان البادية

أفضل من أكثر الحاضرة مثلاً، ويقتضي أن ما انفرد به أهل البادية عن جميع جنس الحاضرة أعـــني في زمن السـلف من الصـحابة والتـابعين فهو نـاقص عن فضل الحاضرة أو مكروه.

148- والـذي عليه أهل السـنة والجماعة اعتقـاد أن جنس العـرب أفضل من جنس العجم وأن قريشـاً أفضل العـرب وأن بـني هاشم أفضل قـريش وأن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أفضل بـني هاشم .. وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النـبي صـلى الله عليه وسـلم منهم وإن كـان هـذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضـل، وبهـذا ثبت لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور.

149- وذهبت فرقة من النـاس إلى أنه لا فضل لجنس العـرب على جنس العجم وهـؤلاء يسـمون الشـعوبية لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل : القبائل للعـرب والشـعوب للعجم، ومن النـاس من قد يفضل بعض أنـواع العجم على العـرب، والغـالب أن هـذا الكلام لا يصـدر إلا عن نـوع نفـاق، إما في الاعتقـاد وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شـبهات اقتضت ذلك.

152- لما ذكر الأحاديث الواردة في فضل العرب قال: وقد بين صلى الله عليه وسـلم أن هـذا التفضـيل يـوجب المحبة لبني هاشم ثم لقريش ثم للعرب.

154- وهـذا يقتضي أن إسـماعيل وذريته صـفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفضل من ولد إسـحاق، ومعلـوم أن ولد إسـحاق الـذين هم بنو إسـرائيل أفضل العجم لما فيهم من النبوة والكتاب.

155- ذكر حـــديثين: أحـــدهما: " فمن أحب العـــرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العـرب فببغضي أبغضـهم " [1] الثـاني: " يا سـلمان لا تبغضـني فتفـارق دينك قلت : يا رسـول الله كيف أبغضك وبك هـداني الله قـال : تبغض العرب فتبغضني " [2].. ويشبه أن يكون النـبي صـلى الله عليه وسلم خاطب بهـذا سـلمان وهو سـابق الفـرس ذو الفضـائل المـأثورة تنبيهـاً لغـيره من سـائر الفـرس لما أعلمه الله تعالى من أن الشيطان قد يدعو النفـوس إلى شيء من هذا.

156- وهـــــذا دليل على أن بغض جنس العـــــرب ومعاداتهم كفر أو سبب للكفر.

157- وكـــان أحمد – رحمه الله – على ما تـــدل عليه طريقته في المسند إذا رأى أن الحديث موضوع أو قريب من الموضـوع لم يحـدث به ولـذلك ضـرب على أحـاديث رجـال فلم يحـدث بها في المسـند لأن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال: " من حـدث عـني بحـديث وهو يـرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين "[3].

158- "أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي" [4] قال السلفي : حديث حسن فما أدري أراد حسن إسناده على

---

[1] الحاكم في المستدرك جـ 4 ص 83 رقم (2551).

[2] الترمذي: المناقب: رقم ((3927)) والإمام أحمد جـ 5 ص 440 والحاكم جــ 4 ص 95 وقال:" حديث صحيح الإسناد" .

[3] مسلم : المقدمة : (جـ 1 ص 9) .

[4] أخرجه الحـاكم في (المسـتدرك) جــ 4 ص 97: والهيثمي في (المجمع) جــ 10 ص 52 : والشـوكاني في الفوائد ص 413 والسـيوطي في (اللآلىء) جــ 2 ص 442 قـال الحـاكم: " حـديث يحـيى بن زيد حـديث صـحيح " وتعقبه الـذهبي بقوله: " بل يحـيى بن زيد ضـعفه أحمد وغـيره " وقـال الهيثمي : " فيه العلاء بن عمرو الحنفي مجمع على ضعفه " .

طريقة المحدثين أو حسن متنه على الاصـطلاح العـام وأبو الفـــــرج ابن الجـــــوزي ذكر هـــــذا الحـــــديث في الموضوعات.

160- وسبب هذا الفضل والله أعلم ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم وذلك أن الفضل إما بالعلم النـافع أو العمل الصـالح، والعلم له مبـدأ وهو قوة العقل الـذي هو الحفظ والفهم وله تمـام وهو قـوة المنطق الذي هو البيان والعبارة (ثم ذكر كلامـاً حاصـله أن العــرب في ذلك أقــوى من غــيرهم) ثم قــال: وأما العمل فـــإن مبنـــاه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس وغرائــزهم أطــوع للخــير من غــيرهم.. لكن كـانوا قبل الإسـلام طبيعة قابلة للخـير معطلة عن فعله ليس عنـدهم علم مـنزل من السـماء ولا شـريعة موروثة عن نـبي ولا هم مشـتغلون أيضـاً ببعض العلـوم العقلية المحضة كـــالطب والحســـاب ونحوهمـــا، إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب وما حفظوه من أنسابهم وأيـامهم، وما احتـاجوه في دنيـاهم من الأنـواء والنجـوم أو الحـروب، فلما بعث الله محمـداً صـلى الله عليه وســـلم بالهـــدى الـــذي ما جعل الله في الأرض ولا يجعل أعظم قدراً منه .. فأخذوا هذا الهدى العظيم بتلك الفطـرة الجيـدة فـاجتمع لهم الكمـال بـالقوة المخلوقة فيهم والكمال الذي أنزله الله إليهم.

162- فصـــار الســـابقون الأولـــون من المهـــاجرين والأنصـــار أفضل خلق الله بعد الأنبيـــاء، وصـــار أفضل النـاس بعـدهم من تبعهم بإحسـان إلى يـوم القيامة من العـرب والعجم، قلت: ظـاهره أن التـابعين لهم بإحسـان أفضل حـــتى ممن صـــحبوا أنبيـــاءهم من الأمم، وفي النفس من ذلك شـيء فـإن الظـاهر أن أصـحاب الأنبيـاء الذين أدركوهم أفضل ممن بعد

الصحابة في هـذه الأمـة، وإن كـان التـابعون من هـذه الأمة من حيث كمـال الـدين أفضل ممن صـحبوا الأنبيـاء السابقين، فإن أصـحاب الأنبيـاء قـاموا بما كلفـوا به من الكمال في أديانهم مع صحبة أنبيائهم. والله أعلم.

فإذا نهت الشريعة عن مشابهة الأعـاجم دخل في ذلك ما كان عليه الأعاجم الكفار قديماً وحديثاً، وما كـان عليه الأعاجم المسلمون مما لم يكن عليه السابقون الأولون، كما يدخل في مسمى الجاهلية العربية ما كـان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام وما عـاد إليه كثـير من العـرب من الجاهلية التي كانوا عليها.

وأيضاً فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسـوله مبلغـاً عنه الكتـاب والحكمة باللسـان العـربي، وجعل السـابقين إلى هـذا الـدين متكلمين به لم يكن سبيل إلى ضبط الـدين ومعرفته إلا بضـبط هـذا اللسـان وصارت معرفته من الدين واعتياد التكلم به أسـهل على أهل الدين في معرفة دين الله وأقرب إلى إقامة شـعائر الـدين وأقـرب إلى مشـابهتهم للسـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم.

163- العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله ويكرهـه، ولذا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمـالهم وكراهة الخـروج عنها إلى غيرها من غـير حاجـة، فحاصـله أن النهي عن التشـبه بهم إنما كـان لما يفضي إليه من فوت الفضائل التي جعلها الله للسابقين الأولين أو حصول النقائص التي كانت في غيرهم.

164- وإنما يتم الكلام بأمرين: أحدهما : أن الذي يجب على المســـلم إذا نظر في الفضـــائل أو تكلم فيها أن يسلك سـبيل العاقل الـذي غرضه الخـير ويتحـراه جهـده وليس غرضه أن يفتخر على أحد ولا الغمط من أحد.

165- الثــاني: أن اسم العــرب والعجم قد صــار فيه اشتباه واسم العرب في الأصل كان اسماً لقـوم جمعـوا ثلاثة أوصاف:

1.1. أن لسانهم كان باللغة العربية.

2.2. أنهم كانوا من أولاد العرب.

3.3. أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب الـتي هي من بحر القلـزم إلى بحر البصـرة ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشـام بحيث كـانت تـدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام.

169- فإن قيل:ما ذكرتموه من الأدلة(يعـني القاضـية بـالنهي عن مشـابهتهم) معـارض بما يـدل على خلافه ، وذلك أن شـــرع من قبلنا شـــرع لنا ما لم يـــرد شـــرعنا بخلافه لقوله تعـالى:)فبهـداهم اقتـده ([1]، وبحـديث عاشوراء الذي كان يصـومه اليهـود فصـامه النـبي صـلى الله عليه وسـلم [2]، وبحـديث ابن عبـاس رضي الله عنه أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم كـان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء متفق عليه.

172- قيـــل: أما المعارضة بـــالأول فهو مبـــني على مقـــدمتين كلتاهما منفية في مســـألة التشـــبه بهم: إحداهما: أن يثبت بنقل موثوق به أن ذلك شرع لهم فأما مجــرد الرجــوع إلى قــولهم أو ما في كتبهم فلا يجــوز بالاتفاق.

---

[1] الأنعام (90) .

[2] البخاري : كتاب الصوم: باب صـيام يـوم عاشـوراء: ومسـلم: كتـاب الصـيام: (1130).

الثانية : أن لا يكون في شرعنا بيان خـاص لـذلك فـإن كان فيه بيان خاص بالموافقة أو المخالفة استغني به.
173- وأما صيام عاشوراء فقد ثبت أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم كـان يصـومه قبل اسـتخبار اليهـود وكـانت قريش تصومه.
174- وأما الجواب عن كونه يحب موافقة أهل الكتـاب فيما لم يؤمر فيه بشيء فمن وجوه:
1- 1- أحدها أنه منسوخ ومما يوضح ذلك أن كل ما جـاء من التشـبه بهم إنما كـان في صـدر الهجـرة ثم نسـخ، وسـببه أن المخالفة لهم لا تكـون إلا بعد ظهـور الـدين وعلـوه كالجهـاد وإلـزامهم بالجزية والصـغار، فلما كـان المسـلمون في أول الأمر ضـعفاء لم يشـرع لهم المخالفة، فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلـك، ومثل ذلك اليوم لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب لم يكن مـأموراً بالمخالفة لهم في الهـدي الظـاهر لما عليه في ذلك من الضرر، بل قد يسـتحب أو يجب للرجل أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر إذا كـان في ذلك مصـلحة دينية من دعـوتهم إلى الـدين والاطلاع على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الصالحة.
2-177- الوجه الثـاني: لو فرضـنا أن ذلك لم ينسخ فـالنبي صـلى الله عليه وسـلم هو الـذي كـان له أن يـوافقهم لأنه يعلم حقهم من بـاطلهم بما يعلمه الله تعـالى أما نحن فلا يجـوز لنا أن نأخذ شـيئاً من الـدين عنهم.
3- الوجه الثـالث: أن نقـول بموجبه : كـان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم إنه أمر بمخالفتهم وأمرنا نحن أن نتبع هديه.

177- والكلام إنما هو في أننا منهيون عن التشبه بهم فيما لم يكن سـلف الأمة عليه أما ما كـان سـلف الأمة عليه فلا ريب فيه سواء فعلوه أو تركـوه فإنا لا نـترك ما أمر الله به من أجل أن الكفار تفعلـه، قلت: ومن ذلك ما يـبرر به كثـير من حـالقي لحـاهم فعلهم بـأن الكفـار أو كثـيراً منهم الآن يعفـون لحـاهم فـإذا أعفيناها كنا متشبهين بهم هكـذا يقولـون وجـوابهم أن إعفـاء اللحية مما أمر الله ورسـوله به فلا نتركه من أجل أن الكفـار يفعلونه.

177- وقد تقـدم بيـان أن ما أمرنا الله به ورسـوله من مخـالفتهم مشـروع سـواء كـان الفعل مما قصد فاعله التشـبه بهم أم لم يقصـد، وكـذلك ما نهي عنه من مشـابهتهم يعم ما إذا قصـدت مشـابهتهم أم لم تقصد فـإن عامة هـذه الأعمـال لم يكن المسـلمون يقصـدون المشابهة فيهـا، وفيها ما لا يتصـور قصد المشـابهة فيه كبياض الشعر وطول الشارب.

178- أعمـالهم يعـني الكفـار ثلاثة أقسـام: قسم مشـروع في ديننا مع كونه مشـروعاً لهم أو لا نعلم أنه مشـروع لكنهم يفعلونه الآن.. وقسم كـان مشـروعاً ثم نسخه شرع القرآن. وقسم لم يكن مشروعاً بحال لكنهم أحدثوه. وهذه الأقسـام إما تكـون في العبـادات المحضة أو في العـادات المحضة وهي الآداب أو تجمع العبـادات والعـادات، فأما القسم الأول وهو ما كـان مشـروعاً في الشريعتين أو ما كـان مشـروعاً لنا وهم يفعلونـه: فمثل صـيام عاشـوراء ودفن المـوتى والصـلاة في النعلين فالمخالفة في هذا القسم تكون في صفة ذلك العمل.

179- القسم الثاني: ما كان مشروعاً ثم نسخ بالكلية كالسبت، ولا يخفى النهي عن موافقتهم في هذا سـواء كان واجباً عليهم فيكون عبادة، أو محرماً عليهم فيتعلق بالعادات، فليس للرجل أن يمتنع من أكل الشـحوم وكل ذي ظفر على وجه التدين بـذلك أو مركبـاً من العبـادات والعـادات كالأعيـاد فـإن العيد المشـروع يجمع عبـادة وعادة، فإنه يشرع فيها وجوباً أو استحباباً من العبـادات ما لا يشـرع في غيرهـا، ويبـاح فيها أو يسـتحب أو يجب من العـادات الـتي للنفـوس فيها حظ مـالا يكـون في غيرها، ولهذا وجب فطر يوم العيـدين. فمـوافقتهم في هذا القسم المنسوخ من العبـادات أو العـادات أو كليهما أقبح من موافقتهم فيما هو مشروع في الأصـل، ولهـذا كانت موافقتهم في هذا محرمة وفي الأول قد لا تكـون إلا مكروهة.

179- القسم الثـــالث: ما لم يكن مشـــــروعاً ولكن أحـــدثوه من العبـــادات أو العـــادات أو كليهما فهو أقبح وأقبح.

182- وبإسناده يعني أبا الشيخ الأصفهاني عن عطاء بن يســار قــال : قــال عمر : [إيــاكم ورطانة الأعـاجم وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم] .

189- فإذا كان الذبح بمكـان عيـدهم منهيـاً عنه فكيف الموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم.

العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العـام على وجه معتـاد عائد إما بعود السـنة أو بعـود الأسـبوع أو الشـهر أو نحو ذلك.

192- وهـذا يـوجب العلم اليقيـني بـأن إمـام المتقين صــلى الله عليه وســلم منع أمته منعــاً قويــاً من أعيــاد الكفار وسعى في دروسها وطموسها بكل سبيل.

202- قـال حـرب: قلت لأحمـد: فـإن للفـرس أيامـاً وشـهوراً يسـمونها بأسـماء لا تعـرف فكـره ذلك أشد الكراهـة، وروي عن مجاهد أنه كـره أن يقـال: آذر مـاه وذى ماه. قال : وسألت إسحاق قلت: تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية مثل آذار مـاه وذي مـاه قـال : إن لم يكن في تلك الأسامي اسم يكره فأرجو.

وكراهة أحمد لهذه الأسـماء لها وجهـان: أحـدهما: أنه إذا لم يعرف معنى الاسم جاز أن يكون معنى محرمـاً فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه. والوجه الثـاني: كراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية فإن اللسان العـربي شـعار الإسـلام وأهله واللغـات من أعظم شـعائر الأمم التي بها يتميزون.

204- بعد أن ذكر التفصـيل في حكم ترجمة الأذكـار في الصـلاة وغيرها قـال: وأما الخطـاب بها أي بغـير العربية من غـير حاجة في أسـماء النـاس والشـهور كـالتواريخ ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بـالمعنى بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضاً فإنه كره آذار ماه ومعناه ليس محرماً.

206- وفي الجملة فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب وأكـثر ما يفعلـون ذلك إما لكـون المخـاطب أعجميـاً أو قد اعتـاد العجمية يريـدون تقـريب الإفهـام عليه. . وأما اعتياد الخطاب بغير العربية الـتي هي شـعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصـير ذلك عـادة للمصر وأهله ولأهل الدار وللرجل مع صاحبه ولأهل السوق أو للأمـراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه.

210- الأنبياء ما وقتوا العبادات إلا بالهلال وإن اليهود والنصارى حرفوا الشرائع.

211- وإنما عـددت أشـياء من منكـرات دينهم لما رأيت طوائف من المسـلمين قد ابتلـوا ببعضـها وجهل كثـير منهم أنها من دين النصارى الملعون هو وأهله.

212- كل ما عظم بالباطل من زمان أو مكـان أو حجر أو شـــجر أوبنية يجب قصد إهانته كما تهـــان الأوثـــان المعبودة وإن كانت لولا عبادتها لكانت كسائر الأحجار.

215- وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة إلى هــذه القبـائح كـانت محرمـة، فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله تعالى من التبرك بالصـليب والتعميد في المعمودية أو قول القائل: المعبود واحد وإن كـانت الطـرق مختلفة ونحو ذلك من الأقوال والأفعـال الـتي تتضـمن إما كـون الشـريعة اليهودية والنصـرانية المبـدلتين المنسـوختين موصــــلة إلى اللـــه، وإما استحســـان بعض ما فيها مما يخالف دين الله تعالى والتدين بـذلك أو غـير ذلك مما هو كفر بالله ورســوله وبــالقرآن وبالإســلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك.

216- المشابهة يعني مشابهة الكفـار تفضي إلى كفر أو معصية غالباً أو تفضي إليهما في الجملــة، وليس في هذا المفضي مصلحة وما أفضى إلى ذلك كان محرماً.

217- فالعبد إذا أخذ منه غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشـــروع وانتفاعه به بقـــدر ما اعتــاض من غــيره بخلاف من صــرف نهمته وهمته إلى المشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم به دينه

ويكمل إسلامه، وذكر لذلك أمثلة ثم قال: ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها). رواه أحمد. ذكر وجوه تحريم مشابهة الكفار من حيث النظر والاعتبار (ص 207-222) ونحن نذكرها مجملة:

207- الوجه الأول: أن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج التي قال الله تعالى فيها:)لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ([1] فلا فرق بين مشاركتهم في العيد ومشاركتهم في سائر المناهج.

208- الثاني: أن ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله، لأنه إما محدث مبتدع وإما منسوخ فأحسن أحواله ولا حسن فيه أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلى بيت المقدس.

209- الوجه الثالث: أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتى يصير عادة بل عيداً فيضاهى بعيد الله بل يزيد عليه.

216- الوجه الرابع: أن الأعياد والمواسم في الجملة لها منفعة عظيمة في دين الخلق ودنياهم وقد شرع الله على لسان خاتم النبيين ما فيه صلاح الخلق على أتم الوجوه.. فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره. ولهذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن حتى ربما يكرهه.

---

[1] المائدة (48) .

219- الوجه الخـــــامس: أن مشـــــابهتهم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل .. وربما أطمعهم ذلك في انتهـــاز الفـــرص واســـتذلال الضعفاء.

219- الوجه السادس: أن ما يفعلونه في أعيادهم منه ما هو كفر ومنه ما هو حـرام ومنه ما هو مبـاح لو تجـرد عن مفسدة المشابهة، والتمييز بين هذا وهـذا قد يخفى على كثير من العامة.

219- الوجه الســابع: أن الله جبل بــني آدم بل ســائر المخلوقـــات على التفاعل بين الشـــيئين المتشـــابهين وكلما كـانت المشـابهة أكـثر كـان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم حتى يـؤول الأمر إلى أن لا يتمـيز أحـدهما عن الآخر إلا بالعين فقـط.. فالمشـابهة والمشـاكلة في الأمـور الظـاهرة تـوجب مشـابهة ومشـاكلة في الأمـور الباطنة على وجه المساوقة والتدريج الخفي.

221- الوجه الثامن: أن المشـابهة في الظـاهر تـورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشـابهة في الظـاهر والمحبة والمـوالاة لهم تنافي الإيمان[1].

---

[1] مشابهتهم فيما ليس من شرعنا قسمان: أحدهما: مع العلم بأن هذا العمل من خصائص دينهم فيفعله موافقة لهم أو لشـهوة تتعلق بـذلك العمل أو لتخيل منفعة فيه ولا شك في تحـريم ذلك كله وقد يبلغ أن يكـون كبـيرة أو كفـراً حسب الأدلة الشرعية. الثاني: أن يفعله من غـير علم أنه من عملهم وهو نوعـان: أحـدهما: ما كان في الأصل مأخوذاً عنهم إما على الوجه الذي يفعلونه وإما مع نـوع تغيـير في الفعل أو زمانه أو مكانه فيعـرف الفاعل بأصـله فـإن انتهى وإلا كـان من القسم الأول.. النـوع الثـاني : ما كـان غـير مـأخوذ عنهم لكنهم يفعلونه فهـذا ليس فيه محـذور المشـابهة لكن قد تفـوت فيه منفعة المخالفـة، قلت: ولا يـرد على ذلك إعفاء اللحية لأنه من شرعنا.

223- ليس النهي عن خصـــوص أعيـــادهم بل كل ما يعظمــون من الزمــان والمكــان الــذي لا أصل له في الإسلام داخل في ذلك.

227- وكما لا يتشبه بهم في الأعياد فلا يعان المسـلم المتشــبه بهم في ذلك بل يُنهى عن ذلك التشــبه.. ومن أهـدى للمسـلمين هدية في هـذه الأعيـاد مخالفة للعـادة في سائر الأوقات غير هذا العيد لم تقبل هديته خصوصاً إن كــانت الهدية مما يســتعان به على التشــبه بهم في مثل إهداء الشـمع ونحـوه في الميلاد .. وكـذلك لا يُهـدى لأحد من المسـلمين في هـذه الأعيـاد هدية لأجل العيد لا سيما إذا كان مما يستعان بها على التشبه بهم.

ولا يـــبيع المســـلم ما يســـتعين به المســـلم على مشـــابهتهم في العيد من الطعــام وغــيره لأن في ذلك إعانة على المنكرات.

فأما مبــايعتهم ما يســتعينون على عيــدهم أو شــهود أعيادهم للشــراء فيها فكلام أحمد في الشــراء منهم من غــير دخــول كنائســهم يــدل على الجــواز، أما في الــبيع فمحتمل هــذا خلاصة ما نقله الشــيخ عنه ثم قــال: وقد كـان المسـلمون يشـهدون أسـواقاً في الجاهلية وشـهد بعضــها النــبي صــلى الله عليه وســلم.. ثم إن الرجل لو ســافر إلى دار الحــرب ليشــتري منها جــاز كما دل عليه حــديث تجــارة أبي بكر رضي الله عنه في حيــاة النــبي صـلى الله عليه وسـلم إلى الشـام .. وأما حمل التجـارة إلى أرض الحـــرب ففيه روايتـــان منصوصـــتان وأكـــثر نصوصه تقتضي المنع لكن هل هو منع تنزيه أو تحريم.

232- وعن أبي الحـــارث أن أبا عبد الله ســـئل عن الرجل يبيع داره وقد جاء نصــراني فأرغبه وزاد في ثمن الدار ترى له أن يبيع داره منه وهو نصراني أو يهـودي أو مجوسي قـال : لا أرى له ذلك يـبيع داره من كـافر يكفر فيها بالله يبيعها من مســـلم أحب إلي فهـــذا نص على المنع.

236- لما ذكر اختلاف الأصـحاب في الإجـارة للــذمي ووجه الفرق بينها وبين الـبيع عند من فـرق بينهما وهل منع الـبيع والإجـارة من بـاب التحـريم أو الكراهة قـال : وهـذا الخلاف عنـدنا والـتردد في الكراهة هو فيما إذا لم يعقد الإجـارة على المنفعة المحرمة فأما إن أجـره إياها لبيع الخمر واتخاذها كنيسة أو بيعة لم يجز قولاً واحداً.

237- معاصي الــذمي قســمان: أحــدهما: ما اقتضى عقد الذمة إقراره عليها الثـاني: ما اقتضى منعه منها أو من إظهارها وهـــذا لا ريب أنه لا يجـــوز على أصـــلنا أن يؤاجر أو يبايع الـذمي عليه إذا غلب على الظن أنه يفعل ذلـك. وأما الأول فعلى ما قاله أبو موسى يكـره ثم علله وقال: وعلى ما قاله القاضي لا يجوز ثم ذكر علته.

244- ذكر في هذه الصفحة وما بعـدها كلامــاً يفيد أن من اســـتؤجر لحمل خمر ونحوها أنه يحـــرم عليه ذلك ويقضى له بالأجرة ثم تحرم عليه الأجرة لحق الله تعـالى لا لحق المسـتأجر، فـالأجرة صـحيحة بالنسـبة للمسـتأجر بمعنى أنه يجب عليه الأجرة، فاسدة بالنسبة إلى الأجــير بمعنى أنه يحرم عليه الانتفاع بـالأجرة قـال: ولهـذا في الشريعة نظائر.

247- البغي والمغـني والنائحة ونحـوهم إذا تـابوا هل يتصـــدقون بما أعطـــوا من أجـــرة أو يردونها على من أعطـاهم على قـولين: أصـحهما يتصـدقون بها وتصـرف في مصالح المسلمين.

249- بيع الكفار ما يقيمون به أعيـادهم كـبيع العقـار للســـكنى حــــرام وبيع ما يفعلـــون به نفس المحــــرم كالصـليب لا ريب في تحريمه كـبيعهم العصـير ليتخـذوه خمــــراً وبنـــاء الكنيسة لهم وبيع ما ينتفعـــون به في أعيادهم للأكل والشـرب واللبـاس فأصـول أحمد تقتضي كراهته والأشبه أنها كراهة تحريم ثم علل ذلك.

259- عبادة الله تعـالى بالصـلاة والنسك له أعظم من الاسـتعانة باسـمه في فـواتح الأمـور لو ذبح لغـير الله متقربـــاً به إليه لحـــرم، وإن قــال فيه : باسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هـذه الأمة ممن يتقربـون إلى الأولياء، وإن كـان هـؤلاء مرتـدين لا تبـاح ذبيحتهم بحـال لكن يجتمع في الذبيحة مانعـان ومن هـذا ما يفعله بعض الجهال من الذبح للجن.

262- فأما صـوم أعيـاد الكفـار مفـردة بالصـوم فقد اختلف في ذلك من أجل أن المخالفة تحصل بالصـــوم أو بترك تخصيصه بعمل.

ثم ذكر حـديث " النهي عن صـوم يـوم السـبت" [1] إلا فيما افترض وقال : لا يقـال : يحمل النهي على إفـراده يعـني من أجل الاسـتثناء قـال :وعلى هـذا فالحـديث إما شاذ غير محفوظ وإما منسـوخ وفي (ص 264) قـال أبو داود: قال مالك: "هذا كـذب وأكـثر أهل العلم على عـدم الكراهة".

265- اختلف القــائلون بكراهة إفــراد صــوم الســبت فقيل : إنه يـوم عيد لأهل الكتـاب فقصـده بالصـوم دون غيره تعظيم له، وهذا التعليل قد

---

[1] الترمذي: كتاب الصوم: بـاب ما جـاء في صـوم يـوم السـبت: وابن ماجه كتـاب الصيام / باب ما جاء في صيام السبت: وأبو داود : كتاب الصوم: والحاكم جــ 21 ص 601 وقال: " حديث صحيح على شرط البخاري " قال الذهبي " عارضه خــبر قتادة ".

يعــارض بيــوم الأحد وقد يقــال : إذا كــان يــوم عيد فمخالفتهم فيه بالصوم، ثم استدل له.

267- ومن المنكـرات في هـذا البـاب سـائر الأعيـاد والمواسم المبتدعة فإنها من المنكـــرات المكروهـــات ســـواء بلغت الكراهة التحـــريم أو لم تبلغه فأعيـــاد أهل الكتـاب والأعـاجم نهي عنها لسـببين: المشـابهة وكونها من البــدع. فما أحــدث من المواسم والأعيــاد فهو منكر وإن لم يكن فيه مشابهة لأهل الكتاب لوجهين:

أحدهما: أنه داخل في مسمى البدع والمحــدثات [1] ثم ذكر الأحـاديث المحـذرة من ذلك ودلالة الكتـاب والسـنة والإجماع على هذه القاعدة وقال:

268- من ندب إلى شيء يتقـرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غــير أن يشــرعه الله فقد شــرع من الـدين ما لم يـأذن به الله ومن تبعه في ذلك فقد اتخـذه شريكاً لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله.

نعم قد يكون متأولاً في هذا الشــرع فيغفر له إذا كـان مجتهـداً الاجتهـاد الـذي يعفى فيه عن المخطئ ويثـاب أيضاً على اجتهاده لكن لا يجوز اتباعه في ذلك.

268- ويلحق الـــــذم من يُبَين له الحق فيتركه أو من قصر في طلبه فلم يتبين له أو أعرض عن طلب معرفته لهوى أو كسل أو نحو ذلك.

269- فالأصل في العبـــادات أن لا يشـــرع منها إلا ما شرعه الله. وفي العـادات أن لا يحظر منها إلا ما حظـره الله.

وهـذه القاعـدة وهي الاسـتدلال بكـون الشـيء بدعة على كراهته قاعدة عظيمة.

---

(1) ذكر الوجه الثاني (ص 282).

270- ومن النـــاس من يقـــول : البـــدع تنقسم إلى قسمين حسنة وقبيحة بـدليل قـول عمر في الـتراويح: " نعمت البدعـة" [1] وبـدليل أشـياء من الأقـوال والأفعـال أحـدثت بعد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وليست مكروهة أو هي حسنة للأدلة الدالة على ذلك من الإجماع أو القيـاس وهـؤلاء يقولـون : ليس كل بدعة ضـلالة ثم لهم هاهنا مقامـــان: أحـــدهما: أن يقولـــوا : إذا ثبت أن بعض البـدع حسن وبعضـها قـبيح فـالقبيح ما نهى عنه الشارع وما سكت عنه فليس بقبيح بل قد يكـون حسـناً. المقـام الثـاني: أن يقولـوا عن بدعة سـيئة هـذه بدعة حسنة : لأن فيها من المصلحة كيت وكيت.

والجــواب عن المقــام الأول: أن القــول بــأن كل بدعة ضلالة هو نص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البـدع ومن نـازع في دلالته فهو مراغم.

ويقـال: ما ثبت حسـنه فليس من البـدع أو مخصـوص من هذا العموم.

والمخصص هو الكتـــاب والســـنة والإجمـــاع نصـــاً أو اســـتنباطاً وأما عـــادة بعض البلاد أو قـــول كثـــير من العلماء فلا يصلح أن يكون معارضاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يخصص به . . لكن لكــثرة الجهالة قد يســتند إلى مثلها خلق كثــير من النــاس حــتى من المنتسبين إلى العلم والدين.

272- وأيضاً لا يجوز حمل قوله صلى الله عليه وسـلم : (كل بدعة ضـــــلالة)، على البدعة الـــــتي نهي عنها بخصوصها لأن هـذا تعطيل لفائـدة الحـديث فـإن ما نهي عنه قد علم بذلك النهي أنه قبيح محرم سـواء كـان بدعة أم لا وحمل

---

[1] البخاري: كتاب صلاة التراويح: باب فضل من قام رمضان.

الحـديث على هـذا من نـوع التحريف والإلحـاد وفيه من المفاسد أشياء:

- أحدها: سقوط الاعتماد على هذا الحديث.
- الثاني: أن لفظ البدعة ومعناها يكون اسماً عـديم التأثير.
- الثالث: أنه إذا لم يقصد بهذا الخطاب إلا المنهي عنه كـان كتمانـاً لما يجب بيانه وبيانـاً لما لم يُقصد ظـاهره وتلبيساً محضاً لا يسوغ للمتكلم إلا أن يكون مدلساً.
- الرابع: أنه لو أريد به ما فيه نهي خـاص لكـان النـبي صلى الله عليه وسلم أحالهم في معرفة المـراد به على ما لا يكاد يحيط به أحد ولا يحيط بـأكثره إلا خـواص الأمة وهذا لا يجوز بحال.
- الخامس: أنه لو أريد به ما فيه نهي خـاص من البـدع لكان أقل مما فيه نهي خـاص واللفظ العـام لا يجـوز أن يراد به الصور القليلة أو النادرة.

274- وأما المقام الثاني/ فيقال : هب أن البــدع تنقسم إلى حسن وقــبيح فهــذا لا يمنع أن يكــون الحــديث دالاً على قبح الجميع وأكثر ما يقـال : إذا ثبت أن هـذا حسن فهو مستثنى من العموم لدليل كـذا وكـذا أو يقـال : إن ثبت أنه حسن فليس ببدعة فأما ما يظن أنه حسن ولم يثبت حسنه أو ما يجوز أن يكـون حسـناً وأن يكـون غـير حسن فلا يعارض به الحديث.

275- فأما صــلاة الــتراويح فليست بدعة لأن النــبي صـــلى الله عليه وســـلم صـــلاها في الجماعة في أول رمضـان ليلـتين أو ثلاثـاً وصـلاها في العشر الأواخر في جماعة مرات.

276- وتسـمية عمر لها بدعة تسـمية لغوية لأن البدعة لغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثـال سـابق. والبدعة الشرعية: (كل ما لم يدل عليه دليل شـرعي). فـإذا كـان نص رســـول الله صــــلى الله عليه وســــلم قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دل عليه مطلقاً ولم يعمل به إلا بعد موته صح أن يســمى بدعة في اللغة لأنه عمل مبتــدأ فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة.

277-278- ذكر أمثلة من البــدع كجمع القــرآن ونفي عمر ليهـود خيـبر ونصـارى نجـران ورد العطـاء من أولي الأمر وقتال أبي بكر لمانعي الزكاة.

278- والضـــابط في هـــذا والله أعلم أن يقـــال : إن الناس لا يحدثون شيئاً إلا يرونه مصلحة فما رأوه مصلحة فلينظر إلى السبب المحوج إليه فإن كان أمراً حــدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم وليس لتفريط منا فقد يجوز إحـداث ما تـدعو الحاجة إليه . ولـذلك إن كـان المقتضي لفعله في عهد النبي صـلى الله عليه وسـلم قائمـاً لكن تركه لمعـارض زال بموته أي فإنه يجـوز فعله مثل كتابة القــرآن وقيــام رمضــان جماعة فأما ما كــان المقتضي لفعله موجـوداً ولا معـارض له في عهد النـبي صـلى الله عليه وســـلم فإنه لا يجـــوز إحداثه مثل الأذان لصــــلاة العيـدين. وكـذلك ما أحـدث بتفريط من النـاس كتقـديم الخطبة على الصــــلاة في العيــــدين فإنه لما فعله بعض الأمراء أنكـره المسلمون فاعتـذر من أحدثه بـأن النـاس ينفضــون قبل ســماع الخطبة بخلافهم في عهد النـــبي صلى الله عليه وسـلم كـان يخطبهم لتبليغهم وهـدايتهم ونفعهم وأنت تقصد إقامة رئاستك فهـذه المعصـية منك لا تبيح لك إحداث معصـية أخـرى بل الطريق إلى ذلك أن تتوب إلى الله تعالى وتتبع سنة نبيه،

فيستقيم الأمر وإن لم يستقم فلا يسـألك الله تعـالى إلا عن عملك لا عن عملهم.

281- بين ما يحصل للأمـراء والعلمـاء والعبـاد بإقامة الشرع واتباع السنة.

282- الوجه الثاني/ في ذم المواسم والأعياد المحدثة ما تشتمل عليه من الفساد في الدين فمن ذلك:

1- 1- أن من أحدث عملاً خص به زمانـاً أو مكانـاً فلا بد أن يصحب ذلك اعتقاد وهذا الاعتقـاد إذا لم يكن له أصل يثبت به كان مفسدة، ثم استدل لذلك بنهي النبي صـلى الله عليه وسـلم " عن تخصـيص ليلة الجمعة بالقيـام ويومها بالصـيام"[1] ثم قـال : ومعلـوم أن مفسـدة هـذا العمل بالتخصـيص وإلا لنهى عنه مطلقـاً أو لم ينه عنه كيوم عرفة فظهر أن المفسدة تحصل من تخصيص مـالا خصيصة له.

288- العمل المبتـدع مسـتلزم إما لاعتقـاد هو ضـلال في الـدين وإما لعمل دين لغـير الله تعـالى والتـدين بالاعتقادات الفاسدة أو لغير الله لا يجوز.

289- ثم هـذا الاعتقـاد يتبعه أحـوال في القلب من التعظيم والإجلال وتلك الأحوال أيضـاً باطلة ليست من دين الله تعالى.

فعلمت أن فعل هذه البدع تناقض الاعتقـادات الواجبة وتنـازع الرسل فيما جـاؤوا به عن الله تعـالى وتـورث القلب نفاقاً، وإن كان خفيفاً. فمن تدبر هـذا علم يقينـاً ما في حشو البدع من السموم المضعفة للإيمان.

---

(1) مسلم : كتاب الصيام : باب كراهة صيام الجمعة منفرداً.

290- فإن قيـل: هـذا يعارضه أن هـذه المواسم فعلها قوم من أولي العلم والفضل وفيها فوائد يجدها المؤمن في قلبه وغير قلبه من رقة القلب وإجابة الدعاء ونحوه، قلنا: لا ريب أن من فعلها متأولاً مجتهداً ومقلداً كـان له أجر على حسن قصــــده وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع، وكـان ما فيه من البدعة مغفـوراً لـه، إذا كـان في اجتهـاده أو تقليـده من المعـذورين لكن هـذا لا يمنع كراهتها والنهي عنها والاعتياض عنها بالمشروع الـذي لا بدعة فيه.

291- ثم يقــــال: إذا فعلها قــــوم فقد تركها قــــوم معتقــــدين كراهتها وأنكرها آخــــرون وهم ليســــوا دون الفاعلين في الفضل ومعهم عامة المتقدمين الـذين هم أفضل من المتـــــــأخرين. وما فيها من المنفعة يعارضه مفاسد البدعة الراجحة على منفعتها فمنها:

1- المفسدة الحالية أو الاعتقادية.

2- أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن.

3- أن الخاصة والعامة تنقص بســــببها عنــــايتهم بالســــنن والفرائض وتفتر رغبتهم فيها.

4- أن المعروف يصير منكراً والمنكر معروفاً.

5- اشتمالها على كثير من المكروهات في الشريعة.

6- مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع.

292- العيد يكون اسماً للمكان والزمان والاجتماع: أما الزمان فثلاثة أنواع:

* أحـدها: يـوم لم تعظمه الشـريعة أصـلاً ولم يكن له ذكر في وقت الســلف ولا جــرى فيه ما يــوجب تعظيمه مثل أول خميس من رجب

وليلة تلك الجمعة التي تسـمى الرغـائب، فـإن تعظيم هذا اليوم والليلة إنما حدث بعد المئة الرابعة وفيه حديث موضوع باتفاق العلماء.

293- النوع الثاني: ما جـرى فيه حادثة ولم تـوجب أن يكون موسماً ولم يعظمه السلف كثـامن عشر ذي الحجة الذي " خطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم في غــدير خم مرجعه من حجة الوداع أوصى فيها باتبـاع كتـاب الله وبأهل بيته" [1] .. فزاد فيه بعض أهل الأهواء وزعموا أن النـــبي صـــلى الله عليه وســـلم عهد إلى علي بالخلافة بـالنص الجلي.. وأن الصـحابة تمـالؤوا على كتمـان هـذا النص وغصـبوا الوصي حقه وفسـقوا وكفـروا إلا نفـراً قليلاً فاتخاذ ذلك اليوم عيداً محدث لا أصل له.

294- وكـــذلك ما يحدثه بعض النـــاس إما مضـــاهاة للنصـارى في ميلاد عيسـى، وإما محبة للنـبي صـلى الله عليه وسلم وتعظيماً له من اتخاذ مولد النـبي صـلى الله عليه وسلم عيداً مع اختلاف الناس في مولـده فـإن هـذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المـانع ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف أحق به منا فإنهم كـــانوا أشد محبة لرســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم وتعظيمـــاً له منـــا، وهم على الخـــير أحـــرص وإنما كمـــال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمـره وإحيـاء سنته باطناً وظـاهراً ونشر ما بعث به والجهـاد على ذلك بالقلب واليد واللسان.

296- عليك بأدبين: أحدهما: حرصك على اتبـاع السـنة باطناً وظاهراً في خاصـتك وخاصة من يطيعـك. الثـاني: أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان.

---

(1) مسلم : كتاب فضائل الصحابة (2408).

298- فتفطن لحقيقة الـدين وانظر ما اشـتملت عليه الأفعال من المصالح الشـرعية والمفاسـد.. بحيث تقـدم عند الـتزاحم أعـرف المعـروفين فتعـزو إليه وتنكر أنكر المنكرين وترجح أقوى الدليلين فـإن هـذا خاصة العلمـاء بهذا الدين.

299- فـــالمؤمن يعـــرف المعـــروف وينكر المنكر ولا يمنعه من ذلك موافقة بعض المنـــافقين له ظـــاهراً في الأمر بذلك المعـروف والنهي عن ذلك المنكر ولا مخالفة بعض علماء المؤمنين.

- النـــوع الثـــالث: ما هو معظم في الشـــريعة كيـــوم عاشوراء فهذا قد يحـدث فيه ما يعتقد أن له فضـيلة كما أحدث بعض أهل الأهواء فيه التعطش والتحـزن والتجمع .. وأحدث بعض النـاس فيه أشـياء مسـتندة إلى أحـاديث موضـــوعة لا أصل لها مثل فضل الاغتســـال فيـــه.. وقد روي في التوسع به على العيال آثار معروفة .. والأشـبه أن هذا وضع لما ظهرت العصـبية بين الناصـبة والرافضة فإن هؤلاء أعدو يوم عاشـوراء مأتمـاً فوضع أولئك آثـاراً تقتضي التوسع فيه وكلاهما باطل.

301- وهـــؤلاء فيهم بـــدع وضـــلال وأولئك فيهم بـــدع وضلال وإن كانت الشيعة أكثر كذباً وأسوأ حالاً.

302- ومن هذا الباب ليلة النصف من شعبان روي في فضـلها أحـاديث ومن السـلف من يخصـها بالقيـام ومن العلماء من السلف وغـيرهم من أنكر فضـلها وطعن في الأحـاديث الـواردة فيهـا، لكن الـذي عليه كثـير من أهل العلم أو أكثرهم على تفضـيلها. فأما صـوم يـوم النصف مفـرداً فلا أصل لـه، بل إفـراده مكـروه وكـذلك اتخـاذه موسماً تصنع فيه

الأطعمة. وما أحدث ليلة النصف من الاجتمـاع للصـلاة الألفية فإن هذا الاجتماع مكروه لم يشرع.

308- فأما الحـديث المرفـوع في هـذه الصـلاة الألفية فكذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحـديث. وقد يحـدث في اليـــوم الفاضل مع العيد العملي المحـــــدث العيد المكاني مثل قصد قـبر من يحسن الظن به يـوم عرفة للاجتماع عند قبره والسفر إلى بيت المقدس للتعريف فيه.. فأما قصد الرجل مسجد بلده للدعاء والذكر فهـذا هو التعريف في الأمصار الذي اختلف فيه العلماء وذكر خلافهم وتعليلهم.

312- وأما ما أحـدث في الأعيـاد من ضـرب البوقـات والطبـول فـإن هـذا مكـروه في العيد وغـيره ... فينبغي إقامة المواسم على ما كان السابقون الأولون يقيمونها من الصـلاة والخطبة المشـروعة والتكبـير والصـدقة في الفطر والـذبح في الأضـحى فـإن من النـاس من يقصر في التكبــير المشــروع ومن الأئمة من يــترك أن يخطب للرجـــال ثم النســـاء.. ومنهم من لا ينحر بعد الصـــلاة بالمصلى وهو ترك للسنة إلى أمـور أخر من غـير السـنة فإن الدين فعل المعروف والأمر به وترك المنكر والنهي عنه.

312- والأعياد المكانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما لا خصوص له في الشــريعة فلا فضل له ولا فيه ما يوجب تفضيله فقصده أو قصد الاجتماع به لصـلاة أو غيرها ضلال بين ثم إن كان فيه بعض آثار الكفــار من اليهود والنصارى وغيرهم كان أقبح وأقبح.

314- فمن قصد بقعة يرجو الخـــــير بقصـــــدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء أكانت البقعة شـجرة أو غيرها أو قنـاة جارية أو جبلاً أو مغـــــــارة وقد ذكر من (ص 316-319) أمثلة كثيرة ثم قال:

320- وأما إجابة الـــدعاء (يعـــني لمن دعا عند هـــذه المشـاهد) فقد يكـون سـببه اضـطرار الـداعي وصـدق التجائه أو مجرد رحمة الله تعالى له أو يكون أمراً قضـاه الله تعـالى لا لأجل دعائه أو يكـون لأسـباب أخـرى وإن كانت فتنة في حق الداعي.

321- النـــــوع الثـــــاني: ماله خصيصة لكن لا تقتضي اتخـاذه عيـداً ولا صـلاة ونحوها من العبـادات عنـده مثل قبور الأنبياء والصالحين فقد نهي عن اتخاذها عيداً.

325- قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة إذ هو بيت المســـــلم الميت فلا يـــــترك عليه شـــــيء من النجاسات بالاتفـاق ولا يوطأ ولا يـداس ولا يتكأ عليه ولا يجاور بما يؤذي الأموات من الأقـوال والأفعـال الخبيثـة، ويسـتحب عند إتيانه السـلام على صـاحبه والـدعاء لـه، وكلما كان الميت أفضل كان حقه آكد.

328- وهذا النهي (يعني النهي عن شد الرحـال لغـير المسـاجد الثلاثـة) يعم السـفر إلى المسـاجد والمشـاهد وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب والعبادة.

336- ليس على المـــــؤمن ولا له أن يطـــــالب الرسل بتبيين وجوه المفاسد وإنما عليه طاعتهم.

347- كانت طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يأمروا الخلق بما فيه صلاحهم وينهوهم عما فيه فسادهم ولا يشغلوهم بالكلام في أسباب الكائنات كما تفعل المتفلسفة فإن ذلك كثير التعب قليل الفائدة أو موجب للضرر.

348- على أن الكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه بحيث يختلط عقله فيتوله إذا لم يرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدى واليقين.

352- وإنما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها ديناً بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السابقون الأولون.

353- الكرامة في الحقيقة ما نفعت في الآخرة أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة.

365- قال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويمضي، لا يستحب للداعي أن يستقبل إلا ما يستحب أن يصلي إليه.. ومن الناس من يتحرى وقت دعائه استقبال الجهة التي يكون فيها معظمه الصالح سواء أكانت في الشرق أو غيره وهذا ضلال بين وشرك واضح.

366- كره مالك وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء ويسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفراً ونحو ذلك. ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها فأما قصده دائماً للصلاة والسلام فما علمت أحداً رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً .. وأيضاً فإن ذلك بدعة فقد كان

المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يجــيئون إلى المســجد كل يـــوم خمس مرات يصلون ولا يـأتون إلى القـبر يسـلمون عليه لعلمهم بما كان النبي صـلى الله عليه وسـلم يكرهه من ذلك وبما نهـــاهم عنه وأنه يســـلمون عليه عند دخـــول المسجد والخروج منه وفي التشهد.

367- كلما ضعف تمسك الأمم بعهـود أنبيـائهم ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحـدثوه من البـدع والشـرك وغيره.

370- المنقول عن السلف كراهة الوقـوف عند القـبر للدعاء وهو أصح.

376- اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد.

378- الناس على قولين معروفين: أحدهما: أن ثـواب العبادات البدنية من الصلاة والقـراءة ونحوهما يصل إلى الميت كما يصل إليه ثـــواب العبـــادات المالية بالإجمـــاع وهـذا مـذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما وقـول طائفة من أصـحاب مالك والشـافعي وهو الصـواب لأدلة كثـيرة ذكرناها في غير هذا الوضع.

والثـاني: أن ثـواب العبـادة البدنية لا يصل إليه بحـال وهو المشهور عند أصحاب الشافعي ومالك.

379- فأما اســـتماع الميت للأصـــوات من القـــراءة وغيرها فحق .. ونقلـوه عن أحمد وذكـروا فيه آثـاراً أن الميت يتألم بما يفعل عنده من المعاصي.

383- واعلم أن المقبـورين من الأنبيـاء والصـالحين المدفونين يكرهـون ما يفعل عنـدهم كل الكراهة كما أن المسيح يكره ما يفعله النصارى به.

384- ومن أصــغى إلى كلام الله وكلام رسـول بعقله وتـــدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة والهـــدى وشفاء القلـوب والبركة والمنفعة ما لا يجـده في شـيء من الكلام لا منظومه ولا منثـــوره .. فعلى العاقل أن يجتهد في اتبـاع السـنة في كل شـيء من ذلك ويعتـاض عن كل ما يظن من البدع أنه خير بنوعه من السـنن فإنه من يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه.

لما ذكر ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يتتبع المواضع التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم والتي صلى فيها اتفاقاً لا قصداً فيسلكها ويصلي فيها قال:

387- لم يوافقه عليه أحد من الصـحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشـدين ولا غـيرهم من المهـاجرين والأنصـار يعني أنه يفعل ذلك قال: والصواب مع جمهـور الصـحابة لأن متابعة النــبي صــلى الله عليه وســلم تكـون بطاعة أمره وفي فعله بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الـذي فعله، فإذا قصد النبي صلى الله عليه وسلم العبـادة في مكـان كـان قصد العبـادة فيه متابعة له كقصد المشـاعر والمساجد، وأما إذا نـزل في مكـان بحكم الاتفـاق لكونه صـادف وقت الـنزول أو غــير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان فإنا إذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له فإنما الأعمال بالنيات.

391- والشـــرك وســائر البـــدع مبناها على الكـــذب والافـتراء ولهـذا فـإن كل من كـان عن التوحيد والسـنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الـذين هم أكـذب طوائف أهل الأهـواء وأعظمهم شـركاً فلا يوجد في أهل الأهـــواء أكـــذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتى إنهم يخربون مساجد الله الـتي يـذكر فيها اسمه فيعطلونها عن

الجمع والجماعـات ويعمـرون المشـاهد الـتي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها[1].

400- كره مالك وغيره من العلمـاء أن يقـول القائل : زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عن النــبي صـــلى الله عليه وســـلم حـــديث واحد في زيـــارة قـــبر مخصـــوص يريد أنه أمر بزيـــارة قـــبر مخصـــوص أما هو بنفسه فقد زار قبر أمه صلى الله عليه وسلم.

410- إذا سـئل الله تعـالى بما جعله سـبباً للمطلـوب من التقوى والأعمال الصـالحة فهـذا سـؤال وتسـبب بما جعله هو سبباً، وأما إذا سئل بشيء ليس سبباً للمطلوب فإما أن يكــــون إقســـــاماً به عليه فلا يقسم على الله بمخلـوق وإما أن يكـون سـؤالاً بما لا يقتضي المطلـوب فيكون عديم الفائدة.

416- قد يـراد بالخطـاب والنـداء استحضـار المنـادى بالقلب فيخاطب لشهوده بـالقلب، كما يقـول المصـلي: السلام عليك أيها النبي والإنسـان يفعل مثل هـذا كثـيراً يخــاطب من يتصـوره في نفسه إن لم يكن في الخــارج من يسمع الخطاب.

421- يفرق بين قول القائل : (الصفات غير الـذات) وقولـه: (صـفات الله غـير الله) فـإن الثـاني باطل لأن مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الـذات فإنه لا يدخل فيه الصفات، ولهـذا لا يقـال : صـفات الله الزائدة عليه وإن قيل : الصفات زائدة على الذات.

---

[1] وفي (ص 439) والرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صحيح ولا نقل صريح ولا دين مقبول ولا دنيا منصورة.

422- التوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين: إما بطاعتهم واتباعهم وإما بدعائهم وشفاعتهم أما مجرد دعاء الداعي وتوسله بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه وإن عظم جاه أحدهم عند الله تعالى.

423- الكلام هنا في ثلاث مسائل:

- **الأولى: أن يتأسى به (أي بالنبي صلى الله عليه وسلم) في صورة الفعل الذي فعله من غير أن يعلم قصده فيه أو مع عدم السبب الذي فعله من أجله ففيه نزاع مشهور، وابن عمر رضي الله عنهما مع الآخذين بالتأسي به فيه.**
- **الثانية: أن يتحرى تلك البقعة ليصلي عندها من غير أن يكون وقتاً لصلاة بل ينشىء الصلاة لأجل البقعة، فهذا لم ينقل عن ابن عمر ولا غيره.**
- **الثالثة: أن لا تكون تلك البقعة في طريقه بل يعدل عن طريقه إليها أويسافر إليها سفراً طويلاً أو قصيراً كمن يذهب إلى جبل حراء أو ثور أو الطور ليصلي فيه أو يدعو، فهذا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه يفعلونه، وتعبد النبي صلى الله عليه وسلم في حراء كان قبل المبعث أما بعده فلم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إليه.. فمن جعل قصد ذلك عبادة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن به الله.**

429- المسجد الحرام هو المسجد الذي شرع لنا قصده للصلاة والدعاء والطواف وغير ذلك من العبادات ولم يشرع لنا قصد مسجد بعينه بمكة سواه.

430- لما ذكر السفر للمساجد الثلاثة قال: وما سـوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم.

433- وليس في المدينة مسـجد يشـرع إتيانه إلا مسـجد قباء.

433-435- كلام جيد عن بيت المقدس وصخرته.

436- كلام عن كعب الأحبار وفضائل الشام.

437- عن الحـــديث المرسل والمعلق وما يـــروى عن أهل الكتاب.

438- أصـــحاب النـــبي صـــلى الله عليه وســـلم من الســـابقين الأولين والـــذين اتبعـــوهم بإحســـان .. أعلم بالـــدين وأتبع له ممن بعـــدهم وليس لأحد أن يخـــالفهم فيما كانوا عليه.

454- لفظ الإســـلام يتضـــمن الاستســـلام والانقيـــاد ويتضمن الإخلاص.

459- غلط في مســـــــمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل العبـــادة والإرادة، فطائفة ظنت أن التوحيد نفي الصفات بل نفي الأسماء الحسنى أيضـاً وسـموا أنفسـهم أهل التوحيد وأثبتـوا ذاتـاً مجـردة عن الصـفات وموجـوداً مطلقـاً بشـرط الإطلاق، وقد علم بصـريح المعقـول الموافق لصـحيح المنقـول أن ذلك لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان.

460- وطائفة ظنـــوا أن التوحيد هو الإقـــرار بتوحيد الربوبية وأن الله خلق كل شـــــيء .. وأن الإلهية هي القدرة على الاخـتراع .. ولم يعلمـوا أن مشـركي العـرب كـانوا يقـرون بهـذا التوحيـد.. ولا يخلص بمجـرده من الإشراك الذي هو أكبر الكبائر.

461- والإله هو المـألوه الـذي تألهه القلـوب وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال.

وطائفة ممن تكلم في التوحيد على طريقة أهل التصـوف ظنـوا أن توحيد الربوبية هو الغاية والفنـاء فيه هو النهايــة، وأنه إذا شــهد ذلك ســقط عنه استحســان الحسن واســتقباح القــبيح فــآل بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهي والوعد والوعيد.

463- أولئك المبتـدعون الـذين أدخلـوا في التوحيد نفي الصـفات وهـؤلاء الـذين أخرجـوا عنه متابعة الأمـر، إذا حققوا القـولين أفضى بهم الأمر إلى أن لا يفرقـوا بين الخـالق والمخلـوق بل يقولـون بوحـدة الوجـود كما قاله أهل الإلحـاد... الـذين يقـول عـرافهم: السـالك في أول أمره يفرق بين الطاعة والمعصية أي نظـراً إلى الأمر ثم يرى طاعة بلا معصية أي نظراً إلى القدر ثم لا طاعة ولا معصــية أي نظــراً إلى أن الوجــود واحد ولا يفــرق بين الواحد بالعين والواحد بالنوع فـإن الموجـودات مشـتركة في مسـمى الوجـود.. مع العلم الضـروري أنه ليس عين وجـود هـذا الإنسـان هو عين وجـود هـذا الفـرس.. لكن بينهما قدر مشترك تشـابها فيه قد يسـمى كليـاً مطلقـاً وقدراً مشتركاً ونحو ذلك.

465- والله سبحانه بعث أنبيـاءه بإثبـات مفصل ونفي مجمل فـأثبتوا له الأسـماء والصـفات ونفـوا عنه مماثلة المخلوقـــات ومن خـــالفهم من المعطلة المتفلســـفة وغـيرهم عكسـوا القضـية فجـاؤوا بنفي مفصل وإثبـات مجمــل، يقولــون : ليس كــذا ليس كــذا ليس كــذا، فــإذا أرادوا إثباته قالوا: وجود مطلق بشـرط النفي أو بشـرط الإطلاق، وهم يقرون في منطقهم اليونـاني أن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون في الخارج.

466- وأما الرسل فطريقتهم طريقة القرآن قال الله تعـالى :) سـبحان ربك رب العـزة عما يصـفون . وسـلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ([1].

467- فليجتهد المـــؤمن في تحقيق العلم والإيمـــان وليتخذ الله هادياً ونصيراً وحاكماً وولياً فإنه نعم المولى ونعم النصير وكفى بربك هادياً ونصيراً.

وإلى هنا انتهى ما أردنا نقله من كتـاب شـيخ الإسـلام ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصـحاب الجحيم) متحرين نقل كلامه بلفظه غالباً وربما سـقناه بـالمعنى أسـأل الله تعـالى أن يجعل فيما نقلنـاه بركة وأن ينفع به كما نفع بأصــله، وأن يوفقنا والمسـلمين لما فيه الخـير والصـلاح، إنه جـواد كـريم وصـلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تم نقله يوم الاثنين الموافق للثامن والعشرين من شهر الله المحرم سنة 1400 أربعمائة وألف

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسـتغفره ونتـوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسـيئات أعمالنا من يهـده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له ، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله صـلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه والتـابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً)يا أيها الذين آمنوا اتقـوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون([1]) يا أيها الناس اتقــوا ربكم الــذي خلقكم من نفس واحــدة وخلق منها

---

[1] الصافات (180-182) .

[1] آل عمران : 102.

زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً([2].

) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً (. [3]

أما بعد: أيها الإخوة فإننا في هذا المكان مسجد قباء الذي هو كما وصفه الله بقوله:) لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ([4].

هذا المسجد، الذي قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام :) أحق أن تقوم فيه (هذا المسجد الذي ينبغي لكل من أتى إلى المدينة أن يخرج إليه متطهراً من بيته ويصلي فيه ركعتين وما تيسر.

([2] النساء: 1.

([3] الأحزاب: 70-71.

([4] التوبة: 108.

هذا المسجد الذي قام من قام من المنافقين، وأشباه المنافقين من أجل أن يقيموا مسجداً آخر يكـون مضـاراً له) اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمـنين وإرصـاداً لمن حـارب الله ورسـوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكـاذبون ([1] إنه يجب علينا أن نتأمل كيف وبخ الله غاية التوبيخ الـذين اتخـذوا مكانــاً من أجل أن يفرقــوا بين المؤمــنين وأن يضــاروا المسجد الـذي أسس على التقـوى من أول يـوم؟ ولأجل أن يكـون ذلك إرصـاداً لمن حـارب الله ورسـوله إذا كـان هذا توبيخ الله عز وجل لمن اتخذوا مكاناً يكـون مشـتملاً على هذه الأوصـاف فما بـالكم بمن اتخـذوا أفكـاراً وآراء يضــادون بها العقيــدة الســليمة الصــحيحة الــتي تلقاها السلف الصالح عن النبي صلى الله عليه وسـلم؟ رحيقـاً زلالاً صافياً حتى ابتدعوا في دين الله تعالى ما ليس منه وصاروا يجلبون الناس حـولهم من أجل أن يصـدوهم عن الصراط المستقيم فإذا كان هذا توبيخ الله عز وجل لمن اتخذوا مكاناً في الأرض فما بالكم بمن حاولوا أن يتخذوا مكاناً في القلوب؟ لذلك أدعو جميع المسلمين في هــذه البلاد وفي غيرها من بلاد المســـلمين أن يتحـــدوا على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسـول اللـه، وهـذه الكلمة لا يمكن تحقيقهــا، ولا يصــدق من ادعى تحقيقها حتى يـأتي بالبرهـان، وهو الإخلاص التـام لله عز وجل لا يشــرك بعبادته لا ملك مقــرب ولا نــبي مرســل، ولا من دونهم بل يخلص العبادة لله عز وجل ومن أعظم العبـادة الـدعاء فـإن الـدعاء من العبـادة يقـول الله عز وجـل:) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين([2].

---

[1] التوبة: 107.

[2] غافر: 60.

وإننا مع الأسف نـرى كثـيراً من المسـلمين اليـوم لم يحققـوا هـذا الإخلاص لم يحققـوا هـذه الشـهادة الـتي يقولونها بألسـنتهم ويطلقـون بها في كل مكـان كلهم يقولون : أشـهد أن لا إله إلا الله ولكن نجـدهم يقومـون بضد هـــذه الشـــهادة لأنهم يــدعون غـــير الله إما من الملائكـــة، أو المرسـلين أو الأوليـــاء الصـالحين أو من الأولياء المدعين.

إذاً هل حققوا لا إله إلا اللـه؟ والله عز وجل يقـول:) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبـادتي سـيدخلون جهنم داخـرين(. فـدل هـذا على أن الدعاء عبادة وكذلك جاء في الحـديث المـروي عن النـبي عليه الصـلاة والسـلام: " الـدعاء هو العبـادة"[1] إذا كـان كـذلك فإننا نقـول لهـؤلاء القـوم الـذين يـدعون مع الله غيره ليفرج لهم الكربات ويحصل لهم المطلوبات نقـول لهم : يا قوم هؤلاء الذين تدعون من دون الله لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا شك أننا وإيـاكم نعتقد ونعلم علم اليقين أنه لا أحد أعظم جاهـاً عند الله عز وجل من أنبيائه ورسله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضلهم وخـــاتمهم وأنه خليل الـــرحمن كما أن إبـــراهيم خليل الــرحمن لا نشك في هــذا أبــداً ومع ذلك أمــره الله أن يقـول:) قل لا أقـول لكم عنـدي خـزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقـول لكم إني ملك ([2]) قل لا أملك لنفسي نفعــاً ولا ضــراً إلا ما شــاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما

---

[1] أخرجه الإمام أحمد جـ 4 ، ص 271 ، وأبو داود: كتاب الصلاة: بـاب الـدعاء، والترمذي: كتاب التفسـير: سـورة غـافر (61)، وابن ماجه : كتـاب الـدعاء: بـاب فضل الدعاء.

[2] الأنعام: 50 .

مسني السوء إن أنا إلا بشير ونذير لقوم يؤمنون " [1] **) قل إني لا أملك لكم ضـــــراً ولا رشــــداً. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً (** [2]**. حـتى لو أراده الله بما يريده منه ما أحد يملك أن يــدفع ما أراد الله) قل إني لن يجـيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحــداً(هــذا الأمر الــذي أمر به النــبي عليه الصــلاة والسلام وهو خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات، ولا نبي بعده هو الـذي أمر به أول الرسل أيضـاً إذ قـال الله تعـالى عنه عليه الصـلاة والسـلام:)ولا أقـول لكم عنـدي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقـول إني ملك ولا أقـول للذين تـزدري أعينكم لن يـؤتيهم الله خـيراً الله أعلم بما فيه أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين(** [3]**.**

إذا كان كذلك فمن الخطأ الفـادح أن يتجه إنسـان إلى قبر النبي صـلى الله عليه وسـلم، ليسـأل اللـه، أو لقـبر النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقضي حاجتـه، أو يـدفع ضـرورته، إنه إذا كـان على الأمر الثاني يتجه إلى النـبي عليه الصـلاة والسـلام ليقضي حاجته أو يفرج كربته إن هذا من الشـرك الأكـبر الذي لا يغفره الله عز وجل والذي قال الله فيه:)إنه من يشـرك بالله فقد حـرم الله عليه الجنة ومـأواه النـار وما للظالمين من أنصار([4]**.**

والــذي قــال الله فيـــه:) إنما المشـــركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ([5]**.**

أما إذا كــان يــدعو الله عز وجل ولكنه يتجه إلى قـــبر النــبي صـلى الله عليه وسـلم فـإن هـذا لا يصل إلى حد الشرك الأكبر ولكنه خطأ إن التقرب إلى الله لا يكون إلا بما شرعه الله ورسوله والعبـادات مبناها على الاتبـاع لا على الابتداع. إذا كنت تدعو رب السموات

([1] الأعراف: 188.

([2] الجن : 21-22.

([3] هود، الآية :: 31.

([4] المائدة: 72.

([5] التوبة: 28.

جـــلَّ وعلا فاتجه إلى أمر بالاتجـــاه إليه اتجه إلى بيته الحــــرام ولا تتجه إلى بيت الرســـول اتجه إلى بيت من تـدعو وهو الله عز وجل لا إلى بيت من لا يملك لك نفعـاً ولا ضراً وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أنه لا ينبغي لنا أن نســكت على هــذا الأمر ولا ينبغي لنا أن نعالجه إلا بالحكمة، العنف لا يجدي شيئاً . لكن الحكمة واللين يجـدي الإرشـاد والـدعوة بـالمنقول والمعقـول هـذا الـذي يثمر كثـيراً فلو أننا شـاهدنا أحـداً يقول هكـذا أو يفعل هكـذا ، في مسـجد الرسـول صـلى الله عليه وسلم دعونــاه بلطف ، ولين وبينا له وقلنا له : من تدعو فإما أن يدعو الرسول عليه الصلاة والسلام، أو يدعو الله فإذا كان يدعو الرسول صـلى الله عليه وسـلم فهو مشـــرك لأن الله تعـــالى يقـــول) وقـــال ربكم ادعوني أسـتجب لكم ([1] ما قـال : ادعـوا النـبي محمـداً عليه الصـلاة والسـلام ولا أي أحد من النــاس) ادعــوني اســتجب لكم (هــذا أمر الله سـيقول : نعم وإذا كـان لم يقــرأ القــرآن نخـبره بما في القــرآن فــإذا اقتنع بــذلك واعترف به فيقال له : أكمل الآية:) إن الذين يستكبرون عن عبــادتي ســيدخلون جهنم داخــرين ([1] فســمى الله الـدعاء عبـادة، فـإذا دعا الرسـول عليه الصـلاة والسـلام فقد عبده ولم يحقق شــهادة أن لا إله إلا الله ولم يحقق ما ينطق به في كل ركعة:) إياك نعبد([2] فإن هذه الجملة كما يفهم منها قولك : " لا نعبد إلا إيــاك " فهي تقابل لا إله إلا اللـــه، لأن لا إله إلا الله معناها لا معبـــود بحق إلا الله سبحانه ومعـنى شـهادة أن لا إله إلا الله أن يعـترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبــود حق إلا الله عز وجل فكل ما عبد من دون الله فهو باطل قــال تعــالى:) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ([3] فيقال لهذا الرجل : أنت لم تحقق شهادة لا

([1] غافر: 60.

([2] سورة الفاتحة: 5.

([3] الحج:62.

إله إلا الله ولم تحقق ما كنت تنطق به في كل ركعة من صلاتك) إياك نعبد (لأنك عبدت الرسول عليه الصـلاة والســلام مع الله حين دعوته فبهــذا اللطف والإرشـــاد يمكن أن يقبل عليك بعض الشيء، وإذا فرضـنا أن عنـده بعض العنـاد فإنه سـوف ينـاقش نفسه بِنَفْسِـه ثم يرجع وأنت يا أخي لا تحتقر كلمة الحق كلمة الحق مؤثرة مهما قال لك الشـيطان : إنها لا تـؤثر وإن هـذا سـوف يـركب رأسه فلا تطع الشـيطان موسى عليه الصـلاة والسـلام جمع له السـحرة المهـرة الـذين وضـعوا العصا والحبـال فكانت هـذه العصا والحبـال يخيل إلى النـاس أنها حيـات تسـعى حـتى موسى عليه الصـلاة والسـلام مع إيمانه وقوته أوجس في نفسه خيفة لكنه قـال كلمة بسـيطة قـال لهم:) ويلكم لا تفـتروا على الله كـذباً فيسـحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ([1] هذه الكلمة أثـرت تـأثيراً عظيمـاً) فتنـازعوا أمـرهم بينهم ([2] وإذا حصل الـنزاع حصل الفشل قـال الله تعـالى:)ولا تنـازعوا فتفشـلوا وتـذهب ريحكم ([3] تنـازعوا أمـرهم بينهم وأخـيراً آمن السحرة فكلمة الحق تـؤثر إذا صـدرت من إنسـان مخلص وأن الإنسان لا يريد أن يفرض قوله على غيره، إنما يريد أن يهدي غيره للحق الـذي هو مـراد الجميع فإنه سـيؤثر بـإذن الله عز وجل ولهـذا لا تحقـرن كلمة الحق ولا تقل إنها لا تنفع " فما من قلب من قلـوب بـني آدم إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء " [4].

أما إذا قـال: إنه يـدعو الله ويتجه إلى قـبر الرسـول عليه الصلاة والسلام

([1] طه: 61.

([2] سورة طه، الآية :: 62.

([3] الأنفال: 46.

([4] مسلم: كتاب القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

فنقول له: لماذا؟ هل بيت الرسول أحب إليك من بيت الله إن قــال : نعم فهو على خطــر، وإن قــال: بيت الله أحب إلي ، قلنا له : اتجه إلى بيت الله عز وجل إلى قبلته الـتي فـرض الله على المسـلمين أن يتجهـوا إليها في اليوم خمس مرات هذا هو أحق أن يتجه إليه من قبر الرسول صلى الله عليه وسلم إذاً اتجاهك إلى القـبر من أجل أنه قــبر الرســول عليه الصــلاة والســلام هــذا أمر مرجوح وطرف راجح فهو قد أقر بــأن بيت الله أحب إليه من بيت الرسول عليه الصلاة والسـلام فـإذا كـان كـذلك فاتجه إلى بيت الله لأنك تســأل الله فاتجه إلى بيت الله لا إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.

فـإن قـال: أنا أتجه إلى بيت الرسـول صـلى الله عليه وسلم ليكون وسيلة لي عند الله سبحانه وتعالى.

قلنا له: الرسول عليه الصـلاة والسـلام قد انقطع عن أعمال التكليف ولا يستطيع أن يدعو لأحد أبداً لأن الدعاء عمل وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام نفسه.

" أن ابن آدم إذا مــــات انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يــدعو له " [1] **فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يشــفع لك عند الله عز وجل لأن عمله قد انقطع أما في حياته فيستشفع به عند الله كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم، فقد جــاء رجل إلى النــبي صــلى الله عليه وســلم وهو يخطب الجمعة فقال : يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فأدع الله أن يغيثنا، فرفع النـبي صـلى الله عليه وسلم يديه وقـال: " اللهم أغثنــا، اللهم أغثنــا، اللهم أغثنا" قـال أنس راوي الحـديث: والله ما نـرى في السماء من سحاب ولا قزع وما بيننا وبين**

---

(1) مسلم: كتاب الوصية: باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

سلع من بيت ولا دار إذ خرجت سحابة من وراء سـلع وانتشرت ورعدت وبـرقت فما نـزل الرسـول صـلى الله عليه وسلم إلا والمطر يتحادر من لحيته [1].

وبقي المطر أســبوعاً كــاملاً ثم دخل ذلك الرجل أو غـيره فقـال : يا رسـول الله تهـدم البنـاء وغـرق المـال فــادع الله أن يمســكها عنا فرفع يديه وقــال : اللهم حوالينا ولا علينا وجعل يشــير بيــده الكريمة صــلى الله عليه وسلم فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وخرجوا يمشون في الشمس الله أكبر.

هـذا من آيـات الله الدالة على سـمعه للـدعاء، وعلى قربه من الـداعي وعلى قدرته على كل شـيء سـبحانه وتعالى وهو في نفس الـوقت آية للرسـول عليه الصـلاة والسلام حيث استجاب الله دعاءه لأنه رسول فأيد بإجابة الدعاء فيكون هذا من آياته الدالة على صـدقه صـلى الله عليه وسلم وعلى صحة رسالته، فأما بعد موته فلا يمكن ولهذا أعلم الناس بهذا الأمر من هذه الأمة هم الصـحابة، ومع ذلك لما قحط في زمن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه[2] هل قال : يا رسول الله ادع الله لنا أن يغيثنـا؟ كلا والله ولا يمكن أن يقـول ذلك لأن هـذا ليس بالشـرع ولا بالعقل أن تقـول لميت ادع الله ولكنه قـال للعبـاس بن عبد المطلب : قم يا عبــاس ادع الله فــدعا فــأغيثوا والعباس حي وكل إنسـان يـرجى قبـول دعوته فلا حـرج عليك أن تقول: يا فلان ادع الله لي وإذا كان النـبي عليه الصلاة والسلام في أعظم موقف من مواقف الخلق في المقام المحمود الذي يبعثه فيه الله عز وجل لا يمكن أن يتكلم

---

(1) البخاري: كتـاب الجمعـة: بـاب الاستسـقاء في الخطبة يـوم الجمعـة، ومسـلم: كتاب صلاة الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء.

(2) البخاري : كتاب الاستسقاء : باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

بكلمة إلا بإذن اللـه، إذا لحق النـاس من الكـرب والهم والغم ما الله به عليم ذهبوا إلى آدم يسـألونه أن يشـفع إلى الله لـيريحهم من الموقف فيعتـذر، ثم إلى نـوح، ثم إلى إبـراهيم، ثم إلى موسـى، ثم إلى عيسى حـتى تصل إلى النبي عليه الصلاة والسـلام[1] ولكنها إذا وصـلت إليه لا يمكن أن يشـــفع إلا بعد إذن الـــرب عز وجل بعد إذن الرب الذي هو ملك الملوك والذي سلطانه لا نظير له ولا مداني له ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [2].

(من) اسم استفهام بمعـنى النفي، والاسـتفهام إذا جـاء بمعـنى النفي كـان أعظم وأبلغ لأنه يكـون مشـرباً بالتحدي فإن قولك : ولا يشفع أحد نفي بـ لا لكن قوله : (من ذا الذي يشفع) أبلغ في التحدي وامتناع هذا الأمر، فـإذاً لا يمكن أن يشـفع لا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ولا غـيره من الخلق إلا بعد إذن ملك الملـوك ذي السـلطان الأعظم وهو الله تبـارك وتعـالى. فـإذا كـان كذلك فلا وجه لكونك تتجه إلى قبر الرسول عليه الصـلاة والسلام ليكون وسيلة لك أن يقبل دعاءك اتجه إلى بيت الله عز وجل فهو أقرب وسيلة.

في هذا البلد الطيب الـذي كـان هـذا المسـجد مسـجد قباء لما بني مسجد الضرار حوله نهى الله نبيه أن يقـوم فيه لأنه يـراد به التفريق بين المؤمـنين والمضـارة لهـذا المسـجد الـذي أسس على التقـوى، والتفريق والإرصـاد لمن حارب الله ورسوله فإذاً نقول : كل شـيء يضـاد ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسـلام فإنه يشـبه مسـجد الضرار بل إن مضارة المزاحمة في القلوب أشد من

---

[1] البخاري: كتاب التوحيد: باب كلام الله تعالى مع الأنبياء يـوم القيامـة، ومسـلم: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلاً.

[2] سورة البقرة،الآية: 255 .

المضارة في المزاحمة في الأماكن علينا أن نكون أمة واحدة يـدعو بعضـنا بعضـاً إلى كتـاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم حـتى تحقق شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وشـهادة أن محمـداً رسـول الله من أكـبر مقتضـياتها اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ظـاهراً وباطنـاً ومن لا يتبع الرسول عليه الصلاة والسـلام ولو أخلص لله فإنه لم يحقق شـهادة أن محمـداً رسـول الله لم يحققها ولا يقبل منه حـتى مع الإخلاص يقـول النـبي عليه الصـلاة والسـلام: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "[1]، وفي لفظ " من أحـدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهو رد "[2].

إذا كـان كـذلك فـالإخلاص ليس كل شـيء لابد مع الإخلاص أن ينضم إليه المتابعـة، المتابعة للرسـول عليه الصلاة والسلام بحيث لا يجعل الإنسان أحـداً شـريكاً مع الرسـول عليه الصـلاة والسـلام في التشـريع للخلق ولو كـان من أكـبر أئمة المسـلمين لو كـان أبا بكر وعمر فلا يجوز أن نجعله شريكاً مع الرسول عليه الصـلاة والسـلام في التشـريع قـال ابن عبـاس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجـارة من السـماء أقـول: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون : قال أبو بكر وعمر وقال الله عز وجل :) فليحذر الـذين يخـالفون عن أمـره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ([3] .

---

[1] مسلم : كتاب الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة.

[2] البخـاري: كتـاب الصـلح: بـاب إذا اصـطلحوا على صـلح جـور فالصـلح مـردود: ومسلم : كتاب الأقضية.

[3] النور: 63.

قال الإمام أحمـد: (أتـدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشـرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شــيء من الزيغ فيهلك) وهو كذلك لأنه إذا رد بعض قــول الرسـول عليه الصـلاة والسـلام فلابد أن يكـون عن هـوى وإذا كـان عن هوى فالهوى شرك ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هـواه وأضـله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ [1].

إذاً من لم يتبع الرسول عليه الصلاة والسـلام فإنه لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله، وعدم اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام على نوعين:

أحدهما: أن يقدم قول غيره عليه يعلم هدي الرســول عليه الصلاة والسلام، ولكنه يقدم قول غيره عليه، وهـذا يوجد كثــيراً في المتعصــبين للمــذاهب ســواء كــانت المذاهب مذاهب فقهية علمية أو مذاهب فكرية اعتقادية فـإن بعض المتعصـبين تعـرض عليه هـدي الرسـول عليه الصلاة والسلام واضحاً وضوح الشـمس في رابعة النهـار ولكن يقول : قال فلان كذاوقال فلان كذا ، يقول الإمام أحمد رحمه الله يقول مسـتنكراً : (عجبت لقـوم عرفـوا الإسناد وصحته يـذهبون إلى رأي سـفيان والله يقـول: ﴿ فليحــذر الــذين يخــالفون عن أمــره أن تصــيبهم فتنة أو يصـيبهم عـذاب أليم ﴾[2] فما بالك بمن يـذهبون إلى رأي من دون سـفيان ويـدعون هـدي الرسـول عليه الصـلاة والسلام؟.

إذا قيل لهم هذا هدي الرسول عليه الصـلاة والسـلام. قالوا : لكن قال

---

[1] الجاثية : 23.

[2] سورة النور، الآية: 63.

فلان كذا وكذا من الـذي أرسل إليكم أفلان أم رسـول الله محمـد؟ إن قـال فلان كفر وأعلن بكفـره وإن قـال محمد نقول : ما قيمة الرسـالة عنـدك وأنت تقـدم هـدي غـيره على هديه إذا كـان رسـولك محمد صـلى الله عليه وسلم فلتكن متبعاً له متأدباً بين يديه.

أما النـوع الثـاني: من المخالفة لهـدي الرسـول عليه الصلاة والسـلام فـأن يشـرع في دين الله ما ليس فيـه، يفعل شيئاً يتقرب به إلى الله، ولكن الرسـول ما شـرعه فهـذا لم يحقق شـهادة أن محمـداً رسـول الله لو حقق شهادة أن محمـداً رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ما ذهب يبتدع في دين الله ما ليس منه لأن ابتداع الإنسـان في دين الله ما ليس منه يتضـمن الاسـتدراك على الله ورسـوله فـإن هـذا اسـتدراك على الله متضـمن لتكـذيب هـذه الجملة العظيمة) اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ([1].

أين كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عن هـذا الأمر الـذي تـدين لله به وتتعبد لله به أين كـان؟ أكـان جـاهلاً بـه؟ إن قلت : نعم فقد رميته بالجهـل، أكـان مخالفـاً لـه؟ إن قلت : نعم فقد رميته بالمخالفة أكـان كاتمـاً له عن أمتـه؟ إن قلت : نعم فقد رميته بالكتمـان، فإذا كان الأمر كذلك وكل اللوازم باطلـة، فإنه يلـزم من ذلك أن يقول : كل بدعة يتدين بها الإنسـان إلى الله من عقيـدة في القلب أو نطق باللسـان أو عمل بالأركـان فإنها عقيدة باطلة وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام " كل بدعة ضلالة " [2]. وهـذه جملة مسـورة بكلمة "كـل" الـتي هي أدل ألفـاظ العمـوم على العمـوم ليس فيها تخصيص، والله لو وقعت هذه في كتـاب واحد من الـذين يقلدون لكان كل

---

[1] المائدة: 3.

[2] تقدم تخريجه.

من أخرج بدعة من هذه الكلية يقـال له : أين الـدليل؟ ولكن كلام الرسول عليه الصـلاة والسـلام المحكم الـبين الواضح يحـرف ويقـال : هـذا عـام يـراد به الخـاص، نحن نستحسن أن نعبد الله بهـذا لأن قلوبنا تــرق عنــده ولأن هذا ينشطنا ولكن نقول : والله لو كان خيراً لشرعه الله لعبـاده، ترقيق القلب لهـذه البدعة يـوجب أن يقسو عن السـنة لأن القلب وعـاء إن ملأته بخـير امتلأ به وإن دخل على هذا الخير شر فلابد أن يضايق الخير فيخرج، لو كان عندك إناء مملوء بماء ثم صــببت عليه مــاء آخر هل يجمع الجميع لابد أن يخرج فإما سنة وإما بدعــة، ولهـذا نقــول لكل من في قلبه إخلاص وحب للـــدين وحب للرســـول عليه الصلاة والسلام نقول له: جزاك الله خيراً على هذه المحبة وعلى هـذا الإخلاص، ولكن من تمـام الإخلاص أن تعتقد بأنه لا خـير للإنســان فيما يتعبد به الله إلا ما جــاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلماذا تطلب الخــير في غيرهمــا؟، فيما جــاء في كتــاب اللــه، وفيما صح عن رســول الله صـــلى الله عليه وســـلم من العبـــادات، كفاية لصـــلاح القلـــوب والأبـــدان والأفـــراد والجماعــات ولكن أين القلــوب الــتي تتلقى هــذا؟ من القلوب ما هو كالزجاجة أي شيء يرد عليه ينكســر، ومن القلوب ما هو كالإسفنجة يقبل ولكنه صامد لا يتجــزأ ولا يتكسر إلا أنه يمـيز الحق من الباطل فنقـول لمن ابتــدع بدعة في دين الله سواء كـانت قـولاً باللسـان أو عقيـدة بالجنــان، أو عملاً بالأركــان نقــول : كتــاب الله موجــود وسنة الرسول عليه والصلاة والسلام موجودة

مهذبة قد بين صـحيحها من سـقيمها وطريق السـلف الصـالح موجـود والحمد لله فلمـاذا نبتـدع في عقيـدتنا ؟ لماذا نبتدع أذكاراً ما أنزل الله بها من سلطان؟!

لو كـان كل من راق له شـيء أو زين في قلبه شـيء مما يتعبد لله بـه، تعبد الله به أتكـون الأمة واحـدة؟ أبـداً تتفـرق لكن هنـاك مـيزان) لقد أرسـلنا رسـلنا بالبينـات وأنزلنا معهم الكتاب والمـيزان ليقـوم النـاس بالقسط ([1]. هناك ميزان) فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسـول([2] إن اتفقتم على شـيء فهو الحـق.. وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله.

فالحاصل أيها الإخوة أننا في هذه البلـدة الطيبة طيبة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام مهاجر الرسول عليه الصلاة والسلام أول عاصمة إسـلامية في هـذه الشـريعة العامة الكاملة الشاملة هذه البلدة الطيبة التي فيها هـذا المسجد " مسجد قباء " وفيها المسجد الذي هو خير منه مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : " صلاة في مسجدي هـذا خـير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسـجد الحـرام" [3]، في هـذا البلد الطيب يجب أن تكـون طريقة المسـلمين عامة هي ما كان عليه السلف الصالح ما كان عليه النبي عليه الصـلاة والسـلام وخلفـاؤه الراشـدون ولا سـيما أبو بكر وعمر اللذين قال فيهما عليه الصلاة والسلام: "اقتدوا باللـذان من

---

[1] الحديد: 25.

[2] النساء: 59.

[3] البخاري : كتاب التطوع: باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، ومسلم : كتاب الحج: باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة.

بعدي أبي بكر وعمر" [1]، وثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال: " إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا" [2].

" إن " شرطية، فعلها " يطيعوا " وجوابها " يرشدوا " إذاً ففي طاعة هذين الرجلين رشد لأنهما خليفتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيراه رضي الله عنهما وأرضاهما أقول : في هذا البلد ينبغي أن نكون أمة واحدة ندعو إلى الحق بإذن الله على صراط مستقيم، وإذا رأينا شيئاً لا نحقر أنفسنا ونقول : لا نستطيع هؤلاء معاندون هذا خطأ هؤلاء الذي يظهر لنا من حالهم أنهم يريدون الخير لكن ما كل من أراد شيئاً وفق له ما كل ما يتمنى المرء يدركه علينا أن نصبر وأن نصابر وأن ندعو بالتي هي أحسن بقدر ما نستطيع، لا نصمت على منكر أو على بدعة، لكننا لا نعنف، لأن الأهواء في هذا الزمان كثرت وكل إنسان يقول : الحق عندي أو عند متبوعي، ولكن إذا أتينا بالحكمة وباللين وبالسهولة وبالبيان المبني على المنقول والمعقول، وإنني بهذه المناسبة أقول : إن تعظيم الناس الآن للمعقول ليس كل الناس ولكن كثيراً منهم يعظمون الدليل العقلي أكثر مما يعظمون الدليل النقلي أو يرجعون بالأصح إلى الدليل العقلي أكثر، ونحن نعلم علم اليقين أن كل ما جاءت به الشريعة فإنه مبني على العقل لكن أي عقل هو؟ العقل الصريح أي السالم من الشبهات والشهوات وليس العقل المشوب بشبهة أو شهوة، بشبهة التبس عليه الحق أو بشهوة ظهر له ولكن لا يريده فكل ما جاءت به الشريعة فإنه موافق لصريح المعقول ولا شك ولا يمكن أبداً أن يخالفه حتى إني رأيت في كتاب [درء تعارض النقل والعقل] لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو كتاب عظيم قال فيه ابن القيم في النونية :

---

(1) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أبي بكر وعمر، وابن ماجه في المقدمة: باب فضل أبي بكر الصديق.

(2) أخرجه مسلم: كتاب المساجد: باب قضاء الصلاة الفائتة.

وله كتاب العقل والنقل الذي

ما في الوجود له نظير ثاني

ويريد بما في الوجـــــود من الكتب المؤلفة في بابه رأيته يقـول: " أنا مسـتعد لكل من أتى بـدليل من كتـاب الله أو من صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسـلم كل من أتى بدليل يسـتدل به على باطل فأنا مسـتعد أن أجعله دليلاً عليه لا لـــه" انظر القـــدرة والله ســـبحانه وتعـالى يـؤتي فضـله من يشـاء فكل ما يسـتدل به أهل الباطل من كتـاب الله أو صـحيح السـنة فإنه دليل عليهم وليس دليلاً لهم وهـذه قـدرة في معرفة المعـاني وكيف يرد الشيء أو كيف يـرد الخنجر في صـدر من عـدا به إذا كـــان عدوانه على باطل وهـــذا من توفيق الله للعبد أن يجعل الله تعـالى في قلبه حفظـاً ووعيـاً وعقلاً نسـأل الله تعـــالى أن يتولانا برعايتـــه، وأن يهـــدينا صـــراطه المسـتقيم وأن يجعلنا ممن جاهـدوا في الله حق جهـاده ودعـوا إلى الله على بصـيرة إنه جـواد كـريم والحمد لله رب العـالمين وأصـلي وأسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثـيراً طيبـاً مباركـاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شـــريك لـــه، له الحمد في الآخـــرة والأولى، وأشـــهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى وخليله المجتبى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن بهداهم اهتدى وسـلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد كنت أقيد بعض المســائل المهمة الــتي تمر بي حرصاً على حفظها، وعدم نسيانها، في دفتر وسميتها " فرائد الفوائد".
وقد انتقيت منها ما رأيته أكـثر فائـدة وأعظم أهميـة، وسميت ذلك: - " المنتقى من فرائد الفوائد".
أسـأل الله تعـالى أن ينفع بـه، وأن يجعل لطلبة العلم فيه أسوة. ومن سن في الإسلام سنة حســنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

القسم الأول: فوائد في العقيدة:

[فوائد من كلام شـيخ الإسـلام ابن تيمية من " كتـاب الإيمان "] .

فائدة:

الإسـلام: هو الاستسـلام لله وحـده، بشـهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمـداً رسـول اللـه، وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـوم رمضـان، وحج الـبيت، فهو الخضـوع لله تعــالى، والعبودية له وحـــده فمن اســتكبر عن عبادته وأشرك معه غيره فغير مسلم.
فإن قيل: ما أوجبه الله تعـالى من الأعمـال أكـثر من الخمسة المــذكورة الــتي جعلها النــبي صــلى الله عليه وسلم، هي أركان الإسلام، أو هي الإسلام؟
فالجواب هو: أن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، هو الذي يجب على كل مكلف بلا قيد، وأما ما سواه فإما أنه يجب على الكفايــة، كــالأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر ونحوه، أو لأسباب كصـلة الـرحم، إذ ليس كل أحد له قرابة تجب صلتهم.
كذا ذكر الشيخ الجواب لكن يرد على هذا الزكاة والحج إذ ليس كل أحد عنده مال حتى يجب عليه الزكـاة والحج، ولعل الجواب أن هذه الخمس المذكورة هي أكبر أجناس الأعمال، فإن الأعمال على ثلاثة أقسام:
قسم أعمـــال بدنية ظـــاهرة كالصـــلاة، وباطنة كالشهادتين، وهما أيضاً من الأقوال.
وقسم أعمال مالية كالزكاة.
وقسم مركب من النوعين كالحج.

فذكر النبي صلى الله عليه وسلم، الأصول وأن المـرء إذا قام بأصل من هذه الأجناس فهو مسلم، وأيضـاً فـإن صـلة الـرحم قد يكـون الـداعي فيها قويـاً ليس من جهة الشرع بل من جهة الإنسانية، بخلاف الزكاة والحج!!

فائدة:

الناس في تفاضل الإيمان وتبعضه على قولين:

أحــدهما : إثبــات ذلك وهو الصــواب الــذي تــدل عليه الأدلة العقلية والنقليـــة، وهو قـــول المحققين من أهل السنة. وتفاضله بأمرين:

الأول من جهة العامــــل. وذلك نوعـــــان: الأول في الاعتقاد، ومعرفة الله تعالى، فإن كل أحد يعرف تفاضل يقينه في معلوماتـه، بل في المعلـوم الواحد وقتـاً يـرى يقينه فيه أكمل من الوقت الآخر.

النوع الثاني: في القيام بالأعمال الظـاهرة كالصـلاة، والحج والتعليم، وإنفـاق المـال، والنـاس في هـذا على قسمين:

أحـــــدهما: الكامل وهم الــــذين أتــــوا به على الوجه المطلوب شرعاً.

الثاني: ناقصون، وهم نوعان:

النــوع الأول، ملومــون، وهم من تــرك شــيئاً منه مع القــدرة وقيــام أمر الشــارع، لكنهم إن تركـوا واجبـاً أو فعلوا محرماً فهم آثمـون، وإن فعلـوا مكروهـاً أو تركـوا مستحباً فلا إثم.

النوع الثاني: ناقصون غير ملومين، وهم نوعان:

الأول: من عجز عنه حساً، كالعاجز عن الصلاة قائماً.

الثــاني: العــاجزون شــرعاً مع القــدرة عليه حســاً. كالحائض تمتنع من الصلاة، فإن هذه قادرة عليه، لكن لم يقم عليها أمر الشـارع. ولـذلك جعلها النـبي صـلى الله عليه وســلم، ناقصة الإيمــان بــذلك فــإن من لم يفعل المأمور ليس كفاعله. ومثل ذلك من أسلم ثم مـات قبل أن يصلي لكون الوقت لم يدخل، فإن ذلك كامل الإيمـان لكنه من جهة أخرى نـاقص، ولا يكـون كمن فعل الصـلاة

وشرائع الإسـلام، ومن ذلك قـول النـبي صـلى الله عليه وسلم: " خيركم من طال عمره وحسن عمله" [1].

الأمر الثاني: من جهة العمل، فكلما كان العمل أفضل كانت زيادة الإيمان به أكثر.

القـــول الثـــاني: نفي التفاضل والتبعض، وانقسم أصحاب هذا القول إلى طائفتين.

إحداهما: قالت: إن من فعل محرماً أو ترك واجباً فهو مخلد في النــار، وهــؤلاء هم المعتزلــة. وقــالوا: هو لا مســلم ولا كــافر منزلة بين منزلــتين. وأما الخــوارج فكفروه.

الطائفة الثانية : مقابلة لهـــذه قـــالت : كل موحد لا يخلد في النار والناس في الإيمان سواء، وهم المرجئــة. وهم ثلاثة أصـناف. صـنف قـالوا: الإيمـان مجـرد ما في القلب وهما نوعان.

الأول : من يــدخل أعمــال القلــوب وهم أكــثر فــرق المرجئة.

والثـــاني: من لا يـــدخلها وهم الجهمية وأتبـــاعهم كالأشـــعري، لكن الأشـــعري يثبت الشـــفاعة في أهل الكبائر.

والصنف الثاني: قـالوا: الإيمـان مجـرد قـول اللسـان. وهم الكراميـة، ولا يعـرف لأحد قبلهم، وهـؤلاء يقولـون: إن المنافق مؤمن، ولكنه مخلد في النار.

الثالث: قالوا: إنه تصديق القلب وقـول اللسـان. وهم أهل الفقه والعبـــادة من المرجئـــة، ومنهم أبو حنيفة وأصحابه.

فائدة:

مـراد النـبي صـلى الله عليه وسـلم، بقوله : " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" [1]، أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يـدخل في الإيمـان حـتى يفعله المـؤمن، لا أن

---

[1] أخرجه الترمذي: كتاب الزهـد: بـاب ما جـاء في طـول العمر وقـال : " حـديث حسن صحيح".

[1] أخرجه البخاري: كتاب الرقاق : باب رفع الأمانة، ومسلم: كتـاب الإيمـان: بـاب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب.

من لم ينكر ذلك بقلبه لم يكن معه من الإيمـــــــــان حبة خردل.

قلت: ومن رضي بالـذنب واطمـأن إليه فهو كفاعله لا سيما مع فعل ما يوصل إليه وعجز وقد قال الشيخ رحمه الله : [إن من ترك إنكار كل منكر بقلبه فهو كافر].

فائدة:

الإسـلام عبـادة الله وحـده، فيتنـاول من أظهـره ولم يكن معه إيمـــان، وهو المنـــافق، ومن أظهـــره وصـــدق تصـديقاً مجملاً، وهو الفاسـق، فالأحكـام الدنيوية معلقة بظاهر الإيمان لا يمكن تعليقها بباطنه لعسره أو تعـذره، ولذلك ترك النبي صـلى الله عليه وسـلم، عقـاب أنـاس، منافقين مع علمه بهم، لأن الذنب لم يكن ظاهراً.

أ.هـ . ما أردنا نقله من " كتاب الإيمان" على نـــوع من التصرف لا يخل بالمعنى .

ومن كلام الشـــيخ الإســـلام في شـــرح عقيـــدة الأصفهاني.

فائدة:

الله جل جلاله لا يـدعى إلا بأسـمائه الحسـنى خاصـة، فلا يدعى ولا يسـمى بالمريد والمتكلم، وإن كن معناهما حقـــاً، فإنه يوصف بأنه مريد متكلم، ولا يســمى بهمـــا، لأنهما ليسا من الأسماء الحسنى ، فـإن من الكلام ما هو محمـود ومـذموم، كالصـدق والكـذب، ومن الإرادة كـذلك كإرادة العدل والظلم.

فائدة:

كل صفة لابد لها من محل تقوم به، وإذا قامت الصفة بمحل فإنه يلزم منها أمران:

الأول: عود حكمها علي ذلك المحل دون غيره.

الثاني: أن يشتق منها لذلك المحل اسم دون غيره.

مثال ذلك: الكلام فإنه يلزم من أثبت كونه من صـفات الله تعالى أن

يشــتق منه اسم دون غــيره، لكن لا يلــزم من ذلك أن نثبت له اســماً بأنه متكلم كما سـبق، ويلـزم أن لا يجعله مخلوقــاً في غــيره خلافــاً للجهميــة، حيث زعمــوا أنهم

أثبتوا الكلام وجعلوه مخلوقاً فإنه يلـزم من كلامهم نفي الكلام عن الله، كما نفاه متقدموهم.

فائدة:

قال في ص 138 :فألتزموا (أي المعتزلة) لـذلك أن لا يكـون لله علم، ولا قـدرة، وأن لا يكـون متكلمـاً قـام به الكلام، بل يكون القرآن وغيره من كلامه تعالى مخلوقـاً خلقه في غـيره، ولا يجـوز أن يـرى لا في الـدنيا ولا في الآخرة. ولا هو مباين للعالم، ولا مجانبـه، ولا داخل فيـه، ولا خارج عنه، ثم قالوا أيضاً: لا يجـوز أن يشـاء خلاف ما أمر به ولا أن يخلق أفعال عباد ولا يقـدر أن يهـدي ضـالاً أو يضل مهتدياً، لأنه لو كان قادراً على ذلك وقد أمر بـه، ولم يعن عليه لكـان قبيحـاً منـه، فركبـوا عن هـذا الأصل التكذيب بالصفات والقدرة، إلى أن قال: وأصل ضـلالهم في القدر أنهم شـبهوا المخلـوق بالخـالق سـبحانه، فهم مشبهة الأفعال.

وأما أصل ضلالهم في الصفات، فظنهم أن الموصوف الذي تقوم به الصـفات لا يكـون إلا محـدثاً. وقـولهم من أبطل الباطل فـإنهم يسـلمون أن الله حي عليم قـدير، ومن المعلوم أن حياً بلا حياة وعليمـاً بلا علم وقـديراً بلا قدرة، مثل متحرك بلا حركة، وأبيض بلا بياض، وأسود بلا سواد، وطويل بلا طول، وقصير بلا قصـر، ونحو ذلك من الأسـماء المشـتقة الـتي يـدعى فيها نفي المشـتق منه وهذه مكابرة للعقل، والشرع، واللغة.

فائدة:

ليس ما علم إمكانه جوز وقوعـه! فإنا نعلم قـدرة الله على قلب الجبال ذهباً ونحو ذلـك، لكن نعلم أنه لا يفعله إلى غير ذلك من الأمثلة.

فائدة:

دليل النبـوة يحصل بـالمعجزات، وقيل : باسـتواء ما يدعو إليه وصحته وسلامته من التنـاقض، وقيل لا يحصل فيهما، والأصح أن المعجزة دليل، وثم دليل غيرهـا. فـإن للصدق علامات، وللكذب علامات.

فمن العلامات سوى المعجزة النظر إلى نوع ما يـدعو إليه، بأن يكون من نوع شرع الرسول قبله، فإن الرسالة

من لـدن آدم إلى وقتنا هـذا لم تـزل آثارها باقيـة، وذكر منها علامات كثيرة يرحمه الله رحمة واسعة والمسلمين.

فائدة:

إذا وجب عليه الإيمـــان فــآمن، ولم يـــدرك أن يـــأتي بشرائع الإيمان كان كامل الإيمان، بالنسـبة إلى الـواجب عليه. وإن كان ناقصاً بالنسبة لمن هو أعلى منه.

مثاله من آمن فمــات قبل الــزوال مثلاً مــات مؤمنــاً كامل الإيمان الواجب عليه. لكنه من دخلت عليه الأوقات وصلى أكمل إيماناً منه.

فمن ذلك علم أن نقصان الإيمان على نوعين:

أحدهما: ما يلام عليه.

الثاني: ما لا لوم فيه. كهذا المثال.

قلت: وأما من عجز عن إكمــــال عمل بعد أن أتى بما قدر عليه منه، فالظاهر أنه كمن فعلـه، لقوله صـلى الله عليه وسـلم: " من مـرض أو سـافركتب له ما كـان يعمل صـــحيحاً مقيمـــاً "[1] وأما إن عجز عنه أصـــلاً فيحتمل أن يكــون له أجر فاعلــه، لقصة الفقــير الــذي قــال: لو أن عندي مال فلان لعملت فيه مثل عمله، وكان يصرفه في مرضاة الله. قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم: " فهما في الأجر سـواء" ويحتمل عكســه، لأن فقــراء الصــحابة رضي الله عنهم لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: " ذهب أهل الدثور بالأجور" لم يقل لهم : إن نيتكم تبلغكم ذلك فتمنـوا، وإنما أخـبرهم بعمل بدلـه، ولكن يقـال: إن الذي لا يقدر علي عمل معين، إما أن يكـون لـذلك العمل بــدل يقـدر عليــه، فهـذا لا يثـاب على العمل إذا لم يــأت ببدلـه، لأنه لو كـان صـحيح النية لعمل ذلك البـدل، فعلى هــذا يكــون حصــول الأجر مشــروطاً بعــدم وجــود بدله المقدور عليــه، على أنا نقـول: إن من نفع النـاس بماله فله أجران.

الأول: بحسب ما قـــــام بقلبه من محبة الله ومحبة ما يقرب إليه، فهـذا الأجر يشـركه فيه الفقـير إذا نـوى نية صحيحة.

---

[1] أخرجه البخـاري: كتـاب الجهـاد: بـاب يكتب للمسـافر مثل ما كـان يعمل في الإقامة.

والأجر الثاني: دفع حاجة المدفوع لـه، فهـذا لا يحصل للفقير والله أعلم.
وبذلك انتهى ما أردنا نقله من شرح الشـيخ رحمه الله على عقيدة الأصفهاني.

فائدة:
من الجـزء الأول من " بــدائع الفوائد " لابن القيم ص 159 ما ملخصه:
ما يجري صفة أو خبراً عن الرب تعالى. أقسام:

الأول: ما يرجع إلى الذات نفسها كالشيء، والموجود.
الثاني: ما يرجع لصفات معنوية، كالسميع العليم.

الثالث: يرجع إلى أفعاله كالخالق.
الرابــع: يرجع للتنزيه المحض المتضــمن كالقــدوس السلام.
الخـامس: الاسم الـدال على أوصـاف عديـدة كالمجيد العظيم الصمد.
السـادس: ما يحصل بـاقتران الاسـمين أو الوصـفين كالغني الحميد، فإن الغنى صفة مدح، وكـذلك الحمد فله ثناء من غناه، وثناء من حمده وثناء منهما.

ويجب أن يعلم هنا أمور:
الأول: ما يــدخل في بـــاب الإخبـــار أوسع مما في أسـمائه، وصـفاته، فيخـبر عنه بـالموجود والشـيء، ولا يسمى به (قلت : وقد تقدم في كلام الشـيخ تقي الـدين معنى ذلك).
الثـاني: الصـفة إذا انقسـمت إلى كمـال ونقص فلا تــــدخل بمطلقها في أســـمائه، كالصـــانع والمريد ونحوهمــا،فلــذا لم يطلق على نفسه من هــذا إلا أكمله فعلاً وخبراً، كقوله): فعال لما يريد ([1].
الثالث: لا يلزم من الإخبـار عنه بفعل مقيد أن يشـتق له منه اسـم، ولـذا غلط من سـماه بالمـاكر والفـاتن والمستهزئ ونحو ذلك.
الرابع: أن ما يطلق عليه في بـاب الأسـماء والصـفات توقيفي، دون ما يطلق من الأخبار.

---

[1] سورة البروج، الآية :: 16.

الخــامس: الاسم إذا أطلق عليه جــاز أن يشــتق منه المصـدر والفعل إن كـان متعـدياً كالسـميع والعليم. وإلا فلا كالحي.
السادس: أسماؤه كلها حسنى ، وأفعاله صادرة عنهـا، فالشر ليس إليه فعلاً ولا وصــــفاً، وإنما يــــدخل في مفعولاته البائنة عنه دون فعله الذي هو وصفه.
إحصاء أسماء الله تعالى مراتب:
الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.
الثانية: فهم معانيها ومدلولها.
الثالثة: دعاؤه بها وهو مرتبتان:
الأولى: دعاء ثناء وعبادة فلا يكون إلا بها.
الثانيـة: دعـاء مسـألة فلا يسـأل إلا بها ، ولا يجـوز يا شيء يا موجود ونحوهما.
السـابع: أسـماء الله الحسـنى لا تـدخل تحت حصر ولا عد، كقوله صلى الله عليه وسلم، " أسـألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك.. الخ. " فجعل أسماءه ثلاثة أقســام : ما ســمى به نفسه فــأظهره لمن شــاء من ملائكته وغــيرهم، وما أنــزل به كتابــه، وما اســتأثر به تبــارك وتعالى.
الثـامن: من أسـمائه ما يطلق عليه مفـرداً ومقترنــاً بغيره وهو غالبها كالسميع والبصير ونحوهما، فيسوغ أن يدعى ويثنى عليه ويخـبر عنه مفـرداً ومقرونـاً، ومنها ما لا يطلق إلا مقروناً بغيره، لكون الكمال لا يحصل إلا بــه، كالضــــار، والمنتقم، والمــــانع، فلا تطلق إلا مقرونة بمقابلهــا. كالضــار النــافع والمنتقم العفو والمــانع المعطي، إذ كمال التصرف لا يحصل إلا به.
قلت: لكن لو أطلق عليه من ذلك اسم مــدح لم يمتنع فيسـوغ أن يقـال : العفو من دون المنتقم، كما ورد في القرآن الكريم، ومثله النافع والمعطي فإن هذه الأسماء تستلزم المدح والثنـاء المطلـق، بخلاف المـانع والمنتقم والضار
على أن شــيخ الإســلام رحمه الله ينكر تســمية الله بــالمنتقم. ويقــول: إن هــذا لم يــرد إلا مقيــداً، كقوله

تعــالى:) إنا من المجــرمين منتقمــون ([1]،) فانتقمنا منهم ([2]،) والله عزيز ذو انتقام ([3].

التاسع: الصفات أنواع: صفات كمـال، وصـفات نقص، وصــفات لا تقتضي واحــداً منهما وصــفات تقتضــيهما باعتبارين، والرب تعالى منزه عن هذه الثلاثـة، موصـوف بـالأول، وهكـذا أسـماؤه أسـماء كمـال، فلا يقـوم غيرها مقامها من صفات الإدراكـات العليم الخبـير دون العاقل الفقيه ، السميع البصـير، دون السـامع الباصر والنـاظر. ومن صفات الإحسان البر الرحيم، الــودود دون (الرفيق) والشفيق ونحوهما. وهكذا سائر الأسماء الحسنى.

العاشر: الإلحاد في أسمائه أنواع.

الأول: أن يسمى به غيره من الأصنام.

الثـاني: أن يسـمى بما لا يليق بجلاله كتسـميته أبـاً أو علة فاعلــة. قلت : ومنه أن يســمى بغــير ما ســمى به نفسه.

الثالث: وصفه بما ينزه عنه، كقـول أخبث اليهـود: إنه فقير.

الرابــع: تعطيلها عن معانيها وجحد حقائقهــا، كقــول الجهمية: إنها ألفاظ مجردة لا تـدل على أوصـاف سـميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وهكذا.

الخامس: تشبيه صفاته بصـفات خلقه تعـالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً.

فائدة

قيل لبعض السلف: إن اليهـود والنصـارى يقولـون: لا نوسوس قال: صدقوا وما يصنع الشيطان بقلب خراب؟!

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في الفتاوى ج 2 ص 21:

والوســواس يعــرض لكل من توجه إلى الله بــذكر أو غــيره لابد له من ذلــك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصــبر ويلازم ما هو فيه من الــذكر والصــلاة ولا يضــجر، فإنه

---

[1] سورة السجدة، الآية :: 22.

[2] سورة الأعراف، الآية :: 136.

[3] سورة آل عمران، الآية :: 4.

بملازمة ذلك ينصـــــرف كيد الشـــــيطان عنـــــه، إن كيد الشـيطان كـان ضـعيفاً. وكلما أراد العبد توجهـاً إلى الله تعــالى بقلبه جــاءه من الوســواس أمــور أخــرى فــإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد أن يسير إلى الله قطع الطريق عليه.

وقال في كتاب الإيمـان ص 147 في الطبعة الهنديـة: وكثـيراً ما يعـرض للمـؤمن شـعبة من شـعب النفـاق، ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنـه. والمـؤمن يبتلى بوسـواس الشـيطان وبوسـواس الكفر الـتي يضـيق بها صـدره إلى أن قـال: ولابد لعامة الخلق من هــذه الوســاوس فمن النــاس من يجيبها فيصير كافراً، أو منافقاً، ومن النـاس من قد غمر قلبه الشـهوات والـذنوب فلا يجربها إلا إذا طلب الـدين، ولهــذا يعــرض للمصــلين من الوســاوس ما لا يعــرض لغــيرهم، لأن الشــيطان يكــثر تعرضه للعبد إذا أراد أن يــنيب إلى ربه ويتصل به ويتقــرب إليه ويعــرض للخاصة أهل العلم والـدين أكـثر مما يعـرض للعامـة. ويوجد عند طلاب العلم والعبـادة من الوسـاوس والشـبهات ما ليس عند غـيرهم، لأنه لم يسـلك شـرع الله ومنهاجـه، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا هو مطلوب الشـيطان بخلاف المتـوجهين إلى ربهم بـالعلم والعبـادة فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله. أ. هــ. كلامه ملخصـاً رحمه الله ونسـأل الله تعـالى أن يعيـذنا من عـدونا عـدو الإنس والجن إنه سميع عليم.

فائدة:

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قــــال[1]: خرجنا مع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كـأن هـذا الـراكب إيـاكم يريد فـانتهى إلينا

---

[1] أخرجه الإمـام أحمد جــ 4 ص 3، وأبو داود : كتـاب الجنـائز : بـاب في اللحـد، والنسائي: كتاب الجنائز: باب اللحد والشـق، وابن ماجـه: كتـاب الجنـائز: بـاب ما جاء في استحباب اللحد، والترمذي: كتاب الجنائز: باب في قول النـبي صـلى الله عليه وسلم : " اللحد لنا والشق لغيرنا" والبيهقي في " السنن الكبرى " جـ 4 ص 403، والطــبراني في " المعجم الكبــير" جـــ 2 ص 360 وابن أبي شــيبة في " المصنف " جـ 3 ص 322.

الرجل فسلم فرددنا عليه. فقـال النـبي صـلى الله عليه وســـلم: من أين أقبلت؟ قـــال : من أهلي وولـــدي وعشيرتي قال: فأين تريد؟ قـال أريد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم. قـال: فقد أصـبته قـال: يا رسـول الله علمني ما الإيمان؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمــداً رســول الله ، وتقيم الصــلاة، وتــؤتي الزكــاة، وتصوم رمضان وتحج البيت. قال: قد أقررت قال: ثم إن بعيره دخلت يده في شـكة جـرذان فهـوى بعـيره وهـوى الرجل فوقع على هامته فمات.

فقــال رســول الله صــلى الله عليه وســلم : علي بالرجـل. فـوثب إليه عمـار بن ياسر وحذيفة بن اليمـان فأقعــداه، فقــالا: يا رســول الله قبض الرجــل، قــال: فــأعرض عنهما رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، ثم قــال لهما رســول الله عليه وســلم: أما رأيتما إعراضي عن الرجل فـإني رأيت ملكين يدسـان في فيه من ثمـار الجنة فعلمت أنه مات جائعـاً، ثم قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: هذا من الـذين قـال الله فيهم:) الـذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ([2] الآية ثم قال: دونكم أخاكم فاحتملنـاه إلى المـاء فغسـلناه وحنطنـاه وكفنـاه وحملنـاه إلى القـبر، فجـاء رسـول الله صـلى الله عليه وسلم حـتى جلس على شـفير القـبر فقـال: الحـدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنــا. رواه أحمد بن حنبل عن إســحق بن يوسف حــدثنا أبو جنــاب عن زادان عن جرير.

وفي الحـــــديث دليل على أن الإيمــــان يطلق على الأعمـال الظـاهرة الـتي هي الإسـلام. اللهم توفنا على الإيمان، وأحينا على سنة المصطفى من بني الإنسان، يا كريم يا رحمن يا حي يا قيوم.

فائدة:

قـال شـيخ الإسـلام في كتـاب النبـوات ص 172-173 مفرقــاً بين النــبي والرســول: إن النــبي ينبئه الله وهو ينبىء بما أنبأ الله به فـإن أرسل مع ذلك إلى من خـالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول.

---

(2) سورة الأنعام، الآية :: 82.

وأما إذا كان إنما كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رســـــالة فهو نـــــبي وليس برسول.

فائدة:

قال في [مختصر الصـواعق] أثنـاء كلامه على حـديث النزول ص 381 مطبعة الإمام:

الحادي عشر: أن الخبر وقع عن نفس ذات الله تعـالى لا عن غيره فإنه قال : إن الله ينزل إلى السماء الــدنيا ، فهذا خبر عن معنى لا عن لفظ، والمخبر عنه هو مسمى هذا الاسم العظيم، فإن الخبر يكون عن اللفظ تارة وهو قليل ويكون عن مسماه ومعناه وهو الأكثر.

فإذا قلت : زيد عندك وعمـرو قـائم فإنما أخـبرت عن الذات لا عن

الاسم فقوله تعــالى:) الله خــالق كل شــيء ([1] هو خبر عن ذات الـرب تعـالى فلا يحتـاج المخـبر أن يقـول : خـالق كل شـيء بذاتــه، وقولـه:) الله ربكم (قد علم أن الخــبر عن ذاته نفســها. وقولــه:) الله أعلم حيث يجعل رسالته ([2] وكـذلك جميع ما أخـبر الله به عن نفسه إنما هو خــبر عن ذاته لا يجـوز أن يخص من ذلك إخبــار واحد البتة، فالسامع قد أحاط علماً بأن الخبر إنما هو عن ذات المخبر عنه ويعلم المتكلم بــذلك لم يحتج أن يقــول : إنه بذاته فعل وخلق واستوى ، فإن الخبر عن مسمى اســمه وذاته وهــذا حقيقة الكلام ولا ينصــرف إلى غــير ذلك إلا بقرينة ظــاهرة تزيل اللبس وتعين المــراد، فلا حاجة بنا أن نقول: استوى على العرش بذاته ويــنزل إلى الســماء بذاتــه، كما لا يحتــاج أن نقــول : خلق بذاته وقــدر بذاته وسمع وتكلم بذاته، وإنما قـال الأئمة ذلك إبطـالاً لقـول المعطلة أ.هـ.

وقوله: فإن الخبر يكـون عن اللفظ تــارة، مثاله قــول المعربين في: زيد قائم، زيد مبتدأ، وقائم خبره.

فائدة:

---

(1) سورة الزمر، الآية :: 62.

(2) سورة الأنعام، الآية :: 124.

قـال الشـيخ تقي الـدين ص 180 ج 12 من مجمـوع الفتاوى:

وأما التكفـير فالصـواب أنه من اجتهد من أمة محمد صـلى الله عليه وسـلم، وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جـاء به الرسـول فشـاق الرسـول من بعد ما تـبين له الهـدى واتبع غـير سـبيل المؤمـنين فهو كـافر، ومن اتبع هـواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عـاص مـذنب، ثم قد يكـون فاسقاً، وقد تكون له حسنات ترجع على سيئاته،

فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حـال الشـخص فليس كل مبتدع ولا مخطئ ولا جاهل ولا ضال يكون كـافراً بل ولا فاسقاً بل ولا عاصياً أ.هـ.

فائدة:

قال الشيخ تقي الدين 307ج 11 من مجموع الفتاوى: والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال:

(أ) من كـان يـأمر الجن بما أمر الله به ورسـوله ويأمر الإنس بذلك فهومن أفضل أولياء الله.

(ب) من كان يستعمل الجن في أمـور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في ذلك.

(ج) من كـان يسـتعملهم فيما نهى الله عنه ورسـوله كالشـرك وقتل المعصـوم والعـدوان عليه بما دون القتل فإن اسـتعان بهم على الكفر فهو كـافر وعلى المعاصي فهو عـاص إما فاسق وإما مـذنب غـير فاسـق. أ. هـ. ملخصاً.

وقـال ص 62 ج 19 من المجمـوع: وأما سـؤال الجن وسؤال من يسـألهم، فـإن كـان على وجه التصـديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسـؤول فحـرام، وإن كـان ليمتحن حاله ويختـبر بـاطن أمـره وعنـده ما يمـيز صـدقه من كذبه فهـذا جـائز، وذكر أدلة ذلك ثم قـال : وكذلك إذا كان يسـمع ما يقولونه ويخـبرون به عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقول الكفـار والفجـار ليعرفـوا ما عندهم فيعتبروا به وكما يسـمع خـبر الفاسق ويتـبين ويتثبت فلا يجـزم بصـدقه ولا كذبه إلا ببينـة، ثم ذكر أنه روي عن أبي موسى الأشـعري أنه أبطأ عليه خـبر عمر

وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فـأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة.

وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشاً فقدم شــخص إلى المدينة فأخبر أنهم

انتصـروا على عـدوهم، وشـاع الخـبر فسـأل عمر عن ذلك فذكر له فقـال: هـذا أبو الهيثم بريد المسـلمين من الجن وسـيأتي بريد الإنس بعد ذلك فجـاء بعد ذلك بعـدة أيام. أ. هـ.

وقــال في كتــاب النبــوات ص 260 : والجن الــذين يطيعون الإنس وتستخدمهم الإنس ثلاثة أصناف:

أعلاها أن يأمرهم بما أمر الله به ورسـله. وذكر كلامـاً ثم قال:

ومن الناس من يستخدم من يسـتخدمه من الإنس في أمــور مباحة كــذلك فيهم من يســتخدم الجن في أمــور مباحة لكن هؤلاء لا يخدمهم الإنس والجن إلا بعوض مثل أن يخــــدموهم كما يخــــدمونهمأو يعينــــوهم على بعض مقاصدهم، وإلا فليس أحد من الإنس والجن يفعل شـيئاً إلا لغـرض، والإنس والجن إذا خـدموا الرجل الصـالح في بعض أغراضه المباحة فإما أن يكونـوا مخلصـين يطلبـون الأجـرمن الله وإلا طلبـوه منه إما دعـاؤه لهم وإما نفعه لهم بجاهه أو غير ذلك.

والقسم الثالث: أن يستخدم الجن في أمور محظــورة أو بأسباب محظورة وذكر أن هذا من السحر، وذكر كلاماً كثيراً.

ثم قــــال ص 267: والجن المؤمنــــون قد يعينــــون المؤمنين بشيء من الخوارق كما يعين الإنس المؤمنـون للمؤمنين بما يمكنهم من الإعانة أ.هـ.

فائدة:

قول السفاريني في عقيدته عند ذكر الاســتواء : (قد تعالى أن يحد) .

الحد لفظ مجمل يـراد به تـارة معـنى صـحيح، وأخـرى معنى باطل.

ومن ثم قال الإمام أحمد: " وهو على العرش بلا حد"، ومرة أخرى قيل له ما يـذكر عن ابن المبـارك أنه قيل له : كيف نعرف ربنا عز وجل؟ فقال:

بأنه على عرشه بـائن من خلقه بحد قـال : قد بلغـني ذلك عنه وأعجبه وقال: هكذا هو عندنا.
وذلك أن الحد تارة يراد به أن الله محدود يدرك العقل حده وتحيط به المخلوقات فهذا باطل.
وتارة يراد به أنه بائن من خلقه غير حـال فيهم فهـذا صحيح. ولذلك رد الإمام عثمـان بن سـعيد الـدارمي على بشر المريسي في نفيه الحد وقال: إنه لا معنى لنفيــك، إلا أن الله لا شـــيء، لأنه ما من شـــيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصـفة، لكن البـاري جل وعلا لا يعلم كيفية صـفته إلا هو قـال: فنحن نـؤمن بالحد ونكل علمه إلى الله تعالى أ.هـ.
وبـذلك تعـرف أن نفي الحد وإثباته على وجه الإطلاق لا ينبغي على أن الســـلامة هي أن يقـــال: إن الحد لا يضــاف إلى الله إطلاقــاً لا على ســبيل وجه النفي ولا على وجه الإثبات، لكن معناه يستفصل فيه، ويثبت الحق منه ويبطل الباطل. والله أعلم.
فائدة:
في كتـــاب العقل والنقل ص 60 ج2 مفـــرد نقلاً عن أبي حامد: وكان عبد الله بن سـعيد بن كلاب يقـول: هي حكاية عن الأمر فخالفه أبو الحسن الأشـــعري، بـــأن الحكاية تحتاج أن تكون مثل المحكي، ولكن هو عبارة عن الأمر القائم بالنفس.
فائدة:
سـؤال الملكين يعم كل ميت، وقـال بعض الحفـاظ والمحققين : الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون له تكليف وبه جزم غير واحد من أئمة
الشافعية ولم يستحبوا تلقينه إذاً وجزم الترمـذي بـأن المعلن في كفره لا يسأل، ووافقه ابن عبد الـبر وخالفه القرطـبي وابن القيم لقوله تعـالى: ﴿ يثبت الله الـذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظـــالمين ﴾ [1] ولحـــديث البخـــاري "وأما الكـــافر والمنـــافق " ورجحه ابن حجر وجـــزم ابن عبد الـــبر والترمذي باختصاص السـؤال بهـذه الأمـة، وخالفهما ابن

---
[1] سورة إبراهيم، الآية ::27.

القيم وجماعة وتوقف آخـــرون وظـــاهر الأحـــاديث أن السؤال بالعربية كما أنه لسان أهل الجنة والله أعلم.

فائدة:

في تـــاريخ الجهمية والمعتزلة نقلاً عن مجلة المنـــار في مواضع متعددة بطريقة مختصرة.

انقسام التجهم ص 745 مج 16 .

قال الشيخ تقي الـدين: ليس النـاس في التجهم على درجة واحدة بل انقسامهم في التجهم يشبه انقســامهم في التشـيع، ولـذلك يتسـتر الزنادقة بهـاتين البـدعتين اللــتين هم أعظم أو من أعظم البــدع الــتي حــدثت في الإسلام.

فالرافضة القـــدماء ليســوا جهمية بل مثبتو صـــفات، وغــالبهم يصــرح بلفظ الجســم، كما أن الجهمية ليســوا رافضة بل كــان الاعــتزال فاشــياً فيهم، والمعتزلة ضد الرافضة وهما إلى النصب أقـــرب، ولكن في عهد بـــني بويه فشا التجهم في الرافضة والشيعة ثلاث درجات.

شرها الغالية الـذين يجعلـون لعلي شـيئاً من الألوهية أو النبوة.

والدرجة الثانية الرافضة المعروفة كالإمامية وغــيرهم يعتقدون أن علياً

الإمــام الحق بعد النــبي صــلى الله عليه وســلم بنص جلي أو خفي، ولكنه ظلم ويبغضـــــــــــون أبا بكر وعمر ويشــتمونهما وهــذا أعــني بغضــهما وشــتمهما ســيما الرافضة.

الثالثة: المفضـلة يفضـلون عليـاً على أبي بكر وعمـر، لكن يتولونهما ويعتقــدون عــدالتهما وإمامتهما كالزيدية وهؤلاء أقرب إلى أهل السنة منهم إلى الرافضة.

وكذلك الجهمية ثلاث درجات:

غالية: ينفون أسماء الله وصفاته، وإن ســموه بشــيء من أســمائه قــالوا: هو مجـاز فهو عنـدهم ليس بحي ولا عالم .. الخ، فهم لا يثبتون شيئاً ولكن يـدفعون التشـنيع بما يقـــرون به في العلانيـــة. وقد قـــال أبو الحسن الأشعري: إن هؤلاء أخذوا عن إخوانهم المتفلسفة الذين زعموا أن للعـالم صـانعاً لم يـزل ليس بعـالم ولا قـادر..

الخ. غـير أن هـؤلاء لم يظهـروا المعـنى فقـالوا: إن الله عــالم من طريق التســمية من غــير أن نثبت له علمــاً أو قدرة.. الخ. وهـذا القـول، قـول القرامطة الباطنية ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة والفلاسفة.

الدرجة الثانيـــة: تجهم المعتزلة يقـــرون بالأســـماء الحسـنى في الجملة ويجعلـون كثـيراً منها على المجـاز، لكنهم ينفون صفاته وهؤلاء هم الجهمية المشهورون.

والثالثة: الصفاتية المثبتون المخالفون للجهميـة، لكن فيهم نـوع من التجهم يقـرون بأسـماء الله وصـفاته في الجملة لكن يـردون طائفة من أسـمائه وصـفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها كما تأول الأولون صـفاته كلهـا. ومنهم من يقر بما جاء في القرآن الكـريم دون الحـديث ومنهم من يقر بــــالجميع، لكن مع نفي وتعطيل للبعض وهؤلاء إلى السنة المحضة أقـرب إلى الجهمية المحضـة. بيد أن متأخريهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر فخـالفوا أوليهم أ. هـ.

وقد أشـــار إلى أن كلام الشـــيخ هــذا في التســعينية. انتهى الكلام على الجهمية.

أما الكلام على المعتزلة فيلخص فيما يلي:

1. 1. من هم المعتزلة؟

ص 749 ج 16 هي فرقة إســـلامية كبـــيرة جـــداً إذ إنه انتحلها رجال كثيرون فشيعة العـراق قاطبـة، والأقطـار الهندية والشـامية والبلاد الفارسـية والزيدية في اليمن، كل هؤلاء الذين يعدون بالملايين على مذهب المعتزلة.

أما في نجد فقد انتشر مذهب السلف الأثريـة، كما يوجد ذلك في طوائف من الهند وفي جماعـــــــات قليلة في العراق والحجاز والشام.

أما الســواد الأعظم من البلاد الإســلامية فعلى المــذهب المنسوب إلى الأشعري أي الذي تداوله المتأخرون إذ إن مــذهب الأشــعري بنفسه هو مــذهب أحمد بن حنبل كما صرح بذلك في كتابه الإبانة.

2. 2. تلقيب المعتزلة بالجهمية ص 751 مج 16.

كان مذهب الجهمية سابقاً بزمن قـريب مـذهب المعتزلة غـير أنهما اتفقا على أصـول كبـيرة في مـذهبهما وهي

نفي الصـــــفات والرؤية وخلق الكلام، فصـــــاروا كأهل المذهب الواحد وإن اختلفـوا في بعض الفـروع، ومن ثم أطلق أئمة الأثر (الجهمية) على المعتزلة فالإمــام أحمد والبخاري في كتابيهما "الرد على الجهمية" ومن بعدهما يعنون بالجهمية المعتزلة لأنهم بهذه المسائل أشهر من الجهمية خصوصاً في المتأخرين.

وأما المتقـدمون فيعنـون بالجهمية الجهمية لأنها الأم السابقة لغيرها من مـذاهب التأويل (أي التعطيل). كما سبق عن الشيخ تقي الدين.

قال رشيد: وبما ذكر يزول الاشتباه الذي يــراه البعض من ذكر الجهمية في هذه المسائل، مع أنها في عــرفهم مضافة إلى المعتزلة وذلك أن

تلقيبهم بالجهمية لما وجد من مــوافقتهم إيــاهم في هــذه المســائل، ومن ثم قــال الشــيخ تقي الــدين: كل معـــــــتزلي جهمي ولا عكس، لكن جهم أشد تعطيلاً لأنه ينفي الأسماء والصفات.

فائدة:

قال ابن مفلح في الفــروع: لم يبعث إليهم (أي الجن) نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قلت: ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم،: " وكــان النــبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى النــاس عامة "[1].

فأما قوله تعالى، عن الجن: ﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنـــزل من بعد موسى مصـــدقاً لما بين يديه يهـــدي إلى الحق وإلى طريق مســـتقيم ﴾[2]. فظـــاهره أنهم كـــانوا يتعبـدون بشـريعة موسـى، وكـذا هو ظـاهر حـال الجن المسخرين لسليمان أي إن الظـاهر أنهم كـانوا يتعبـدون بشريعة سليمان، وكان يتعبد بشريعة موسى، هكـذا قيل : إنه ظاهر حالهم وفيه نظر ولكن يكفينا ظاهر الآية.

والجواب أن الظاهر أنه لم يكلف بالرسالة إليهم، وإن كانوا قد يتعبدون بها والله أعلم.

فائدة:

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب التيمم، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

[2] سورة الأحقاف، الآية :: 30.

حديث عمـران بن حصـين: " كـان الله ولم يكن شـيء قبله وكان عرشه على المـاء وكتب في الـذكر كل شـيء ثم خلق السموات والأرض " [1].

وقد روى الترمذي بإسـناد صـححه في موضع وحسـنه في آخـــر، والـــبيهقي، وأحمد وابن ماجــــه، ومحمد بن الصباح، من حديث أبي رزين العقيلي أنه قال: يا رسـول الله أين ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟

قــال: "كــان الله في عمــاء ما فوقه هــواء وما تحته هـواء. ثم خلق العـرش ثم اسـتوى عليـه" [2]. هـذا لفظ البيهقي.

العماء: هو السحاب الكثيف المطبق.

قــــال ابن كثــــير في البداية والنهاية ص 8 ج 1 ما ملخصه: واختلف في أيها خلق أولاً، فقـال قـائلون: خلق الله القلم قبل هذه الأشياء كلها، وهو اختيار ابن جريــر، وابن الجــوزي وغيرهمــا، قــال ابن جريــر: وبعد القلم السحاب الرقيق.

واحتجوا بحديث عبـادة بن الصـامت مرفوعـاً " إن أول ما خلق الله القلم" [3]. رواه أحمد، وأبو داود والترمذي.

والذي عليه الجمهور: أن العرش قبل لحـديث عبد الله بن عمــرو بن العــاص مرفوعــاً " إن الله كتب مقــادير الخلائق قبل أن يخلق الســموات والأرض بخمســين ألف سـنة، قـال: وعرشه في المـاء" [1]، وحملـوا إن أول ما خلق الله القلم (أي من هــذا العــالم) قــال ابن جريــر: وقال آخرون : بل خلق الله المـاء قبل العـرش. ثم حكى

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق.

[2] أخرجه الإمـام أحمد في المسـند جــ4 ص 11، والترمـذي: كتـاب التفسـير " سورة هود" جــ 5 ص 288، وابن ماجـه: المقدمـة: بـاب فيما أنكـرت الجهميـة، والطبراني في" المعجم الكبير" جـ 19 ص 207، وابن أبي عاصم في " السنة " جـ1 ص 272، والبيهقي في " الأسماء والصفات" جــ 2 ص 150، وعبد الله بن الإمام أحمد في " السنن " ج 2 ص 243.

[3] أخرجه الإمـام أحمد ج5 ص 317، وأبو داود : كتـاب السـنة: بـاب في القـدر، والترمــذي: كتــاب التفســير: بــاب " 66" والطيالسي (577)، والآجــري في " الشريعة " ص 177 وابن أبي عاصم في " السنة " جـ1 ص 48، والـبيهقي في " الأسماء والصفات" جـ 2 ص 117، وأبو نعيم ج 5، ص 248.

[1] أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه" " 2653".

عن محمد بن إسحاق أن أول ما خلق الله النور والظلمة، ثم ميز بينهما، ثم قال: وقد قيل: إن الــذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي، ثم العرش، ثم الهواء والظلمة، ثم الماء، فوضع عرشه على الماء. والله أعلم.

فائدة:

أفعال العباد:

اعلم أن الناس في أفعال العباد على ثلاثة أقسام: طرفين، ووسط.

فأما الطرفان فهما الجبرية والقدرية النفاة.

فالجبرية زعموا أن العبد مجبـور على فعله مقهـور لا تأثير له فيه البتـة، حـتى بـالغ غلاتهم بـأن فعل العبد هو عين فعل اللـــــه، ولا ينسب إلى العبد إلا على ســـــبيل المجــاز وأن الله يلــوم العبد ويعاقبه على مــالا صــنع له فيــه، ولا إرادة، ولا اختيــار، بل هو مضــطر إليه لا فــرق بينه وبين حركة المرتعش.

واستدل هـؤلاء بأنه قد تقـرر عقلاً وشـرعاً ، بـأن الله خالق كل شــيء ومليكه ومـدبره ، لا يشذ عن هـذا الأصل العظيم شـيء،لا كلي ولا جـزئي لا من أفعـال العبـاد ولا غيرهـا. كما قــال تعــالى:) الله خــالق كل شــيء ([2].ـ) الخالق البارئ المصور([1].ـ) والله خلقكم وما تعملــون ([2]. وغــير ذلك من نصــوص الكتــاب والســنة الدالة على عموم خلق الله.

وبـــأن العبـــاد في ملكه وكيف يكـــون في ملكه مـــالا يريد؟!

وهـــــذه الطائفة نبغت مقابلة للطائفة الثانية القدرية التي هي:

الطـــرف الثـــاني قـــالوا: إن العبد قـــادر على أفعاله مخترع لها على وجه الاستقلال، ولا تعلق لقدرة الله بها أصلاً.

قال ابن القيم في [شـفاء العليل] ص 51: [وكلهم متفقون على أن الله غير فاعل لأفعال العباد، واختلفـوا

---

[2] سورة الزمر، الآية :: 62.

[1] سورة الحشر، الآية :: 24.

[2] سورة الصافات، الآية :: 96.

هل يوصف بأنه مخترعهـــا، ومبـــدعها، وأنه قـــادر عليها وخالق لها فجمهورهم نفوا ذلـك، ومن يقـرب منهم إلى السـنة أثبت كونها مقـــدورة للـــه، وأن الله قـــادر على أعيانهـــا، وأن العبـــاد أحـــدثوها بإقـــدار الله لهم على إحداثها، وليس معـنى قـدرة الله عليها عنـدهم أنه قـادر على فعلهـا، هـذا عنـدهم عين المحـال بل قدرته عليها إقدارهم على إحداثها] أ. هـ. كلامه.

وهـؤلاء اسـتدلوا بالأدلة الدالة على أن العمل مضـاف إليه، والأصل في الإضـافة أنها للحقيقـة، ومن المعلـوم امتناع معمول واحد من عاملين على وجه الاستقلال من كل منهما.

ولأنه لو كـان الله خالقـاً أفعـالهم لكـان عقابه إيـاهم على المعصية ظلماً لهم.

ولأننا نجد الفـــرق ضـــرورة بين الحركة الاختياريـــة، والحركة الاضطرارية، كالارتعاش وبأنه لو اعتدى شـخص على بدن أو مال أو عرض ثم احتج بالقدر، وأن ذلك بغير اختيار منه، لرده جميع العقلاء.

لكن هـؤلاء ألغـوا جميع النصـوص الدالة على أن خلق الله عام والـتزموا أن يكـون في ملكه مـالا يريـد، وغلـوا في النصـــوص والأدلة الدالة على أن فعل العبد يضـــاف إليـــه، حيث زعمـــوا أنه لا تعلق لإرادة الله وخلقه فيما يفعله العبد من الطاعات وغيرهـا، وجفـوا عن النصـوص الدالة على عموم خلق الله.

وأولئك غلوا في النصوص الدالة على عمـوم خلق الله لكل شيء وجفوا عن النصوص الدالة على أن للعبد فعلاً يضاف إليه ويقع باختياره.

ودين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه، ولـذلك كان أسعد النـاس به هم أهل السـنة والجماعة القـائلون بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقـه، لا يشذ عن هـذا الأصل العظيم شـيء وقد دل عليه الكتـاب والسـنة وإجماع الأمة قبل ظهور مجوسـها القدرية النفـاة، وهم مع ذلك يقولـون: [إن العبـاد فـاعلون لأفعـالهم حقيقة تضاف إليهم ويجازون عليها بالعـدل والإحسـان، وهـذا لا ينافي أن يكون الله خالقاً لأفعالهم، فـإن أفعـال العبـاد

تضـــاف إلى الله خلقـــاً وتكوينـــاً، وتضـــاف إليهم فعلاً ومباشرة، وفرق بين مخلوق الله، وبين فعله، فأفعـالهم مخلوقة بائنة عنه لا تنسب إليه على أنها فعله وهي فعل العباد الموصوفين فيها حقيقـة، فهي من صـفاتهم العائد حكمها إليهم، والعقلاء كلهم يعلمـــــــون أن فعل الفاعل ناشئ عن قدرته وإرادته الجازمة، لا يتخلف عنها البتة، ولا يمكن وجوده مع عدمه أو عـدم إحـداهما، والله تعـالى هو الـذي خلق الآدمي بما فيه من قـدرة وإرادة، وخالق السبب التـام خـالق للمسـبب، فـالرب جعل إرادة العبد وقدرته سـبباً لإيجـاد فعله بمنزلة إحـراق النـار لما وقع فيها مما يقبل الاحتراق. فـإن إحـراق النـار يضـاف إليها على وجه المباشرة، ويضـاف إلى من أوقـدها على أنه هو فاعل السبب.

قـال ابن القيم رحمه الله في شـفاء العليل ص 130 بعد أن أطال رحمه الله في الكلام على الكسب والجـبر: فـالطوائف كلها متفقة على الكسـب، ومختلفـون في حقيقته، فالقدرية قـالوا: هو إحـداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته اسـتقلالاً، وليس للـرب فيه صـنع ولا هو خـالق فعله ولا مكونه ولا مريد له.

وقـالت الجبريـة: اقـتران الفعل بالقـدرة الحادثة من غير أن يكون لها فيه أثر.

ثم ذكر أن الأشعري في عامة كتبه، فسر الكسب بـأن يكون الفعل بقدرة محدثـة، فمن وقع الفعل منه بقـدرة محدثة فهو مكتسـب، ومن وقع منه بقـدرة قديمة فهو فاعل خالق.

وقـال بعض المعتزلـة: من يفعل بغـير آلة ولا جارحة فهو خـالق، ومن يحتـاج في فعله إلى الآلات والجـوارح فهو مكتسـب، ثم قـال: ونحن نقـول: هي أفعـال للعبـاد حقيقة ومفعولة للرب، فالفعل عندنا غير المفعـول وهو إجمـاع من أهل السـنة، فالعبد فعلها حقيقة والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة وخالق فاعليته.

وسر المسألة أن العبد فاعل متفعل باعتبارين.

ثم قـال ص 131: قلت: هاهنا ألفـاظ، وهي فاعـل، وعامل، ومكتسـب، وكاسـب، وصـانع، ومحـدث، وجاعـل،

ومــؤثر، ومنشــىء، وموجــد، وخــالق، وبــارئ، ومصــور، وقادر، ومريد.

وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام:

قسم لم يطلق إلا على الــرب، كالبــارىء، والبــديع، والمبدع.

وقسم لا يطلق إلا على العبد، كالكاسب، والمكتسب.

وقسم وقع إطلاقه على العبد والــرب، كاسم صــانع، وفاعل وعامل ومنشىء، ومريد، وقادر.

وأما الخالق المصور فإن استعملا مقيـدين أطلقا على العبد، كما يقال لمن قدر في نفسه شيئاً: إنه خلقه.

وبهذا الاعتبار صح إطلاق خـالق على العبـد، في قوله تعالى:) فتبارك الله أحسن الخالقين([1] قلت : ووجه ذلك أن الخالقين جمع مفضل عليهم بإضـافة اسم التفضـيل، ومن المعلوم أنه لا ثم سوى خـالق أو مخلـوق فـإذا كـان الخالق أحسن الخـالقين كـان المفضل عليهم مخلـوقين وسماهم الله هنا خالقين. فدل على صحة إطلاق الخالق على المخلوق.

قلت: ومن ذلك قوله تعــالى:) وتخلقــون إفكــاً ([2]وقوله صـلى الله عليه وسـلم، في الحـديث القدسي : إن الله قــال: " ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي " [3] وقوله في الحديث الآخـر: يقـال للمصـورين: " أحيـوا ما خلقتم " [4].

هذا وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الكتاب المذكور ص 121 – 122 عن الإسفرائيني كلاماً، قـال ابن القيم بعــده : قلت : مــراده أي الإســفرائيني أن إطلاق لفظ الخلق لا يجـوز إلا على الله وحـده. أ. هــ. فتأمل ما في قوله : إطلاق لفظ الخلق فإنه يوافق كلامه هنا والله أعلم.

---

[1] سورة المؤمنون، الآية :: 14.

[2] سورة العنكبوت، الآية :: 17.

[3] أخرجه البخـاري: كتـاب اللبـاس: بـاب نقض الصـور، ومسـلم: كتـاب اللبـاس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

[4] أخرجه البخاري: كتـاب اللبـاس: بـاب من كـره القعـود على الصـور، ومسـلم: كتاب اللباس: باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

فائدة:

مراتب القضاء والقدر أربع: من شفاء العليل ص 29 ما ملخصه.

الأولى: علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها.

الثانية: كتابته لها قبل كونها.

الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها. أ. هـ.

فأما المرتبة الأولى: فقد اتفقت عليها جميع الرسل من أولهم إلى خاتمهم، وهذه المرتبة كان ينكرها طائفتان:

الأولى: من ينفي علمه بالجزئيات، وهم الفلاسفة.

الثانية: غلاة القدرية الذين قالوا: إن الله لا يعلم أعمال العباد حتى يعملوها، ولم يكتبها أو يقدرها فضلاً عن أن يخلقها.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وهذه المرتبة هي مرتبة التقدير والتقادير خمسة أنواع:

النوع الأول: التقدير العام، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ الذي كان قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء قال شيخ الإسلام رحمه الله: علم الله تعالى السابق ثابت لا يتغير وأما الصحف التي بأيدي الملائكة فيلحقها المحو والإثبات وأما اللوح المحفوظ فهل يلحقه ذلك؟ على قولين:

النوع الثاني: تقدير أرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم قبل أن يخلقهم.

النوع الثالث: تقدير ما ذكر على الجنين في بطن أمه.

قال ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل ص 22: فاجتمعت هذه الأحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته، وهو في بطن أمه، واختلفت

في وقت هـــذا ففي حـــديث ابن مســـعود أنه بعد مائة وعشرين يوماً من حصـول النطفة في الـرحم [1]وحـديث أنس غــير مــؤقت[2] وحــديث حذيفة بن أســيد وقّت فيه التقـدير بـأربعين يومـاً ، وفي لفظ بـأربعين ليلـة، وفي لفظ بـــاثنتين وأربعين ليلـــة، وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة. وهو حديث تفرد به مسلم[3].

ثم قال في وجه الجمع بينهما: إن هناك تقديرين:

أحدهما: سابق لنفخ الروح وهو المتعلق بشأن النطفة إذا بدأت بالتخليق وهو العلق.

والثـاني: حين نفخ الـروح: وهو المتعلق بشـأنها حين تتعلق بالجسد.

أي فصار التقدير معلقاً بمبدأ الجسد ومبدأ الروح.

النـوع الرابـع: التقـدير السـنوي ، وهو ما يكـون ليلة القدر.

النوع الخامس: التقدير اليومي.

فالتقـديرات خمسـة: يـومي، وحـولي، وعمـري، عند تعلق النفس بالبدن وعند تخليقه، وتقدير قبل وجود ابن آدم بعد خلق الســـموات والأرض، وتقـــدير قبل خلق السموات والأرض، وكل هذه تفاصيل للتقدير السابق.

المرتبة الثالثـة: مرتبة المشـيئة، وهي عمـوم مشـيئة الله تعالى.

وقد نفى المشـــيئة إطلاقـــاً طوائف من الفلاســـفة وأتبـاعهم، ونفاها القدرية المعتزلة بالنسـبة إلى أفعـال العباد فقط.

المرتبة الرابعـــة: مرتبة الخلق وهي عمـــوم خلق الله لكل ما سواه، وقد سبق الكلام عليها.

فائدة:

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب القـدر، ومسـلم: كتـاب القـدر : بـاب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.

[2] البخاري: كتاب القدر، ومسلم : كتاب القدر: باب كيفية الخلق الآدمي.

[3] اخرجه مسلم / كتاب القدر/ باب كيفية الخلق الآدمي.

الرضا بالقضـــــاء الـــــذي هو وصف الله وفعله واجب مطلقاً، لأنه من تمام الرضا بالله رباً.

وأما القضاء الذي هو المقضي فالرضا به مختلف.

فإن كان المقضي دينياً وجب الرضا به مطلقاً.

وإن كان كونياً فإما أن يكون نعماً أو نقمـاً أو طاعـات أو معاصي.

فالنعم يجب الرضا بها لأنه من تمام شكرها، وشـكرها واجب.

وأما النقم كـــالفقر والمـــرض ونحوهمـــا، فالرضا بها مستحب عند الجمهور وقيل بوجوبه.

وأما الطاعـــــات فالرضا بها طاعة واجبة إن كـــــانت الطاعة واجبة ومســـــتحبةإن كــــانت مســـــتحبة . وأما المعاصي فالرضا بها معصـــــية،والمكروهـــــات الرضا بها مكروه،والمباحات مباح والله أعلم.

فائدة:

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية في كتابه أقـوم ما قيل ص 141 من القسم الثالث من مجموعة رسائله قال:

ومن تـوهم منهم أي من القدرية أو من نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصـــــــــــــية من العبد فهو جاهل بمـذهبهم، فـإن هـذا لم يقله أحد من علمـاء القدرية ولا يمكن أن يقوله فــإن أصل قــولهم أن فعل العبد للطاعة كفعله للمعصـية كلتاهما فعله بقـدرة تحصل له من غـير أن يخصه بإرادة خلقها فيه، فإذا احتجوا بهــذه الآية على مــذهبهم كــانوا جــاهلين بمــذهبهم ويعــني بالآية قوله تعـالى:) ما أصـابك من حسـنة فمن الله وما أصـابك من سـيئة فمن نفسك ([1] إلى قوله : فـإن عنـدهم الحسـنة المفعولة والسيئة المفعولة من العبد لا من الله أ. هـ.

ورأيت في تفســير ابن كثــير رحمه الله ص 267 ج 4 عند قوله تعالى:

([1] سورة النساء، الآية :: 79.

) إنا كل شيء خلقناه بقـدر ([2] عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أنه قيل له : إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقـدر فقال : دلوني عليه وهو أعمى، قالوا: وما تصنع به يا أبا عبـاس قـال: والـذي نفسي بيـده لئن اسـتمكنت منه لأعضن أنفه حـتى أقطعـه، ولئن وقعت رقبته في يـدي لأدقنها فإني سمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول: " كأني بنساء بـني فهر يطفن بـالخزرج تصـطفق ألياتهن مشركات هذا أول شرك هذه الأمة والذي نفسي بيـده لينتهين بهم سـوء رأيهم حـتى يخرجـوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قـدر شـراً " [3] رواه أحمد.

فائدة:

قال الشيخ تقي الدين في الجواب الصـحيح لمن بـدل دين المسيح ص 96 ج 4 : والناس في المعـاد على أربعة أقوال:

أحدها إثبات معاد الروح والبدن وهو مذهب المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

الثـاني أن المعـاد للأبـدان فقط قاله كثـير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

الثالث أن المعـاد للـروح وحـدها وهو قـول الفلاسـفة المشركين لم يقله أحد من أهل الملل لا المسـلمون ولا اليهـود ولا النصـارى، فـإنهم كلهم متفقـون على إعـادة الأبـدان وعلى القيامة الكـبرى، وأهل هـذا القـول منهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ إما في أبـدان الآدمـيين أو أبـدان الحيـوان مطلقـاً أو في جميع الأجسـام النامية أو أن التناسخ في الأنفس الشـقية فقـط، وكثـير من محققيهم ينكر التناسخ.

القـول الرابع إنكـار المعـادين جميعـاً كما قاله أهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك وغيرهم.

فائدة:

---

[2] سورة القمر، الآية :: 49.

[3] أخرجه الإمام أحمد جـ 1 ص، 330 ، والهيثمي في " المجمع" ج 7 ص 204.

قال الشيخ تقي الدين في الجـزء الأول من الرسـائل ص 59:

وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتـاب والسـنة أو الإجماع يقـال: هي كفر قـولاً يطلق كما دل على ذلك الدليل الشرعي، فإن الإيمـان من الأحكـام المتلقـاة عن الله ورسـوله، ليس ذلك مما يحكم فيه النـاس بظنـونهم وأهـوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شـخص قـال ذلك بأنه كافر، حتى يثبت في حقه شـروط التكفـير، وتنتفي موانعـه. مثل من قـال: إن الخمر أو الربا حلال لقـرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلاماً أنكـره ولم يعتقد أنه من أحـاديث رسـول الله صـلى الله عليه وسلم، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ذلك وكما كان الصـحابة يشـكون في أشـياء مثل رؤية الله وغـير ذلـك، حتى يسألوا عن ذلك رسول الله صـلى الله عليه وسـلم، ومثل الـذي قـال: إذا أنا مت فاسـحقوني وذروني في اليم لعلي أضل عن الله تعالى [1] ونحو ذلك.

فإنهم لا يكفرون حتى تقـوم عليهم الحجة بالرسـالة، كما قـال تعـالى:) لئلا يكـون للنـاس على الله حجة بعد الرسل ([2]. وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان رحمةٌ الله رحمة كبيرة.

فائدة:

وجـدت في مجلة التمـدن الإسـلامي الصـادرة في رمضـان سـنة 1378هـ 756 تحت عنـوان: "سد يـأجوج ومأجوج" ما نصه:

توجد في العتبة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبـال توقـان، كأنها جـدار طـبيعي وقد سد هـذا الجدار الجبلي الطريق الموصلة بين الشمال والجنوب إلا طريقـاً واحـداً بقي مفتوحـاً، هو مضـيق دار بـال، بين

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء: باب حديث الغار، ومسلم: كتاب التوبة: باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

[2] سورة النساء، الآية :: 165.

ولايتي كيوكز وتفليس حيث يوجد الآن جـدار حديـدي من قديم الأزمان.

أ.هـ. وذكر أنه منقول من كتاب شخصـية ذي القـرنين من منشورات دار البصري في بغداد.

فائدة:

الأنبياء المذكورون في القرآن الكريم هم المذكورون في الأبيات، وهم خمسة وعشرون نبياً.

حتم على كل ذي التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو

إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وعد ذي الكفل منهم، فيه خلاف مشهور بين العلمــاء، فقيل : رجل صــالح وقيل : نــبي، وتوقف ابن جرير في ذلك والله أعلم.

فائدة:

إن قيل : ما الفائدة في قص إهلاك الأمم علينا مع أن هذه الأمة لن تهلك كما هلكوا على سبيل العموم؟

فالجواب أن لذلك فائدتين:

إحداهما: بيان نعمة الله علينا برفع العـذاب العـام عنا وأننا مستحقون لذلك لولا منة الله.

الثــاني: أن مثل عــذابهم قد يكــون لمن عمل عملهم في يـوم القيامة إذا لم تحصل العقوبة في الـدنيا، ولعله يفهم من قوله تعـالى:) وكـذلك أخذ ربك إذا أخذ القـرى وهي ظالمة إن أخـذه أليم شـديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة([1]. فلعل ظاهره أن مثل هذا العـذاب يكون في الآخرة والله أعلم.

فائدة:

---

[1] سورة هود، الآيتان :102- 103.

لسوء التصرف سببان:

أحدهما: نقص العلم وهو الجهل.

والثاني: نقص الحكمة وهو السفه المنافي للرشد.

ولــذلك وصف الله نفسه بالحكمة والخــبرة في قوله تعالى:) كتابأحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ([1]وفي هذا دليل على أن القرآن الكريم جـامع بين العلم والحكمة.

فائدة:

من المنتقى في باب ما جـاء في الأجـرة على القـرب عن خارجة بن الصلت عن عمه أنه أتى النــبي صــلى الله عليه وســلم، ثم أقبل راجعــاً من عنــده فمر على قــوم عنــدهم رجل مجنــون موثق بالحديد فقــال أهلــه: إنا قد حدثنا أن صـاحبكم هـذا قد جـاء بخـير فهل عنـدك شـيء نداويه؟ قـال: فرقيته بفاتحة الكتـاب ثلاثة أيـام كل يـوم مرتين فبرأ فأعطوني مـائتي شـاة، فـأتيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم، فأخبرته فقـال: " خـذها فلعمـري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حـــــق" [2] رواه أحمد وأبو داود، قال في نيل الأوطـار : رجاله رجـال الصـحيح إلا خارجة المذكور وقد وثقه ابن حبان أ.هـ.

قلت وفيه دليل على جواز قول الرجل : لعمري.

فائدة:

روى مسلم عن عطاء عن جابر في صلاة النـبي صـلى الله عليه وسلم العيد وأنه أتى النسـاء فـوعظهن، فقيل لعطاء : أحقاً على الإمام الآن أن يأتي النساء حين يفرغ فيذكرهن؟ قال: أي لعمري إن ذلك لحق عليهم، وما لهم لا يفعلون ذلك؟ ذكره مسلم في صلاة العيدين.

ففيه إفـراد النسـاء بالموعظة وجـواز قـول : لعمـري على رأي عطاء رحمه الله.

([1] سورة هود، الآية :: 1.

([2] أخرجه الإمام أحمد جـ 5 ص 211، وأبو داود: كتاب الطب : باب كيف الرقي، وانظر نيل الأوطار جـ 5، ص 335.

فائدة:

في صــحيح مســلم ص 197 ج 5: أن نجــدة كتب لابن عباس يسأله عن خمس خلال هل كـان النـبي صـلى الله عليه وسلم، يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتي ينقضي يتم اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فقال ابن عباس لولا أن أكتم علمــاً ما كتبت إليـه، فكتب إليــه، كتبت تســألني هل كـان النــبي صلى الله عليه وسلم، يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحـذين من الغنيمـة. وأما بسـهم فلم يضــرب لهن رســول الله صــلى الله عليه وســلم. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل الصــبيان فلا تقتل الصــبيان. وكتبت تســألني مــتى ينقضي يتم اليــتيم؟ فلعمــري إن الرجل لتنبت لحيته وإنه لضــعيف الأخذ لنفسه ضـعيف العطـاء منهـا، فـإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم. وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو ؟ وإنا كنا نقول : هو لنا فـأبى علينا قومنا ذاك أ.هـ. فيه دليل على جواز قول لعمري.

فائدة:

إذا أضاف الإنسان الشيء إلى سببه الصحيح المعلــوم من غير واو العطف الدالة على التشريك فلا بأس به.

ويــــدل عليه ما رواه البخـــاري: أن العبـــاس بن عبد المطلب، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيت عن عمل أبي طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قــال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكـان في الـدرك الأسـفل من النار [1]ورواه مسلم بهذا اللفظ.

وقـريب من هـذا قوله صـلى الله عليه وسـلم: " لـولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار" [1].

فائدة:

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قصة أبي طـالب، ومسـلم: كتـاب الإيمان: باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب.

[1] أخرجه البخـاري: كتـاب فضـائل الصـحابة: بـاب لـولا الهجـرة لكنت امـرأً من الأنصار، ومسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام.

اتفق العلماء على أن كراهة عبدي وأمتي للتنزيه حتى أهل الظاهر ، ويستدل بقوله تعـالى :)والصـالحين من عبـادكم وإمـائكم ([2]. على أن المنهي هو السـيد خشـية التطاول. أما غيره فلا لأنه إنما يقصد التعريف غالباً.

وقد زاد مسـلم في حـديث النهي، ولا يقل : مـولاي فإن مولاكم الله.

وهــذه الزيــادة قد بين مســلم الاختلاف فيها على الأعمش، فمنهم من ذكرها ومنهم من حــذفها. وقــال عياض: حذفها أصح. وقال القرطبي: المشهور حذفها.

أما كلمة الرب فقد قـال الخطـابي: إن غـير العاقل لا يكره إضافتها إليه كرب الدار ونحوه وقال ابن بطـال : لا يجوز أن يقال لأحد غير الله : رب كما لا يجوز إله.أ.هـ.

هـذا وقد ورد في الحـديث إذا ولـدت الأمة ربتها فـدل على أن النهي عن الإطلاق. ويحتمل أنه للتنزيــــه. وما ورد فلبيان الجواز.

وقيل : إن الجواز خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل : إن النهي عن الإكثار من ذلك، ولعل هذا أقرب الاحتمالات،

لقوله: " لا يقل أحدكم : أطعم ربك، وضـىء ربـك" [1] لأن الطعام والوضوء يكثر تكررهما.

ولا ريب أنه إذا خشي المحذور من استعمال الكلمـتين قوي النهي والكراهـة، وربما وصـلت إلى التحـريم وكلما بعد المحـــذور بعـــدت الكراهة وربما زالت إذا زال والله أعلم.

تم بحمد الله

(2) سورة النور، الآية :: 32.

(1) أخرجه البخـاري / كتـاب العتق / بـاب كراهية التطـاول على الرقيق وقوله : عبـدي أو أمتي ، ومسلم كتاب الأدب / باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ([سورة آل عمران: الآية: 102]،) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ([سورة النساء: الآية 1].

أما بعد:

إخواني الكرام:

موضوع المحاضرة هو الكلام على الوصايا العشر التي في آخر سورة الأنعام وقبل الكلام عليها أحب أن أنبه على ثلاث مسائل تفعل في النصف من هذا الشهر أو يذكرها العامة في النصف من هذا الشهر – شهر شعبان.

المسألة الأولى:

أن كثيراً من العامة يظنون أن ليلة النصف من شعبان هي ليلة القدر وأنه يكتب فيها ما يكون في السنة، ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان ودليل ذلك قوله تبارك وتعالى في القرآن الكريم:) إنا أنزلناه في ليلة القدر ([سورة القدر، الآية: 1].

وفي قوله تعالى:) حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم (. [سورة الدخان، الآيات:1-ـ 4] فهذا نص في أن القرآن نزل في ليلة القدر التي يفرق فيها ويفصل كل

أمر حكيم ثم قوله تعالى:) شهر رمضان الذي أنــزل فيه القـــرآن هـــدى للنـــاس وبينـــات من الهـــدي والفرقان([سورة البقرة، الآية: 185]. وهـذا يـدل دلالة أكيدة على أن ليلة القدر في رمضـان بل هي في العشر الأواخر من رمضان.

المسألة الثانية:

وهي أن بعض الناس يخص ليلته بقيـام ويومه بصـيام بناء على أحـاديث ضـعيفة وردت في ذلـك، ولكن حيث لا تصح هذه الأحاديث الضعيفة فإن ليلة النصف من شعبان لا تخص بقيام. ولكن إن كان الإنسان قد اعتـاد أن يقـوم الليـل، فليقم ليلة النصف كغيرها من الليـالي، وإن كـان لم يعتد ذلك فلا يخصها بقيام كـذلك في الصـوم لا يخص النصف من شـعبان بصـوم، لأن ذلك لم يـرد عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لكن لو صـام الأيـام الثلاثة الـبيض وهي اليـوم الثـالث عشر واليـوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر لو صامها فـإن صـيامها من السـنة لكن ليس باعتقاد أن لهذا مزية على سـائر الشـهور وإن "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكـثر الصـوم في شعبان أكثر من غيره من الشهور حتى كـان يصـومه كله أو إلا قليلاً منه" [1] .

المسألة الثالثة: -

أن بعض الناس يصنع الطعام في اليوم الخامس عشر من شـعبان ويـدعو إليه النـاس، أو يوزعه على الجـيران والأقارب معتقداً أن لـذلك مزية وفضـلاً ولكـني أقـول : ليس الأمر كذلك، فلا يشرع فيه صنع الطعام ولا الـدعوة ولا الصـدقة، بل هو كغـيره من الأيـام، يصـنع فيه من الطعام ما يصنع في غيره وليس له مزية.

هـذه ثلاث بـدع يعتادها بعض النـاس فـأحببت التنبيه عليها.

والآن نشرع في موضوع المحاضرة.

---

[1] البخاري: كتاب الصوم: باب: صوم شعبان: ومسلم: كتاب الصيام : بـاب صـيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان.

يمكن القـول إن جميع الـدين وصـية من الله عز وجل كل الدين وصية من الله كما قال الله تعالى:) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبـــراهيم وموسى وعيسى أن أقيمـــوا الـــدين ولا تتفرقوا فيه ([سورة الشـورى، الآيـة: 13] هـذه وصـية عامة) أن أقيمـــوا الـــدين ولا تتفرقـــوا فيه (كلمتـــان اشتملتا على الـدين الإسـلامي كله وعلى توجيه المجتمع الإسـلامي أن يقيم الـدين وأن لا يتفـرق فيه ومن ذلك قوله تعالى:) ولقد وصينا الذين أوتوا الكتـاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله (. [سورة النساء، الآية: 131].

لكن سـميت هـذه الوصـايا بالوصـايا العشر لأن الله تعالى جمعها في مكان واحد وكـان يختم كل وصـية منها أو كل آية منها بقوله تعالى :) ذلكم وصاكم به ([سورة الأنعام، الآية : 151].

إن الوصية هي العهد بالشيء عهداً مؤكداً، فكـأن الله تعالى عهد إلينا بهذه الأشـياء عهـداً مؤكـداً محتمـاً علينا فبدأ:-

بقوله عز وجل:) قل تعـالوا أتل ما حـرم ربكم عليكم (. [سورة الأنعام، الآية: 151] . والخطـاب هنا للرسـول صلى الله عليه وسـلم وأمـره الله تعـالى أن يقـول هـذا القـول للنـاس عمومـاً. وأمر الله عز وجل لرسـوله أن يقول للناس هـذا هو أمر خـاص وإلا فـإن الله تعـالى قد أمر نبيه على وجه عام أن يبلغ القرآن لكل الأمة.

) ما حـــرم ربكم عليكم (أي ما حـــرم ربكم عليكم مخالفته، فهذه الأشـياء الـتي سيوصي بها الله قد حـرم الله علينا مخالفتهـــا، فلابد أن نقـــوم بها على الوجه الأكمل وفي قوله تعـــالى:) ما حـــرم ربكم عليكم(ولم يقل : ما حـــرم الله لأن الـــرب هو الـــذي له التصـــرف المطلق في المربوب فالرب هو الـرب ويقابله العبد كما قـال الله تعـالى:) الحمد لله رب العـالمين (. [سـورة الفاتحـة، الآيـة:1] فوصف الله نفسه بأنه رب للعـالمين كلهم، والـرب هو الـذي يملك أن يتصـرف فيهم بما شـاء من الأمر الكوني والأمر الشرعي.

الوصية الأولى

) أن لا تشركوا به شيئاً (

أي أن لا تجعلوا معه شـريكاً والنهي عن الشـرك بالله يشمل ثلاثة أقسام: -

القسم الأول النهي عن الشرك به في ربوبيته.

القسم الثاني النهي عن الشرك به في ألوهيته.

القسم الثـــالث النهي عن الشـــرك به في أســـمائه وصفاته.

القسم الأول: الشرك في الربوبية:

من المعلوم أن الله عز وجل هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمـور) هل من خـالق غـير الله(. [سـورة فـاطر، الآية: 3] أبداً الخـالق هو الله وحـده ولهـذا حـرم الله عز وجل أن يخلق أحد مثله ولو بالصورة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في المصورين : انه يقال لهم : أحيوا ما خلقتم فلا يمكن أن يشـــــرك بالله في خلقه أو ملكه أو تدبيره فمن اعتقد أن لله تعالى مشـاركاً في الخلق فقد أشــرك بــه. لو قــال : إن هــذا بمقتضى الطبيعة وهــذا بمقتضى الزمن وهذا بكذا وكذا مما يضاف إلى غــير الله فإنه مشــرك بالله ومن العجب أن هــذا الشــرك أعــني الشــرك في الربوبية لا يــذهب إليــه، ولا الكفــار الــذين قــاتلهم النــبي صــلى الله عليه وســلم. الكفــار الــذين قاتلهم النبي عليه الصـلاة والسـلام هل كـانوا يشـركون في الربوبيــــة؟ الجــــواب: لا.) ولئن ســــألتهم من خلق الســــموات والأرض ليقــــولن خلقهن العزيز العليم (. [سورة الزخرف، الآية: 9] . ويقرون بأن الله هو الخالق ولكن يوجد في عهدنا هذا من يكابر وينكر الخالق ويدعي

والعيــاذ بالله أن هــذا الكــون ليس له مــدبر وليس له خــالق وإنما هي أشــياء تتفاعل ويتولد بعضــها من بعض وأرحام تدفع وأرض تبلع وليس هناك خـالق. ولكن عجبـاً لهؤلاء كيف ينكرون أن يكون للعالم خــالق وهم يعلمــون أنه لا يمكن أن يوجد الشيء بلا موجد هل يمكن أن يوجد الشيء بلا موجد؟ أبـداً لأنه إما أن يقـال : أوجد نفسه أو

وُجد بلا موجد والأول ممتنع لا يمكن أن يوجِد الشي نفسه لأنه قبل الوجـود كـان عـدماً والعـدم ليس بشـيء فضـــلاً عن أن يوجِد شـــيئاً ولا يمكن أن يوجَد بلا موجد ولهذا قـال الله عز وجـل: ﴿ أم خُلقـوا من غـير شـيء أم هم الخالقون ﴾. [سورة الطور، الآيـة: 35]. إذاً فلابد من موجد وهو الله عز وجل هو الذي أوجد هذا الكون وخلقه بقدرته ودبره بحكمته.

من الشـرك في الربوبية أن يحلف الإنسـان بغـير الله لكنه شـرك لا يخـرج من الملة إلا أن يعتقد الحـالف بـأن المحلوف به له من العظمة ما لله عز وجل فيكون شركاً أكبر وإلا فهو من الشرك الأصغر ودليل ذلك قول رسول الله صــلى الله عليه وســلم: " من حلف بغــير الله فقد كفر أو أشـرك " [1] وقـال عليه الصـلاة والسـلام : " من كـان حالفـاً فليحلف بالله أو ليصـمت " [2] لكن لو قـال القائل : ورســول اللــه. وحلف بالرســول عليه الصــلاة والسلام وقـال: إن رسـول الله هو أعظم الخلق فلمـاذا لا يجوز القسم به ؟

فالجواب: أن أعظم الخلق هو الـذي قـال: " من حلف بغـير الله فقد كفر أو أشـرك" [1] فيكـون الحلف بـالنبي من الشرك.

فإذا قال إنسان: إن بعض الناس يجـري على لسـانهم هـذا القسم يقـول : والنـبي بـدون قصد فـالجواب: أن نقـول : إذا كـان بغـير قصد فإنه يلزمه أن يطهر لسـانه منـه، وأن لا يعـود نفسه على هـذا القسم المحـرم حـتى يتخلص منه.

من الشرك بالربوبية أن يتخذ الإنسان أنداداً يشـرعون تشـريعات تخـالف شـرع اللـه، فيـوافقهم فيها مع علمه بمخالفتها للشـريعة، ولهـذا تـرجم الإمـام محمد بن عبد

---

(1) الترمذي: كتاب النذور والأيمان: باب في كراهية الحلف بغير الله: وقال: حديث حسن وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور.

(2) رواه البخاري: كتاب الشهادات: باب كيف يستحلف : ومسلم : كتاب الأيمــان : باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(1) تقدم تخريجه.

الوهــاب رحمه الله تــرجم على ذلك في كتــاب التوحيد بقوله : " بـاب من أطـاع العلمـاء والأمـراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أربابـاً" فـإذا وجد قوم يتبعـون القـوانين الوضـعية المخالفة للشـريعة الإسـلامية مع علمهم بمخالفتها للشــريعة فإننا نقــول: هــؤلاء قــوم مشــركون لأنهم اتخــذوا حاكمــاً يحكم بين الخلق غـــير الله عز وجل ومن المعلـــوم أن الحكم بين الخلق من مقتضـيات الربوبية فقد اتخـذوهم أربابــاً من دون الله ولهذا يروى من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قـال للرسـول صـلى الله عليه وسـلم في قوله تعالى:) اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـاً من دون الله والمســيح ابن مــريم (قــال : يا رســول الله إنا لســنا نعبــدهم قــال: " أليس يحلــون ما حــرم الله فتحلونه ويحرمـون ما أحل الله فتحرمونـه" قـال: نعم يا رسـول الله قـال: " فتلك عبـادتهم" [2] فجعل النــبي صـلى الله عليه وسلم هذا من الشـرك ولهـذا منع النـبي صـلى الله عليه وسلم من طاعة ولي الأمر في معصية الله منع من أن يطــاع أحد من الخلق في معصــية اللــه. فقــال عليه الصــلاة والســلام " إنما الطاعة في المعــروف" . فقد أرسل سرية وأمر عليهم رجلاً وقال لهم:أطيعوا أميركم فغضب عليهم الأمير ذات يوم وقال : اجمعـوا لي حطبـاً فجمعوا حطباً ثم قال : أوقدوها النار فأوقدوها النار ثم قال : ادخلـوا فيها . طـاعتهم في جمع الحطب صـحيحة، وطــاعتهم في إضــرام النــار صــحيحة. لكن لما قــال : ادخلوها توقفوا وقالوا : كيف نــدخل في النـار ونحن لم نــؤمن إلا فــراراً من النــار فـامتنعوا ولم يــدخلوها فلما رجعـوا إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وأخـبروه الخـبر قـال: " إنهم لو دخلـوا فيها ما خرجـوا منهـا، إنما الطاعة في المعروف "[1].

([2] الترمذي: كتاب التفسير : تفسير ابن كثير سورة التوبة آية :" 31 ".

([1] البخاري: كتاب الأحكام: باب السـمع والطاعـة. ومسـلم : كتـاب الإمـارة: بـاب وجوب طاعة الأمراء..

إذاً متابعة الكبراء في مخالفة شريعة الله من الشــرك بالربوبية لأن الحكم بين النــاس من مقتضــيات الربوبية والسلطان.

القسم الثاني: الشرك في الألوهية:

وهذا هو الذي يكـثر بين النـاس، وهو الـذي كـان عليه المشــركون في عهد الرســول عليه الصــلاة والســلام. فكيف يكون الشرك في الألوهية؟

يتخذ الإنسان مخلوقاً من المخلوقات يعبده ويتأله إليه كما يعبد الله عز وجل يســجد للصــنم يســجد للشــمس يسجد للقمر يسجد للقبر يسجد للكبير يسجد لأبيه يسجد لأمه.. وهكذا.

المهم أن يتعبد لمخلــوق، نقــول: هــذا شــرك في الألوهية لأنه اتخذ هذا المعبود إلهاً يعبده من دون الله.

ومن ذلك: هؤلاء الذين يذبحون القربـان للقبـور يـذبح عند القـبر قربانـاً ليتقـرب به إلى صـاحب القـبر يعظمه بالذبح كما يعظم الله تعالى بالذبح هذا أيضـاً من الشـرك الأكبر المخرج عن الملّة لأن الله يقول:) أن لا تشركوا

به شيئاً ([سورة الأنعام، الآية : 151]. وهـذا الشـرك هو الذي دعا النبي صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نبذه. ولما أبوا قاتلهم فاسـتحل دمـاءهم وسـبى ذريتهم وغنم أموالهم لأنهم مشركون.

هل تعلمــون أحــداً دعا إلى عبــادة نفسه من البشــر؟ نعم، فرعون دعا إلى عبادة نفسه وقال لقومـه:) يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غــيري ([ســورة القصص ، الآية :38] يقول ذلك وهو يكذب فهو يعلم أن هناك إلهــاً غيره، ولهذا قـال له موسى) لقد علمت ما أنـزل هـؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر([سورة الإســراء ، الآية : 102] ولم ينكر فرعون.

موسى كـان يخاطبه بهـذا ولم ينكر بل أقر وكـان هو وقومه يقرون بـذلك كما قـال تعـالى :)وجحـدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً (. [سورة النمل، الآية: 14].

القسم الثالث: الشرك في أسماء الله وصفاته:

الشـرك في أسـماء الله وصـفاته : أن يجعل الإنسـان لله مـثيلاً فيما وصف به نفسه كلنا نقـرأ) الـرحمن على العرش استوى(. [سورة طـه، الآيـة: 5]. والعـرش مخلـوق عظيم لا يعلم قـدره إلا الله جـاء في الحـديث: " أن السموات السبع والأرضـين السـبع بالنسـبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض. وإن فضل العـــــرش على الكرسي كفضل الفلاة على هـــــــذه الحلقة ". إذاً مخلوق عظيم اختصه الله عز وجل بالاستواء عليه.

هل أنت أيها الإنسـان تسـتوي على الفلـك؟ تسـتوي على البعير ؟

تسـتوي عليه اسـتمع) وجعل لكم من الفلك والأنعـام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم .. ([سورة الزخرف، الآيتان:12- 13].

وقال الله تعالى لنوح:) فـإذا اسـتويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الـــــذي نجانا من القـــــوم الظالمين(. [سورة المؤمنون: الآية: 28].

لو قـال قائـل: إن اسـتواء الله على عرشه كاسـتوائنا على الفلك أو على البعير، نقول : هذا مشـرك لأنه جعل صفة الخالق كصفة المخلوق فجعل لله تعالى شريكاً في الصـفة ولكننا نقـول: نحن نـؤمن بـأن الله اسـتوى على العـرش لكن بـدون تمثيل لا مثيل لاسـتوائه كما لا مثيل لذاته عز وجل وهكـــــذا بقية الصـــــفات. إذاً من أثبت الصفات مع التمثيل فهو مشـرك لأنه شـرك بين الخـالق والمخلوق في الصفة.

لكن ما تقولون فيمن نفى حقيقة الصفات هل يكـون ممثلاً؟ قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية : كل معطل ممثـل، كل من عطل فقد مثل.

الـذي ينكر الصـفات هو منكر وممثل قد يقـول قائل : كيف يكون منكراً وممثلاً لأن التمثيل إثبات والإنكار نفي وهل هذا إلا جمع بين النقيضين؟ نقـول : اسـتمع، لمـاذا عطل المعطل صفات الله؟ لأنه اعتقد أن إثباتها يستلزم

التمثيل قـــال: أنا لو أثبت الصـــفة إذاً أثبت التمثيل إذاً يجب أن أنكر حقيقة الصـــفة لأســـلم من التمثيل فمثل أولاً وعطل ثانياً.

الوصية الثانية:

ثم قال تعالى:) وبالوالدين إحساناً ([سورة الأنعـام، الآية: 151].

فجعل الله تعـــالى حق الوالـــدين بعد حقه ومن هما الوالــــدان؟ هما الأم والأب، وحق الأم آكد من حق الأب، ولهـذا سـئل الرسـول عليه الصـلاة والسـلام: " من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال النبي صلى الله عليه وســلم أمك. قـال : ثم من؟ قـال : أمـك. قـال : ثم من؟ قـال : أمك. قال : ثم من ؟ قال : أبوك"[1] وذلك لأن الأم تعاني من الولد أشد مما يعاني الأب. قال الله تعالى:) ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنـاً على وهن وفصـاله في عامين ([سورة لقمان، الآية: 14].

والإحسان إلى الوالدين يكون بـالقول ويكـون بالفعل ويكون بالمال. الإحسان بالقول أن يقول لهما قولاً لينـاً لطيفاً كريماً بحيث يناديهما منـاداة إجلال وتعظيم حـتى إن بعض العلمـاء قـال : يكـره أن ينـادي الإنسـان أبـاه باسمه مثلاً إن كان أبوك اسمه محمد لا تقـول : يا محمد قل : يا أبـتي، إبـراهيم عليه السـلام يقـول لأبيه وأبـوه كافر يقول له : يا أبتِ لم تعبد لأن هذا من باب الإكرام ، حـتى إذا بلغ الوالـدان سـناً كبـيراً يحصل منه شـيء من التعب فإن الله تعالى يقـول :) إما يبلغن عنـدك الكـبر أحـــــدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ([سورة الإسراء، الآية: 23].

بعض النـــاس إذا كـــبر الوالد عنـــده أو الأم مل منهما وصار ينهرهما وصـار يقـول لهما قـولاً خشـناً الله ينهى عن ذلك) فلا تقل لهما أف (معنى (أف) يعـني أتضـجر منكما) ولا تنهرهما (بالقول في الصراخ أو العتاب أو ما أشـبه ذلك) وقل لهما قـولاً كريمـاً (لينـاً لطيفـاً تقر به

---

[1] البخاري: كتاب الأدب. باب من أحق الناس بحسن الصحبة ،ومسلم: كتاب الـبر والصلة: باب بر الوالدين.

أعينهما. هذا الإحسان بالقول إننا نرى بعض النـاس يلين بقوله مع زوجته ولا يلين بقوله مع أمــه، وهــذا مشــاهد تجـده مع الزوجة يلين لها ويخضع لها ولا ينهرها لكنه مع أمه بالعكس بل مع أبيه إن تمكن وهـذا خلاف ما أمر الله به.

الإحسان بالفعل يكـون بالخدمة والقيـام بمصـالحهما. الخدمة البدنية إذا عجزا ساعدهما حـتى عند المنـام وعند القيـام وعند الجلـوس يجب على الإنسـان أن يقـوم بـبر الوالـــدين عند العجز فيعينهما بكل ما يحتاجـــان إليه من عون.

الإحسـان بالمـال يجب أن يحسن إليهما بالمـال بــأن يبذل لهما كل ما يحتاجان إليه من نفقـة، كسـوة طعـام، شراب، سكن إذا كان يقدر على هذا.

فصـار الإحسـان إلى الوالـدين يتضـمن ثلاثة أمـور : الإحسان بالقول، الإحسان بالفعل، والإحسان بالمال.

وبر الوالـدين أفضل من الجهـاد في سـبيل الله قـال ابن مسعود رضي الله عنه : سألت النبي صـلى الله عليه وسـلم : " أي العمل أحب إلى اللـه؟ قـال : الصـلاة على وقتها قلت : ثم أي؟ قــال: بِــرُّ الوالــدين. قلت : ثم أي قال : الجهاد في سبيل الله " [1]**.**

واعلم أن الــبر بالوالـــدين، كما هو واجب فـــإن الله تعالى يثيب البار في الدنيا قبل الآخرة، ولهذا نجد حسب ما علمنا بالسـماع والمشـاهدة، نجد أن الـذي يـبر والديه ييسر الله له أولاداً يبرونه وأن الذي لا يبر والديه يســلط عليه أولاده فيعقونه والعيــاذ باللـــه، إذاًعرفنا الوصـــية الثانية الإحسان بالوالدين.

فما ضد الإحســان؟ ضــده أمــران، إســاءة ، وموقف سلبي بين الإحسان والإساءة.

أما المسيء: فلا شك في أنه ارتكب كبـيرة من كبـائر الذنوب لأنه عاق وأما السلبي الذي لا يبر ولا يسيء فقد

---

(1) البخاري: كتاب المواقيت: باب فضل الصـلاة لوقتهـا. ومسـلم: كتـاب الإيمـان: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

تـــرك واجبـــاً مما أوجب الله عليه وهو الإحســـان إلى الوالدين قد يقول قائل : لماذا لم يذكر الله حق الرسول صـلى الله عليه وسـلم، ومن المعلـوم أن حق الرسـول مقـدم على حق الوالـدين بل مقـدم على النفس ولهـذا يجب أن يكـون رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أحب إليك حتى من نفسك وأبيك وأمك وابنك والناس أجمعين فإذا قال قائل: لماذا لم يذكر الله حق رسوله؟ فـالجواب أن حق الله متضمن لحق الرسول صلى الله عليه وسـلم ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسـول الله جعلهما ركنـاً واحـداً من أركان الإسلام فقال: " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسـول الله وإقـام الصـلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضـان وحج الـبيت" [1] فيكـون حق الرسول مقدماً على حق الوالدين، لأنه متضـمن في حق الله.

الوصية الثالثة:

ثم قال عز وجـل:) ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ([سورة الأنعام، الآية: 151].

الإملاق: يعـني الفقر و(من) هنا سـببية أي بسـبب الإملاق يعـني لا تقتلـوا أولادكم بسـبب الفقـر،)نحن نرزقكم وإيـاهم (،) وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ([سورة هـود، الآيـة: 6] هل أحد يقتل أولاده؟ لا لكن الجاهلية العميـاء كـانت تجعل الجـاهلين يقتلـون أولادهم وقتل الجاهلين لأولادهم له سببان: -

السـبب الأول: ما ذكـره الله هنا وهو الإملاق أي الفقر.

السبب الثاني: العار.

أما الأول الذي سـببه الفقر فكـانوا يقتلـون الـذكور والإنـاث: إذا جـاءه ولد وهو فقـير قـال : هـذا سـيثقل كاهلي في الإنفاق فيقتله والعياذ باللـه، أما الآخر الـذي

---

[1] البخاري: كتاب الإيمان: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " بـني الإسـلام على خمس : ومسلم / كتاب الإيمان : باب أركان الإسلام ودعائمه العظام.

سـببه العـار فهـؤلاء يقتلـون الإنـاث دون الـذكور.) وإذا بشر أحـــدهم بـــالأنثى ظل وجهه مســـوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ([سورة النحل، الآيتان:58- 59].

يقول الله عز وجـل:لا تقتلـوا أولادكم من الفقـر. إذاً يبقـــون ولو كـــان الأب فقـــيراً لأن رزقهم على الله عز وجل) وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (. فإن قتل ولده فهل يقتـل؟ لو أن رجلاً فقـيراً جـاءه ولد ذكر أو أنـــثى فقتله لأنه لا يجد ما ينفق عليه فهل يقتل الأب أو لا يقتل؟

قـــــــال بعض أهل العلم : إنه يقتل إذا علمنا أنه تعمد القتل يقتل لعموم قوله تعالى:) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصــاص في القتلى ([ســورة البقــرة، الآيــة: 178]. وقوله تعـالى:) وكتبنا عليهم فيها (أي على بـني إسرائيل في التوراة،) أن النفس بالنفس(وقول النــبي صــلى الله عليه وســـلم: " لا يحل دم امــرئ مســـلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الـزاني والنفس بـالنفس ، والتـارك لدينه المفارق للجماعة " [1].

قالوا : ولأن الرجل إذا قتل ولـده جمع بين عـدوانين : عـــدوان القطيعة وعـــدوان القتل فيقتل وهـــذا مـــذهب الإمام مالك رحمه الله.

لكن أكـثر أهل العلم يقولـون: إن الوالد إذا قتل ولـده لا يقتــل، واســتدلوا بحــديث مشــهور عند أهل العلم (لا يقتل والد بولده) [2] ولكن هذا الحـديث ضـعفه كثـير من العلمــاء وقــالوا أيضــاً : إن الوالد ســبب وجــود الولد فلا ينبغي أن يكــون الولد ســبباً في إعدامه ولكن لا شك أن هـذه العلة عليلة وذلك أن الأب سـبب في وجـود الولد لا شك لكن سـبب قتله هو عـدوان الأب وليس وجـود الابن

---

[1] البخاري: كتاب الـديات: بـاب قوله تعـالى:) أن النفس بـالنفس .. (ومسـلم : كتاب القسامة: باب ما يباح به دم المسلم.

[2] أخرجه الإمام أحمد ج 1 ص 49 / والترمذي: كتاب الديات : وابن ماجه : كتاب الديات.

حـتى نقـول : كيف يكـون وجـوده سـبباً في إعـدام من أوجده أو من كان سـبباً في وجـوده، على كل حـال هـذه المسألة موضع ذكرها ومناقشتها كتب الفقه لكن ذكـرت عرضاً عند حـديثنا عن قوله تعـالى:) ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم (. [سورة الأنعـام، الآيـة: 151].

وهنا نقف لننظر الفـــــرق بين هــــذه الآية وبين آية الإسراء) ولا تقتلـوا أولادكم خشـية إملاق نحن نـرزقهم وإيــاكم (. [ســورة الإســراء الآيــة: 31]. لمــاذا قــدم الوالــدين في ســورة الأنعــام وقــدم الأولاد في ســورة الإسراء ما هي الحكمة؟

يجب أن نعلم أن التعبــير القــرآني لابد أن يكــون فيه حكمة لا يمكن أن يختلف التعبــير إلا لســبب، في ســورة الأنعام قال:) ولا تقتلوا أولادكم من إملاق (إذاً فـالفقر موجود فبدأ بـرزق الفقـراء فقـال : نحن نـرزقكم. وفي سورة الإسراء الفقر غـير موجـود لكنه متخـوف) خشـية إملاق (فبدأ بذكر المحتاجين وهم الأولاد وهـذا من بلاغة القرآن.

الوصية الرابعة:

) ولا تقربـــــوا الفـــــواحش ما ظهر منها وما بطن ([سورة الأنعام، الآية: 151].

الفـــواحش: جمع فاحشـــة، والفاحشة كل ما أنكرته العقـــول واستفحشـــته واســـتكبرته واســـتعظمته من المعاصي فهو فاحشة ذكر الله ســـبحانه وتعـــالى في القرآن الكريم من المعاصي الفواحش عدداً:-

أولاً:) ولا تقربــوا الــزنى إنه كــان فاحشة ([ســورة الإسراء، الآية: 32].

ثانياً : نكاح زوجـات الآبـاء فقـال:) ولا تنكحـوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتـاً وساء سبيلاً ([سورة النساء، الآية: 22].

ثالثاً : قال لوط لقومه:) أتـأتون الفاحشة ما سـبقكم بها من أحد من العالمين ([سورة الأعـراف: الآيـة: 80]

ونقتصر على هـذه الفـواحش الثلاث. هـذه الفـواحش الثلاث لا شك أن كل ذي عقل سـليم يستفحشـها ويستعظمها مع أنها من كبـائر الـذنوب. فـالزنى فاحشة لأنه يفسد الأخلاق ويفسد الأنسـاب ويوجد الأمـراض ومصـداق هـذا ما ظهر في الآونة الأخـيرة من المـرض الخـبيث الـذي هو " فقد المناعـة" ويسـمى " بالإيـدز " . هذا سببه الزنى أو أكبر أسبابه الزنى. ولهـذا سـماه الله فاحشة وساء سبيلاً. لا يمكن أن يكون سـبيلاً للمسـلمين أبداً لأنه طريق فاسد مرد مهلك.

وتأمل هـذه الآيـات الثلاث الـتي ذكرناها ففي الـزنى قـال الله تعـالى:) إنه كـان فاحشة وسـاء سـبيلاً(وفي نكاح زوجات الآباء قـال:) إنه كـان فاحشة ومقتـاً وسـاء سبيلاً (وفي اللواط قـال لـوط عليه الصـلاة والسـلام : (أتـأتون الفاحشة) وكما قلنا آنفـاً : لا يمكن أن يختلف التعبـير القـرآني إلا لسـبب. في الـزنى قـال:) إنه كـان فاحشة(هـذه نكـرة. في فعلة قـوم لـوط عليه الصـلاة والسـلام قـال:) أتـأتون الفاحشة (هـذه معرفـة،) ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إنه كان فاحشة ومقتاً (فاحشة نكـرة لكن أضـاف إليها) ومقتـاً (أي مكروهـاً مبغوضاً عند الله وعند الخلق.

يتولد من هـذا السـؤال التـالي: أي هـذه الفـواحش أعظم؟

اللـواط أعظمها لأنه عرفها بـأل قـال :) الفاحشة (فكأنها فاحشة معهـودة عند كل ذي فطـرة سـليمة وعقل قويم فعرفت بـأل كأنها هي الفاحشة المشـهورة المعلومة الـتي ينكرها كل أحد ولهـذا كـان الفـرج الـذي استبيح بهذه الفعلة القبيحة لا يباح بأي حال من الأحوال وكانت على القـول الـراجح عقوبة اللـوطي الـذي يفعل اللـواط القتل بكل حـال يعـني إذا ثبت أن شخصـاً تلـوط بشـخص، وكـان المفعـول به غـير مكـره فإنه يجب قتل الاثنين جميعاً لقول النـبي صـلى الله عليه وسـلم: " من وجـدتموه يعمل عمل قـوم لـوط فـاقتلوا الفاعل

والمفعول به " [1] حتى وإن كانا لم يتزوجا ـ أي وإن كانا بكرين فإنه يجب قتلهما.

إذا قال قائل : أين الدليل؟ قلنا : الدليل هو هذا " من وجـــدتموه يعمل عمل قـــوم لـــوط فـــاقتلوا الفاعل والمفعول به " وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن الصــحابة رضي الله عنهم أجمعــوا على قتل الفاعل والمفعول به لكنهم اختلفوا كيف يقتلان فقال بعضـهم: يرجمان بالحجارة . وقـال بعضـهم: بل يرميـان من أعلى شــيء في البلد ويتبعـان بالحجـارة. وقـال آخـرون: بل يحرقـان بالنـار وذكر شـيخ الإسـلام ابن تيمية أن أبا بكر رضي الله عنه أمر بتحريقهما أي بتحريق الفاعل والمفعول به.

إذاً اللـــواط أشد من الـــزنى ، لأن عقوبته القتل بكل حـال، ولكن كيفية القتل اختلف فيها الصـحابة فـإذا رأى ولي الأمر أن يقتلهما على إحـدى الصـفات الـواردة فلا بـــأس، المهم أنه لا مكـــان لهما في المجتمع لأن بلية اللـــواط والعيـــاذ بالله بلية لا يمكن التحـــرز منها إذ إن الـذكور كلهم يخرجـون في الأسـواق ويمشـون جميعـاً ويأتون جميعاً ويذهبون جميعـاً فـالتحرز منها غـير ممكن فلهذا إذا عـوقب الفاعل والمفعـول به بالقتل كـان هـذا أقوى رادع عن هذه الفعلة التي تعتـبر من أقبح الفعـال، ونكاح زوجة الأب يقع في المرتبة الثانية لأن الله تعـالى وصفه بوصفين فقال :) إنه كان فاحشة ومقتـاً (ولهـذا ذهب بعض أهل العلم إلى أن الرجل إذا زنى بمحارمه وجب قتله بكل حال، يعني لو زنى الإنسان والعيــاذ بالله بأخته وجب أن يقتل بكل حــال، وإن زنى بابنته فكــذلك، وإن زنى بزوجة أبيه وجب قتله ولو لم يـتزوج يعـني ولو كان بكراً لأن هذا أعظم من الزنى بغـير ذوات المحـارم. وتلك ثلاثة أمثلة لـ "الفواحش ما ظهر منها وما بطن " .

قوله:) ما ظهر منها وما بطن (لها معنيان:-

---

[1] أبو داود: كتاب الحدود: (1456) وابن ماجه : كتاب الحدود: (2561) وأحمد ج 1 ص 300 والحاكم ج 4 ص 395 وقال: حديث صـحيح الإسـناد. ووافقه الـذهبي. وشرح السنة للبغوي ج 10 ص 308 والـبيهقي ج 8 ص 232 ونصب الرآية : ج 3 ص 339 –340.

المعنى الأول: ما ظهر منها بإظهـاركم ، وما بطن، ما بطن منها بإخفـائكم أي الفـواحش سـواء أظهرتموها أم أخفيتموها.

وقيل : المعــنى بل ما ظهر منهــا، أي ما كــان فحشه ظاهراً لكل أحد وما كان فحشه خفيـاً لا يظهر لكل أحـد. على كل حال الفواحش محرمة ما ظهر منها وما بطن.

الوصية الخامسة:

) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (. [سورة الأنعام، الآية: 151].

في قوله : (الـتي حـرم الله) دليل على أن النفـوس تنقسم إلى قسمين:-

1. **قسم لم يحــــرم الله قتلها.**
2. **قسم حــــرم الله قتلها.**

فما الذي حرم الله قتله من النفوس؟

هم أربعة أصــناف: المســلم ـــ الــذمي ـــ المعاهد ـــ والمستأمن.

هؤلاء أربعة، المسلم معصوم بإسلامه، والذمي بذمته، والمعاهد بعهده، والمستأمن بأمانه.

الذمي هو الذي جرى بينه وبين المســلمين عقد وعهد على أن يبقى في البلاد الإســلامية محترمــاً ولكن يبــذل الجزية دليل ذلك قوله تعالى:) قـاتلوا الـذين لا يؤمنـون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمـون ما حـرم الله ورسـوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطـوا الجزية عن يد وهم صــاغرون ([ســورة التوبــة، الآيــة: 29] . وإذا فعلـوا ذلك وجب علينا حمــايتهم وحــرم علينا الاعتـــداء عليهم لا في المــــال ولا في النفس ولا في العرض.

المعاهد هو الــذي عقد بينه وبين المســلمين عهــد، " ومثــال ذلك ما جــرى بين النــبي صــلى الله عليه وســلم

وبين قـــريش عـــام الحديبية في الســـنة السادسة من الهجرة في ذي القعدة " عاهدهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم عشر سـنوات، لكنهم نقضـوا العهـد.. المهم أنه جرى بينه وبينهم عهـد، فـإذا جـرى بين المسـلمين وبين غير المسـلمين عهد على عـدم الاعتـداء صـار هـذا العهد ملزماً ومانعاً من العدوان عليهم. والمستأمن يعني الذي أخذ أماناً منا ودليل ذلك قول الله تعـالى:) وإن أحد من المشـركين اسـتجارك فـأجره حـتى يسـمع كلام الله ثم أبلغه مأ منه([سورة التوبة، الآية: 6] . هـذه هي النفس التي حرم الله. فالله عز وجل قـال:) ولا تقتلـوا النفس التي حـرم الله (إذا قلنا : إن النفـوس الـتي حرمها الله أربع فمن بقي؟

بقي الكــافر الــذي ليس بيننا وبينه عهد ولا ذمة هــذا مهدر الدم ويجوز للإنسان أن يقتله حيثما وجده.

ثم قــال الله تعــالى :) إلا بــالحق (، فــإذا كــان قتل النفس بحق فلا مانع من قتلها، من الحقـوق الـتي تـبيح قتل النفس المحرمــة: منها القصــاص ومنها الــزنى إذا كـان الـزاني محصـناً ومنها على القـول الـراجح اللـواط فإنه مبيح للقتل، ومنها الـردة إذا ارتد الإنسـان عن دينه فإنه يدعى إلى دينه فإن أبى قتـل، وكـذلك الحرابة)إنما جـــزاء الـــذين يحـــاربون الله ورســـوله أن يقتلـــوا أو يصلبوا([سورة المائدة، الآية: 33] وهم الذين يعرضــون للناس بالطرق ويقتلونهم ويأخـذون أمـوالهم، المهم أن كلمة (بالحق) عامة تشمل كل ما أباح الشــارع قتله من النفوس المحرمة.

) ذلكم وصــاكم به لعلكم تعقلــون (. (ذلكم) المشــار إليه ما ســـبق وهن خمس وصـــايا وصـــانا الله بها لعلنا نعقل.

ما المراد بالعقل هنا؟

نحن نعلم أن العقل نوعان : عقل إدراك، وعقل رشد، فعقل الإدراك ما يدرك به الإنسـان الأشـياء، وهـذا الـذي يمر كثـيراً في شـروط العبـادات، يقـول : من شـرطها

الإسـلام والعقل والتميـيز، هـذا هو عقل الإدراك وضـده الجنون.

والثـاني عقل رشـد. بحيث يحسن الإنسـان التصـرف ويكون حكيماً في تصرفه وضد هذا السفه لا الجنون.

فالمراد بالعقل بهذه الآية، المراد عقل الرشد لأنه لم يوجه إلينا الخطـاب إلا ونحن نعقل عقل إدراك، لكن هل كـان من وجه إليه الخطـاب، يعقل عقل رشـد؟ لا قد لا يعقل عقل الرشـد، الكفـار كلهم غـير عقلاء عقل رشد كما قـال الله تعـالى في وصـفهم :) بكم عمي فهم لا يعقلون ([سورة البقرة، الآية: 171] لكن ليس معناه ليس عندهم عقل إدراك بل قد يكون عندهم عقل إدراك قوي وذكاء مفرط لكن ليس عندهم عقل رشد.

وما هو العقل النافع للإنسان؟

عقل الرشد لأن عقل الإدراك قد يكون ضرراً عليه إذا كـان ذكيـاً فاهمـاً ولكنه والعيـاذ بالله ليس عنـده حسن تصرف ولا رشد في تصرفه وقد يكون أعظم من إنسـان ذكاؤه دون ذلك وهنا نسأل عن مسألة كثر السـؤال عنها هل العقل في الدماغ أو العقل في القلب؟

قال بعض الناس في القلب وقـال بعض النـاس : في الدماغ، وكل منهم له دليل، الذين قـالوا : إنه في القلب قالوا : لأن الله تعالى يقـول:) أفلم يسـيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصـدور(. [سورة الحج، الآية: 46].

قال :) قلوب يعقلـون بها (ثم قـال:) تعمى القلـوب الـتي في الصـدور(. إذاً العقل في القلب، والقلب في الصدر فكان العقل في القلب.

وقال بعضهم : بل العقل في الـدماغ لأن الإنسـان إذا اختل دماغه اختل تصرفه ولأننا نشاهد في الزمن الأخير نشاهد الرجل يزال قلبه ويـزرع له قلب جديد ونجد عقله لا يختلف عقله وتفكـيره هو الأول. نجد إنسـاناً يـزرع له قلب شخص مجنون لا يحسن يتصرف، ويبقى هـذا الـذي

زرع فيه القلب عاقلاً فكيف يكون العقل في القلب؟ إذاً العقل في الـدماغ لأنه إذا اختل الـدماغ اختل التصـرف، اختل العقل.

ولكن بعض أهل العلم قـال: إن العقل في القلب ولا يمكن أن نحيد عما قال الله عز وجل لأن الله تعالى وهو الخالق وهو أعلم بمخلوقه من غيره كما قال تعالى:) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبـير (ولأن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال: " ألا وإن في الجسد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسد كله وإذا فسـدت فسد الجسد كلـه"[1]. فالعقل في القلب والقلب في الصـدر لكن الـدماغ يسـتقبل ويتصـور ثم يرسل هـذا التصـور إلى القلب، لينظر أوامره ثم ترجع الأوامر من القلب إلى الـدماغ ثم ينفذ الدماغ إذاً الدماغ بمنزلة السكرتير ينظم المعـاملات ويرتبها ثم يرسـلها إلى القلب، إلى المسـؤول الـذي فوقه هذا القلب يوقع، يمضي، أو يرد ثم يـدفع المعاملة إلى الدماغ والدماغ يأمر الأعصاب وتتمشى، وهذا القول هو الـذي تطمئن إليه النفس وهو الموافق للواقع وقد أشـار إليه شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمة الله في كتبـه، والإمام أحمد أشار إليه إشارة عامة فقـال : محل العقل القلب وله اتصـال بالـدماغ. لكن التفصـيل الأول واضح جداً الذي يقبل الأشياء ويتصـورها ويمحصـها هو الـدماغ ثم يرسل النتيجة إلى القلب ثم القلب يـأمر إما بالتنفيذ وإما بـالمنع لقـول الرسـول عليه الصـلاة والسـلام : إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.

الوصية السادسة:

ثم قال تعالى:) ولا تقربوا مـال اليـتيم إلا بـالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده (.[سورة الأنعام، الآية: 152].

اليتيم هو الذي مات أبوه قبل بلوغه سواء أكـان ذكـراً أو أنثي. ومن ماتت أمه قبل أن يبلغ فليس بيتيم.

هذا اليتيم له مال ورثه من أبيه ولابد أن يكون لليـتيم ولي يقـوم عليـه، إما بوصـية من أبيه وإما بتوليه من

---

[1] البخاري: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم : كتـاب المسـاقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

الحاكم وإما بتولية من الشارع على قول كثيرمن أهل العلم. المهم وليه يقول الله تعالى:) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن(.

قربان مال اليتيم له ثلاث درجات:

1. 1. أسوأ.

2. 2. أحسن.

3. 3. لا أحسن ولا أسوأ.

فالتصرف بما هو أسوأ في مال اليتيم حرام يعني: لو أنك أردت أن تشتري شيئاً بمال اليتيم وتعرف أن هذا الشيء سيخسر قطعاً ، فذلك حرام لأن هذا لا شك ضرر على اليتيم. وأما إذا تصرفت تصرفاً لا تدري هل هو أحسن أو ليس بأحسن. هذا أيضاً حرام لأن الله يقول:)ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن (.

أردت أن تتصرف فيه تصرفاً حسناً لكن أمامك شيئان، تصرف فيه خير وتصرف فيه خير أكثر، أيهما الواجب؟ الواجب الذي فيه الخير الأكثر لأن الله قال:) إلا بالتي هي أحسن (ولنضرب لهذا مثلاً : جاءك رجل يقول : أقرضني مال اليتيم. وهذا الرجل معروف بالمماطلة وأنه لا يكاد يخرج الحق منه، هل يجوز أن تقرضه؟ لا يجوز لأن في ذلك مغامرة ومخاطرة في مال اليتيم.

جاءك رجل آخر يقول : أقرضني مال اليتيم وهو رجل وفي، لكن إقراضه ليس فيه مصلحة لليتيم هل تقرضه؟ لا لأنه ليس فيه مصلحة.

جاءك رجل ثالث يقول : أقرضني مال اليتيم وأنت تخشى على هذا المال لو بقي عندك أن يسرق، فهل في إقراضه مصلحة؟

هذا الرجل الثالث وفي، ولو طلب منه المال في أي ساعة من ليل أو نهار أعطاه، وأنا أخشى إن بقي المال عندي أخشى عليه من عدوان أو سرقة أو غير ذلك فهنا إذا أقرضته، جائز لأن هذا هو الأحسن، إذاً يجب على ولي اليتيم المتولي لماله أن لا يتصرف إلا بالتي هي

أحسن، ومن هنا نأخذ قاعـدة، وهي أن كل ولي على كل شيء يجب عليه أن لا يتصرف إلا بما هو أحسن.

الإنســان لو تصــرف بشــيء لنفسه فهو حــر، لكن إذا تصرف بشيء لغيره وجب أن يتبع الأحســن، ومن ذلك ما لو تقدم إلى ابنتك رجلان يخطبانها، أحدهما صــاحب دين وخلــق، والثــاني دونه في الــدين والخلــق، فما الــواجب عليــك، أتــزوج الأول أو الثــاني؟ الــواجب أن تــزوج الأول لأن ذلك أحسن فـــإن صـــاحب الخلق والـــدين إن رضي البنت أمســكها بإحســان وإن فارقها فارقها بمعــروف ومن هنا نأخذ أيضاً أنه لا يجوز للأب أن يمنع تــزويج ابنته برجل تريــده، والأب لا يريــده إذا كـان صـاحب خلق ودين لأن هذا خلاف الإحسان بالنسـبة للتصـرف في حق البنت وكـــذلك أيضـــاً إذا أعطـــاك شـــخص زكاته لتفرقها على مستحقيها، ووجدت فقيراً ووجـدت شخصـاً آخر أشد منه فقراً فما الواجب عليك؟ الواجب أن تعطي الذي هو أشد فقراً لأن هذا أنفع لصاحب الزكاة وللمعطى أيضــاً. فكل من تصـرف لغـيره فـالواجب عليه أن يتبع ما هو أحسـن. قوله :

) حتى يبلغ أشده (. المراد بالأشد ، الرشد لأن القرآن يفسر بعضه بعضــاً قـال الله تعـالى :)وابتلـوا اليتـامى حتى إذا بلغوا النكـاح فـإن آنسـتم منهم رشـداً فـادفعوا إليهم أموالهم([سورة النساء، الآية: 6]. فإذا بلغ اليتيم وكان يحسن التصرف في المال وجب علينا أن ندفع إليه المال، ولهذا قال: " فادفعوا إليهم أموالهم"

لأنه الآن ليس لأحد حق في الولاية عليه.

الوصية السابعة:

) وأوفـوا الكيل والمـيزان بالقسط([سـورة الأنعـام، الآية: 152]

)أوفوا الكيل (إذا كلتم لأحد فـأوفوا الكيـل، إذا وزنتم لأحد فــأوفوا الــوزن يمكن أن نقــول: إن هــذا من بــاب ضــرب المثل وإن المــراد بإيفــاء الكيل والمــيزان إيفــاء الحقـــوق كلها يعـــني إذا كـــان عليكم حقـــوق فـــأوفوا

الحقـوق. إن كـانت كيلاً فـأوفوا الكيل وإن كـانت وزنـاً فأوفوا الوزن.

ولكننا نجد كثيراً من الناس على خلاف هذه الحــال إذا كـان الشــيء عليهم فرطـوا فيه وإذا كـان الشــيء لهم أفرطوا فيه وأضرب لهذا مثلين:-

المثل الأول: بعض النـاس يكـون عليه الطلب، الـدين، فيماطل مع قدرته على الوفـــاء. يأتيه صـــاحب الحق يا فلان أعطـني حقي، يقـول : غـداً ، أعطـني، بعد غد ولا سيما إذا كان الحق للدولة فإن كثيراً من النـاس يتهـاون به وذلك في مثل وفــاء صــندوق التنمية العقاريــة، لأننا نسمع أن كثيراً من الناس عندهم ما يوفون به الصـندوق ولكن يمــاطلون وقد قــال رســول الله صــلى الله عليه وسـلم: " مطل الغـني ظلم" [1] أي القـادر على الوفـاء. والظلم ظلمـات يـوم القيامـة، إذاً هـذا المطلـوب الـذي يماطل نقول : لم يوف الكيل لأنه لم يوف صــاحب الحق حقه.

المثال الثاني: عكس ذلك إذا كان للإنسان حق أراد أن يستوفيه كاملاً حتى إنه إذا كان له غـريم فقـير قـال إما أن توفيـــني وإما أن أرفعك إلى الجهـــات المســـؤولة فتحبس. فيضــطر هــذا الفقــير المــدين إلى أن يــذهب ويتدين فيتضاعف عليه الدين أضعافاً مضاعفة.

مثال آخر:-

هـؤلاء الكفلاء الـذين اسـتقدموا العمـال، يريـدون من العامل أن يقوم بالعمل كـاملاً ولكنهم لا يوفـون العامل أجرة عمله، حتى إن بعض العمال يتقدم يشكو يقول: أنا لي ثلاثة، أربعة أشهر عند كفيلي ما أعطاني شيئاً، وهـذا ظلم وجور، بل قد قال الرسول عليه الصلاة والسـلام: " قــال الله تعــالى ثلاثة أنا خصــمهم يــوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غــدر، ورجل بــاع حــرّاً فأكل ثمنــه، ورجل استأجر أجيراً فاســتوفى منه ولم يعطه حقه " [1] هـؤلاء

---

[1] البخاري: كتاب الحوالات: باب إذا أحال على ملي فليس له رد. ومسلم: كتــاب المساقاة: باب تحريم مطل الغني.

[1] البخاري: كتاب البيوع: باب إثم من باع حراً .

الـذين يتعـاملون مع النـاس هـذه المعاملة إذا كـان الحق لهم أخذوا به كـاملاً، وإذا كـان الحق عليهم فرطـوا فيـه. استمعوا إلى جـزائهم يـوم القيامـة، قـال الله تعـالى): ويل للمطففين . الـــذين إذا اكتــالوا على النـــاس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنـوهم يخسـرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثـون . ليـوم عظيم . يـوم يقـوم النـاس لرب العالمين([سورة المطففين، الآيات : 1-6].

ومن ذلك أيضـــاً أن بعض الأزواج يريد من الزوجة أن تقــوم بحقه كــاملاً ولكنه يماطلها بحقها تجــده يريد أن تقـــوم بكل خدمة الـــبيت على الوجه الأكمل ولكنه لا يعطيها حقها من النفقة حـتى الإنفـاق الـواجب عليه لا يقوم بـه، وهـذا يـدخل في المطففين الـذين إذا اكتـالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنـوهم يخسـرون وفي هـــذه الحـــال يجـــوز للمـــرأة إذا امتنع زوجها من إعطائها النفقة الكافية يجوز أن تأخذ من ماله بلا علمـه، هكذا أفتى به رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: " فـإن هند بنت عتبة جاءت تشكو زوجها إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وقــالت إنه رجل شـحيح لا يعطيــني ما يكفيني، وولدي بالمعروف، فقال النـبي صـلى الله عليه وسـلم : خـذي من ماله ما يكفيك ويكفي بنيـك" [(2)]، لأنه حق لها فــإذا بخل به فلها أن تأخذ من ماله بلا علمه كما أن من النســاء من تكـــون بـــالعكس تريد من زوجها أن يقـــوم بحقها كــاملاً ولكنها هي تنقصه حقـــه. هـــؤلاء داخلون في هذه الآية بالقياس الجلي الواضح.

) لا نكلف نفسـاً إلا وسـعها ([سـورة الأنعـام، الآية : 152].

ما أحسن هذه الجملة بعد الأمر بإيفاء الكيل والمـيزان بالقسط.

الإنسان يجب عليه أن يوفي الكيل والميزان بالقسط، لكن ربما يكون هناك تقصـير لم يحط به فهل يـأثم على ذلك؟

([2]) البخاري: كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم.

لا، ولهـذا قـال :) لا نكلف نفسـاً إلا وسـعها (وهـذه القاعدة ذكرها الله في عدة آيات فقال تعالى في سورة البقـرة:) لا يكلف الله نفسـاً إلا وسـعها لها ما كسـبت وعليها ما اكتسبت (. [سورة البقرة، الآية : 286]. وقال تعالى:) والذين آمنوا وعملـوا الصـالحات لا نكلف نفسـاً إلا وسعها(. [سورة الأعراف، الآية: 42]. وهـذا من كـرم الله عز وجل أن الإنسـان لا يكلف من دين الله إلا ما يطيق، وهو داخل في عموم قوله تعـالى:) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر(وقـول النـبي صـلى الله عليه وسلم: " إن الدين يسر"[1] وقوله صـلى الله عليه وسـلم "وهو يبعث البعوث فقد بعث أبا موسى الأشعري ومعـاذ بن جبل إلى اليمن وقـال : يسـرا ولا تعسـرا وبشـرا ولا تنفرا " [2]، فالله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسـعها في جميع الأوامر فما لم تستطع فانتقل إلى بدله إن كان له بـدل وإذا عجـزت عن البـدل سـقط عنك واسـتمعوا إلى القصة الـتي وقعت من رجل جـاء إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم " فقـال : يا رسـول الله هلكت، قـال ما أهلكـك؟ قـال : وقعت على امـرأتي في رمضـان وأنا صائم، فسأله النبي عليه الصلاة والسلام هل تجد رقبـة؟ قـال : لا ، قـال : هل تسـتطيع أن تصـوم شـهرين متتابعين؟ قال : لا، قال :

هل تجد إطعـام سـتين مسـكيناً ؟ قـال : لا، ثم جلس الرجل فجيء بتمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خذ هذا فتصدق بـه، قـال الرجل : أعلى أفقر مـني يا رسـول اللـه، والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر مني، فضحك النبي صـلى الله عليه وسـلم ثم قـال:أطعمه أهلك " [1]. فأسـقط عنه الكفـارة بعجـزه عنها مع أنها كفـارة، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

الوصية الثامنة والتاسعة:-

---

[1] البخاري: الإيمان: باب الدين يسر(39).

[2] البخاري: كتاب الجهاد: باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب.

[1] البخاري: كتاب الصوم : باب إذا جامع في رمضـان ولم يكن له شـيء فتصـدق عليه فليكفر ومسلم: كتاب الصيام : باب تغليظ الجماع في نهار رمضان.

) وإذا قلتم فاعــــدلوا ولو كـــان ذا قـــربى وبعهد الله أوفوا ([سورة الأنعام، الآية: 152].

فالواجب على العبد إذا قـال قـولاً أن يعـدل في قوله ومن باب أولى وأحـرى إذا فعل فعلاً أن يعـدل في فعله حتى لو كان مع ذي قربى .

لو أن أبـــاك وهو من أقـــرب النـــاس إليك أخطأ على شخص هل تقول لأبيك : إنك أخطـأت؟ الجـواب نعم هـذا هو العدل: " وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى".

لو أن صديقك أخطأ هل تقول : أخطأت؟ نعم لأن الله يقول: " وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى " .

قوله:) وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به (.

العهـد: هو الميثـاق، وعهد الله سـبحانه وتعـالى على الإنسان هو أنه عز وجل أمره ونهـاه. وتكفل له سـبحانه وتعالى أنه إذا قام بهذه الأوامر والنـواهي أنه يثيبه على ذلك كما قـــال الله تعــالى:) ولقد أخذ الله ميثــاق بـــني إســرائيل وبعثنا منهم اثــني عشر نقيبــاً وقــال الله إني معكم لئن أقمتم الصــلاة وآتيتم الزكــاة وآمنتم برســلي وعزرتموهم وأقرضـتم الله قرضـاً حسـناً لأكفـرن عنكم ســـــــيئاتكم ولأدخلنكم جنـــــــات تجـــــــري من تحتها الأنهار([سورة المائدة، الآية: 12] وقال تعالى في هــذه الأمة:) يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجــارة تنجيكم من عـذاب أليم . تؤمنـون بالله ورسـوله وتجاهـدون في ســبيل الله بــأموالكم وأنفســكم ذلكم خــير لكم إن كنتم تعلمــون.يغفر لكم ذنــوبكم ويــدخلكم جنــات تجــري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنـات عـدن ذلك الفـوز العظيم (. [سـورة الصـف، الآيـات: 10-12]. فهـذا عهد من الله لمن آمن وجاهد في ســــــبيل الله أن يغفر له ذنوبه ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقال تعالى في بني إسرائيل:) وأوفـوا بعهـدي أوف بعهدكم ([سورة البقرة، الآية: 40] .

فـــأنت الآن قد عاهـــدت الله عز وجل على القيـــام بطاعته فأوف بهذا العهد.

الوصية العاشرة:

) وأن هـذا صـرا طي مسـتقيماً فـاتبعوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (. [سـورة الأنعـام، الآيـة: 153].

وهذه هي الوصـية العاشـرة، وهي جامعة لكل الشـرع فيقول : هذا صـراطي مسـتقيماً فـاتبعوه، وصـراط الله تعـالى هو دينه الـذي أرسل به رسـله ودين محمد صـلى الله عليه وسلم هو آخر الأديـان، فيجب على كل أحد من الناس أن يتبع هـذا الـدين وأن لا يتبع السـبل فتفـرق به عن سـبيل الله ويضل ويهلك وقد حـذر النـبي صـلى الله عليه وسلم من التفرق واتباع السبل ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده، ثم قال : " هذا سبيل الله مستقيماً" وخط عن يمينه وشـماله ثم قـال: " هـذه السـبل ليس منها سـبيل إلا عليه شـيطان يـدعو إليـه" ، ثم قـرأ) وأن هـذا صـراطي مسـتقيماً فـاتبعوه ولا تتبعـوا السـبل فتفـرق بكم عن سـبيله ([1]. وفي الآية وحد الله تعالى سبيله لأن الحق واحـد، ولهـذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها وكثرتها.

أسأل الله تعالى أن يجعلـني وإيـاكم ممن أوفى بعهد الله وممن قـام بطاعتـه، وأسـأل الله لي ولكم القبـول والتوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مجموع فتاوى و رسائل - 7	العقيدة وأثرها في انتصار المسلمين	محمد بن صالح العثيمين

المقدمة

إن الحمد لله نحمـده ونسـتغفره ونتـوب إليـه، ونعـوذ بالله من شرور أنفسـنا ومن سـيئات أعمالنـا، من يهـده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد أن لا

---

[1] أخرجه الإمـام أحمد (4142) وابن ماجه (المقدمـة) بـاب: اتبـاع السـنة، والدارمي (206) والبغوي في "شرح السنة " جـ1ص 196 ، والحـاكم جـ2 ص 318 وصححه ووافقه الذهبي. وصححه أحمد شاكر.

إله إلا الله وحده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله، أرسـله الله تعـالى بالهـدى ودين الحـق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانـة، ونصح الأمـة، وجاهد في الله حق جهـاده حـتى أتـاه اليقين، وتـرك أمته على محجة بيضـاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصـحابه ومن تبعهم بإحسـان إلى يـوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

) يا أيها الذين آمنوا اتقـوا الله وقولـوا قـولاً سـديداً . يصـلح لكم أعمـالكم ويغفر لكم ذنـوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ([1].

) يا أيها النـاس اتقـوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثـيراً ونسـاء واتقـوا الله الـذي تسـاءلون به والأرحـام إن الله كـان عليكم رقيباً ([2].

أيها الإخـوة الكـرام، يسـرني أن ألتقي بكم، في هـذه الليلة لأتحـدث عن أمر مهم يتعلق بجنـود الـرحمن وذلك أن موضـوع الجيش والقيـادة العسـكرية موضـوع مهم وليس بـالأمر الهين، فـإن الإنسـان في الواقع يرصد نفسه للقتل والمقاتلة إنه يرصد نفسه الـتي هي أغلى ما يملك من الحياة الـدنيا لأجل أن يقـوم بالقتـال وربما يقتل، هـذا الجنـدي الـذي رصد نفسه لهـذا الأمر العظيم إما أن يقتل قتلة جاهليـة، وإما أن يقتل شـهيداً في سبيل الله ينـال منزلة الشـهداء الـذين أخـبر النـبي عليه الصلاة والسلام : " أن أرواحهم تكون في أجواف طـير خضر تسرح في الجنة حيث شـاءت ثم تـأوي إلى قناديل معلقة بالعرش" [1] لأن هؤلاء الذين خـرجت أرواحهم من أجسامهم في سبيل الله أبـدلهم الله أجسـاماً خـير منها في جنات النعيم فأهل الجنة من المؤمنين غير الشـهداء في سـبيل الله لا يحصل لهم هـذا الفضل أي لا تكـون

([1] الأحزاب: 70، 71.

([2] النساء: 1.

([1] أخرجه مسلم : كتاب الإمارة.

أرواحهم في أجواف طير خضر تــأوي إلى قناديل معلقة تحت العــرش وإذا كــان هــذا الأمر هو مــآل الشــهيد في ســبيل الله فإنه لابد لنا أن نعــرف من هو الشــهيد في ســبيل الله هل كل من قتل في حــرب فهو شــهيد في سبيل الله؟ هل من دافع عن هدف هو في سبيل الله؟.

لا، لقد ســئل الرســول صــلى الله عليه وســلم " عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل لــيرى مكانه أي ذلك في سبيل الله؟ فقــال الرســول صــلى الله عليه وســـلم : من قاتل لتكـــون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" [2]هذا هو الميزان الحقيقي الــذي يجب علينا أن نـــــزن به كل مقاتلة يتلبس بها المـــــرء ويواجه بها أعداءه، إذا كان هذا المقاتل يقاتل لتكــون كلمة الله هي العليا لا لأن يكون هو الظاهر أو هو العالي، ولكن ليكون الظــاهر دين الله ولتكــون كلمة الله هي العليا فهــذا هو الــذي يقاتل في ســبيل الله وهــذا هو الــذي إذا قتل فهو شهيد، هذا هو الشــهيد حقــاً الــذي ينــال درجة الشــهداء، ومع ذلك فإنه لا يجـــوز لنا أن نشـــهد لشـــخص بعينه أنه شهيد حتى لو قتل مظلومــاً، أو قتل وهو يــدافع عن حق فإنه لا يجوز أن نقول : فلان شهيد وهذا خلافــاً لما عليه كثير من الناس اليوم حيث أرخصوا هذه الشهادة وجعلوا كل من قتل حــتى ولو كــان مقتــولاً في عصــبية جاهلية يسمونه شــهيداً وهــذا حــرام، لأن قولك عن شــخص قتل إنه شهيد يعتــبر شــهادة ســوف تســأل عنها يــوم القيامة سوف يقــال لك : هل عنــدك علم أنه قتل شــهيداً ولهــذا لما قــال النــبي عليه الصــلاة والســلام: " ما من مكلــوم يكلم في ســبيل الله والله أعلم بمن يكلم في ســبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب أو قال : وكلمه يثعب دمــاً اللــون لــون الــدم والــريح ريح المســك" [1] فتأمل قــول النبي عليه الصــلاة والســلام: " والله أعلم بمن يكلم في

([2] البخاري: كتاب العلم: باب من سـأل وهو قـائم عالمـاً جالسـاً، ومسـلم: كتـاب الإمارة: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

([1] البخاري: كتاب الذبائح: باب المسك، ومسلم: كتاب الإمارة: بـاب فضل الجهـاد والخروج في سبيل الله تعالى.

سبيله" أي بمن يجرح فإن بعض النـاس قد يكـون ظـاهر أمـــره أنه يقاتل لتكـــون كلمة الله هي العليا ولكن الله يعلم ما في قلبه وأنه خلاف ما يظهر من فعلــه، ولهــذا بوب البخاري رحمه الله علي هـذه المسـألة في صـحيحه فقال: " باب لا يقـال : فلان شـهيد" لأن مـدار الشـهادة على ما في القلب ولا يعلم ما في القلب إلا علام الغيوب جل وعلا.

أيها الإخــــوة: إن أمر النية أمر عظيم وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السـماء والأرض وذلك من أجل النية ألم يبلغكم أن النبي صــلى الله عليه وسلم قال: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما

نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هـــــاجر إليـــــه" [1] العمل واحد والمظهر واحد وهي الهجرة، لكن بين هذين المهــاجرين كما بين السـماء والأرض لاختلاف النيــة، لأن النية عليها مدار عظيم فعلينا أن نخلص النية لله من الأسـاس نتعلم أساليب الحرب لأجل أن نقاتل حماية لــدين الله عز وجل وإعلاءً لكلمته وثقــوا بأنه مــادامت هــذه النية هي النية التي ينويها المقاتل مع صلاح عمله واستقامة حاله فـإن الله تعالى سـوف يكتب له النصر فـإذا نصر الإنسـان ربه فإن الله قد ضمن له النصر كما قال الله تعالى:) يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ([2].

وهنا مثلان يجب أن نأخذ منهما عبرة:

المثل الأول: في اعتمــاد الإنسـان على نفسه وقوته فإنه مـتى اعتمد الإنسـان على نفسه وقوته خـذل مهما كـــان انظـــروا إلى ما وقع من المســـلمين في غــــزوة الطـائف " غــزوة حــنين " خــرج الرسـول عليه الصـلاة والسلام باثني عشر ألفـاً الـذين فتحـوا مكة وألفـان من

---

[1] البخاري: كتاب بدء الوحي: باب كيف بدأ الـوحي إلى الرسـول صـلى الله عليه وسـلم، وفي الإيمـان بـاب 42: وفي العتق بـاب 6 وذكر في غـير هـذه الأبـواب : ومسلم : كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنية .

[2] محمد آية : 7.

أهل مكة خرجـوا إلى ثقيف وهـوازن فقـالوا: " لن نغلب اليــوم من قلة [3]"، أعجبــوا بكــثرتهم وأنهم لن يغلبــوا بســـبب الكـــثرة فمـــاذا حصل ؟ هزمــــوا بثلاثة آلاف وخمسمائة نفر ولهذا ذكرهم الله عز وجل

بهذه الحال حيث قال:) لقد نصـركم الله في مـواطن كثــيرة ويــوم حــنين إذ أعجبتكم كــثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنـــوداً لم تروها وعـــذب الـــذين كفـــروا وذلك جـــزاء الكــافرين([1] لما علم المســلمون أن الكــثرة لن تغــني شــيئاً واســتقر ذلك في نفوســهم تراجعـوا ثم جعل الله لهم النصر في آخر الأمر، إذاً يجب علينا أن نعتقد أننا ما أوتينا من قـــوة في العـــدد أو العـــدد يجب أن نعتقد أنه سبب من الأسباب وأن الأمر بيد الله عز وجل وأن من لا ينصره الله فلا ناصر له حتى لا نعتمد على القـوة وحـتى لا نركن إلى الدعة والسكون، لأن الإنسان إذا اعتمد على قوته والكـــثرة في العـــدد والعـــدد فإنه لن ينشط على القتـــال، ولن ينشط على الأهبة والاســتعداد، لأنه يــرى نفسه غالباً بسبب ما عنـده من الكـثرة ولهـذا يجب علينا أن نكون دائماً معتصمين بالله مستعينين به.

المثل الثــاني: في غــزوة أحد [2] كــان النصر في أول الأمر للنبي عليه الصلاة والســلام وأصـحابه، ولكن حصل منهم معصـية واحـدة وهي مخالفة الرمـاة جعلهم النـبي صلى الله عليه وسلم، في ثغر من الجبل وقال لهم: " لا تـــبرحوا مكـــانكم " لكن القـــوم لما رأوا أن المســـلمين هزمــوا الكفــار ظنــوا أن لا رجعة للكــافرين فتقــدموا يقولـــون : الغنيمـــة، الغنيمة فمـــاذا حصـــل؟ حصل أن استشـهد من المؤمـنين سـبعون رجلاً ، وجـرح الرسـول صـــلى الله عليه وســـلم في وجنته وكســـرت رباعيته وأغمي عليـــه، وحصل ما حصل من التعب والمشـــقة

---

(3) تفسير الطبري جـ 9 ص 99 سورة التوبة: وابن كثـير جـــ 2 ص 152 : والبدآية : والنهآية : جـ 4 ص 344 .

(1) التوبة: 25-26.

(2) البدآية : والنهآية : جـ 4 ص 10.

والجـراح ولكن لله تعـالى الحكمة في ذلـك، ذكـرهم الله بهـذا في قولـه:) حـتى إذا فشـلتم وتنـازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبـون منكم من يريد الـدنيا ومنكم من يريد الآخـرة ثم صـرفكم عنهم ليبتليكم (لعل قـائلاً يقـول: أين جـواب الشـرط:) حـتى إذا فشـلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبـون ([1] **ألا تترقبون شيئاً يأتي بعد هـذه الجملـة؟ بلى نـترقب شيئاً أين هذا الشيء ؟ هذا الشيء حذف ليـذهب الـذهن كل مذهب في تقـديره، يعـني حصل ما تكرهـون وحصل كـذا وكـذا، مما يمكن الـذهن أن يقـدره من خلال ما وقع في هذه الغزوة.**

أيها الإخـوة: إذا كـان الأمر كـذلك في جند من خـير القرون، فإن خير قرون بني آدم: هم الصحابة رضي الله عنهم وحصل أيضـاً مع خـير رسـول أرسـله الله عز وجل إلى أهل الأرض بمعصـية واحـدة فما بـالكم إذا كـانت المعاصي كثـيرة؟ إننا إذا أملنا النصر مع كـثرة المعاصي فما هي إلا أمنية مبنية على غـير حقيقـة، لابد أن نطهر أنفسنا أولاً، وأن نرجع إلى الله عز وجل وأن نعمل عملاً صالحاً حتى نستحق النصر يقول الله سـبحانه وتعـالى:) ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (.

فمن الـذين ينصـرون الله) الـذين إن مكنـاهم في الأرض أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكـاة وأمـروا بـالمعروف ونهـوا عن المنكر([2] **اسـتقاموا في أنفسـهم وحـاولوا إقامة غـيرهم، أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكـاة، وأمـروا بـالمعروف ونهـوا عن المنكـر، فإقامة الصـلاة، وإيتـاء الزكاة استقامة لأنفسهم، والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر فيها محاولة إصلاح غيرهم، فهل هذا موجـود الآن في أكثر الجيوش الإسلامية؟.**

الجواب نقولها : وهي مرة لكن ما وافق الحقيقة فهو حلو نقول : هذا غير موجود إلا أن يشاء الله.

([1]) آل عمران: 152.

([2]) الحج: 40 - 41.

كيف كانت حال الرسـول عليه الصـلاة والسـلام حينما دخل مكة فاتحـــاً مظفـــراً منصـــوراً كـــان عليه الصـــلاة والسلام خاضعاً الرأس يـردد قوله تعـالى:) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ([1] يـردد كلام الله لا يـردد أنشـودة ولا أغنية ولم يصحب أحداً يغني معــه، فيجب علينا مع الإخلاص أن نستقيم في أمرنا) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ([2]فلا لابد من الاستقامة ولا يكفي أن نقــول: ربي الله ولا أن تؤمن. ولهذا يقدم الله العمل أحياناً على الإيمـان) من عمل صـالحاً من ذكر أو أنـثى وهو مـؤمن فلنحيينه حيـاة طيبة ([3]. فقـدم العمــل، وبين أن أسـاس العمل الإيمان ، وقال عز وجل مقدم الإيمان أحيانــاً) والعصر . إن الإنســـان لفي خسر . إلا الـــذين آمنـــوا وعملـــوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ([4].

أيها الإخـــوة: إن إخلاص النية أمر مهم لا تقاتل لأجل وطنك ولا تقاتل لأجل قومــك، ولا تقاتل لأي أحد ســوى وجه الله عز وجل حـتى تنتصر وحـتى تنـال الشـهادة إن قتلت، حــتى ترجع بإحــدى الحســنيين إما الشــهادة وإما الظفر والسعادة إن الإنسـان الـذي يقاتل لغـير الله فقد باء بالفشل وخسر الـدنيا والآخـرة، إن القتـال لغـير الله سبحانه وتعالى غير مجدٍ شيئاً من أزمنة طويلة وظهـرت دعـــوى الجاهلية دعـــوى القومية فمـــاذا أنتجت هـــذه القوميـــة؟ أنتجت تفريق المســـلمين، وانضـــمام غـــير المسلمين إلى المسـلمين بـدعوى هـذه القوميـة، بل إن القومية في حد ذاتها لم تجتمع ولا على قوميتها إننا نرى هؤلاء القوم ربما يقاتل بعضـهم بعضـاً، وربما يعين بعضـهم على الآخر عـدوه؟ لو كـانت الراية راية الإسـلام والقتال للإسلام لانضم إلينا أعـداد هائلة من المسـلمين الذين نعلم أن عندهم من تحقيق الإيمان والعمل الصالح ما يفـوق كثـيراً من النـاس، ولهـذا من الممكن أن ينظر الإنسان في أمره ويفكر هل هو على نية سليمة أو على

([1]) سورة الفتح، الآية :: 1.

([2]) سورة فصلت، الآية :: 30.

([3]) سورة النحل، الآية :: 97.

([4]) سورة العصر، الآيات: 1-3.

نية غـير سـليمة ، إذا كـان على نية سـليمة فليحمد الله ويسـتمر ، وإذا كـان على نية غـير سـليمة فليعد فـإن الرجـوع إلى الحق فضـيلة، والرجـوع إلى الحق خـير من التمـادي في الباطـل، فالقتـال لأجل إعلاء كلمة الله هو الذي ينـال به الإنسـان إحـدى الحسـنيين إما الظفر وإما الشهادة.

أيها الإخـــوة : قلت : إن الإنســـان لا يقاتل من أجل وطنه ولكن أقـــول ذلك إذا كـــان يريد أن يقاتل لأجل الـوطن فقط من حيث هو وطنـه، أما إذا أراد أن يقاتل دفاعاً عن الـوطن لأنه وطن إسـلامي فحينئذ تكـون نيته سـليمة ويكـون قتاله لتكـون كلمة الله هي العليا لأنه يقول: أنا لا أقاتل لأجل وطني من حيث إنه التراب الذي عشت فوقه، ولكن لأنه وطن إسـلامي يشـتمل على أمة إسلامية يجب علي أن أدافع عنه، وبهذا تكون نية سـليمة لكن يجب أن يركز الإنسان على أن أصل ذلك هو القتـال لأجل دين الله، وإذا تأملنا قول الله عز وجل:

﴿ هو الذي أرسل رسـوله بالهـدى ودين الحق ليظهـره على الـدين كله ﴾ [1] تـبين لنا أن الـذي يظهر إنما هو الـدين، فمن قـام بهـذا الـدين فإنه سـوف يظهر على عدوه، لأن كل من تمسك بالدين فإنه لابد أن يظهر على غـيره من الـذين تمسـكوا بـدين سـواه ولقد قـدم أبو سفيان إلى الشام قبل أن يسلم فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة في جماعة له للتجارة فسـمع بهم هرقل ملك الروم وكان قد سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم ودعاهم إلى مقره ليسألهم عن حـال هـذا النبي فسـألهم أسـئلة ذكرها البخـاري في صـحيحه فلما أجابه أبو سفيان بما أجابه قـال له أي هرقل : [إن كـان ما تقول حقاً فسيملك ما تحت قدمي [2]، هاتين]. تصور هـذا الملك في ذلك الـوقت ملك ذو سـلطان على دولة تعتبر من أقوى الدول في ذلك الزمـان الفـرس والـروم

---

[1] سورة الصف: 9.

[2] البخاري : كتاب بدء الوحي ، ومسلم : كتاب الجهاد والسير: بـاب كتـاب النـبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل.

[3] سورة الكهف : 71 .

أقــوي دولــتين في ذلك الزمــان في آســيا ، هــذا الملك يقول : إن كـان ما تقـول حقّـاً فسـيملك ما تحت قـدمي هاتين من يتصور أن هذا الرجل بهـذه المكانة يقـول عن محمد صـلى الله عليه وسـلم الـذي لم يسـتطع أن يرجع إلى مسـقط رأسـه؟ لكن الرجل عـرف أن من هـذا دينه فسيملك أقطـار الـدنيا، فلما خـرج أبو سـفيان مع قومه قـــال لهم: " لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصـفر" ومعـنى" أمر أمـر" أي عظم كما في قوله تعالى:) لقد جئت شيئاً إمراً([3]. يعني جئت شيئاً عظيماً أمر أمره أي عظم أمره الذي يخافه هذا الملك فهل كـان ما توقعه ملك الروم والجواب نعم إن النبي صلى الله

عليه وسلم ملك ما تحت قدميه لكنه لم يملكه بشخصه في حياته بل ملكته دعوته ملكته أمته الذين دعوا بدعوته وأصـلحوا النـاس برسـالته حـتى ملكـوا مشـارق الأرض ومغاربها وإني والله واثق كل الثقة أن لو رجعنا إلى ما كان عليه أسـلافنا من صـدق المعاملة مع الله ومع عبـاد الله ليمكنن الله لنا في الأرض وأننا ما خذلنا إلا بأسـباب ما نحن عليه من المخالفات في الواجبـات والوقـوع في المحرمات ليشمل ذلك الذكور والإنـاث، الصـغير والكبـير إلا من عصم الله ولكن العـــبرة بالأمة لا بـــالفرد الواحد فــإن النــاس إذا رأوا المنكر فلم يغــيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب.

أيها الإخــوة: إني أدعو نفســي، وإيــاكم إلى الإخلاص في القول، والعمل، والقصـد، كما أدعو نفسـي، وإيـاكم إلى إصــــلاح الأمر إلى الأمر بــــالمعروف والنهي عن المنكر، وإلزام من لنا عليه ولاية بشـريعة اللـه. لا يكفي أن تصـــلح نفسك ولكن لابد من إصـــلاح غـــيرك يقـــول الرسـول صـلى الله عليه وسـلم: " من رأى منكم منكـراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فـإن لم يسـتطع فبقلبه" [1] فالله الله في إخلاص النيـة، وإصـلاح العمـل، والاستقامة على دين الله عز وجل، وأن نكـون دائمـاً مع الله سبحانه وتعالى في ذكر الله لنكون من أولي الألباب

([1]) مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ولتخل بنفسك قليلاً وذكرها ما هي الحياة الدنيا؟ ما فائدتها؟ ما نتيجتها ؟ ما مآلها؟ انظر إلى من حولك هل أحد خلد؟ هل أحد خلدت له رفاهيته ونضارة عيشه؟ وربما يسلب وربما يسلب المال، وربما يسلب الأهل ، ربما يسلب الصحة ما أكثر الذين عندهم أموال طائلة وبنون وأهل ولكن صحتهم مسلوبة والدنيا عليهم أضيق فكر في نفسك لماذا خلقت؟ لماذا أوجدت؟ إلى أي شيء مصيرك حتى يحدوك هذا الأمر إلى الإقبال إلى الله عز وجل والإنابة إليه والإخلاص، والعمل الصالح، حتى تكون مع الركب السابقين) الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ([1].

أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مجموع فتاوى و رسائل - 7	المتابعة وقبول العمل	محمد بن صالح العثيمين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ([1]) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً([2].

([1] النساء: 69.

([1] سورة آل عمران، الآية : 102.

([2] سورة النساء، الآية : 1.

) يا أيها الذين آمنوا اتقـوا الله وقولـوا قـولاً سـديداً . يصــلح لكم أعمــالكم ويغفر لكم ذنــوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ([3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهـدي هـدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمـور محـدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضـــلالة وكل ضـــلالة في النــــار، أيها المؤمنون إنه يسرني في هذه الليلة أن يكون اللقاء بكم في بيت من بيـــوت الله عز وجل ولا ريب أن أهل العلم يـؤدون ما وجب عليهم في مثل هـذه اللقـاءات ولكـني أحببت أن أدلي بـدلوي وأشـاركهم فيما يحصل في هـذه اللقاءات التي أرجو الله تعالى أن تكون مباركة.

أيها الإخوة استمعنا إلى هذه الآيات الكريمــة:) يا أيها الــذين آمنــوا اتقــوا الله حق تقاته ولا تمــوتن إلا وأنتم مسـلمون (وتوجيه الله الخطـاب لنا بهـذا الوصف يا أيها الذين آمنوا يدل على أن بعده من مقتضيات الإيمان وأن كل مـؤمن فلابد أن يكـون قائمـاً بما يلقى إليه بعد هـذا النـداء بهـذا الوصف العظيم ويـدل دلالة أخـرى على أن مخالفة ما يـأتي بعـده تكـون نقصـاً في الإيمـان وإلا لما علق الحكم بهـذا الوصف ولهـذا قـال ابن مسـعود رضي الله عنه:

إذا ســمعت الله يقــول : يا أيها الــذين آمنــوا فأرعها سمعك فإما خــير تـؤمر به وإما شر تنهى عنه وإن توجيه الخطــاب إلينا بلفظ النــداء) يا أيها الــذين آمنــوا (دليل على أن هذا أمر ينبغي أن ننتبه له، لأن النـداء من أدوات التنبيه) اتقـوا الله حق تقاته (التقـوى من أجمع ما قيل فيها وأحسنه ما روي عن طلق بن حبيب رحمه الله قــال : التقـوى أن تعمل بطاعة الله على نــور من اللــه، ترجو ثــواب اللــه، وأن تــترك ما نهى الله على نــور من الله تخشى عقاب الله.

وهذا أجمع ما قيل في التقوى وهذا التعريف يتضــمن أن التقــوى أن تعمل بطاعة الله على علم لا عن جهــل،

---

[3] سورة الأحزاب، الآيتان : 70 –71 .

لأن الذي يعمل بطاعة الله عن جهل، قد يفسد أكـثر مما يصــلح، ولكن إذا كــان على نــور من الله على علم كــان على بصيرة من أمره، ويتضـمن هـذا التعريف أن القـائم بطاعة الله يقوم بها وهو مؤمن بالثواب الــذي جعله الله تعالى على هذه الطاعة، ولهـذا قـال : ترجو ثـواب اللـه. وهذا يتضمن الإيمان باليوم الآخر والجزاء على الأعمـال، وأن تــترك ما نهى الله على نــور من الله تخشى عقــاب الله.

يعـني تــترك ما نهى الله عن علم بــأن الله نهــاك عن هـذا الشــيء لا عن عـدم رغبة فيه أو عن جهل في هـذا الأمر، لأنك إنما تتركه تخشى عقـاب الله كثـير منا يـترك الربا يترك الزنى ، يــترك الفــواحش، لكن ليس على باله أنه تركها لله فيفوته بذلك خـير كثـير. لكن إذا كـان على باله أنه إنما تركها لله عز وجل نال بذلك أجراً، ولهذا جاء في الحــديث الصــحيح " أن من هم بالســيئة فلم يعملها كتبت حسنة كاملة" [1].

قــال الله عز وجل في الحــديث القدســي: " لأنه إنما تركها من جراي ".[1] أي من أجلي .

وسمي هـذا تقـوى لأنه وقاية من عـذاب الله عز وجل يقيك من عـذاب الله الــذي توعد به الكـافرين، كما قـال تعالى:) واتقوا النار التي أعدت للكافرين. وأطيعـوا الله والرسول لعلكم ترحمون ([2]، وفي قوله تعالى:) اتقوا الله حق تقاته (يعــــني الحق الــــذي يجب لله عز وجل عليكم ولكن بقـدر الاسـتطاعة كما قـال الله تعـالى في آية البقرة :) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسـبت ([3]، فما لا يـدخل تحت الوسع فـإن الإنسان لا يكلف به رحمة من الله عز وجل وإحساناً إلى عبــاده ثم قــال تعــالى:) ولا تمــوتن إلا وأنتم مســلمون (يعني لا تموتن إلا على هذه الحال وهي الإسلام لله عز

([1] أخرجه مسلم: كتاب الإيمان : باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب.

([2] سورة آل عمران، الآيتان :131- 132.

([3] سورة البقرة، الآية : 286.

وجل ظـاهراً وباطنـاً. بقلـوبكم وجـوارحكم والنهي عن المـوت إلا على الإسـلام يسـتلزم أن نكـون دائمـاً على الإسلام، لأن الإنسان لا يدري متى يفجأ الموت، وكم من إنسان قد مد حبال الأمل طويلاً وكان الموت إليه قريباً ، كان أبو بكر رضي الله عنه يتمثل دائماً بقول:

كل أمرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

فإذا كان الله يقـول :) ولا تمـوتن إلا وأنتم مسـلمون (فمعناه أنه يجب علينا أن نكون دائماً على هذا الوصـف. لأننا لا ندري متي نموت.

أما الآية الثانية، أمر الله تعـالى فيها بـالتقوى موجهـاً الخطاب إلى عموم الناس:) يا أيها الناس اتقوا ربكم(.

وقد قال علماء التفسير: إن الغالب في السور المكية بل في الآيــات المكية أن يوجه النــداء فيها إلى النــاس عموماً بخلاف النداء في الآيات المدنية فإن النداء يكـون فيها موجهاً للمؤمنين) يا أيها الـذين آمنـوا (، وهـذه من العلامــات الفارقة بين الســور المكية والســور المدنية لكنها ليست دائمــاً إذ قد وجد في ســورة البقــرة وهي مدنية) يا أيها النـاس اعبـدوا ربكم الـذي خلقكم والـذين من قبلكم([1] المهم أن الله يقول:) يا أيها الناس اتقـوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة (ما هــذه النفس هل المراد بالنفس الجنس أو المراد بالنفس العين إن قلنا : المراد بـالنفس العين فهو آدم ولهـذا قـال:) وخلق منها زوجها(.

وإذا قلنا :المراد بالنفس الجنس كما في قوله تعالى:) لقد من الله على المؤمــنين إذ بعث فيهم رســولاً من أنفسهم ([2] صار المعنى أننا بني آدم كلنا جنس واحد لا يختلف أحدنا عن الآخر وأيـاً كـان فـإن الله تعـالى يأمرنا بتقواه منبهاً على أنه يجب ألا يتقى إلا الله لأنه هو الذي خلقنا.

([1] سورة البقرة، الآية :: 21.

([2] سورة آل عمران، الآية :: 164.

) واتقـوا الله الـذي تسـاءلون به والأرحـام (ما معـنى تساءلون به والأرحام أي تسـأل الإنسـان باللـه، تقـول : أسـألك بالله كـذا وكـذا، والأرحـام كـانوا في الجاهلية يتساءلون بالأرحام فيقول : أسـألك بـالرحم الـتي بيـني وبينك والقرابة والصـلة أن لا تتسـلط علي أو ما أشـبه ذلك.) إن الله كـان عليكم رقيبـاً (وعلى قـراءة النصب " والأرحـام " يكـون المعـنى أن تتقي الأرحـام فتقـوم بما يلـزم لهـا، من الصـلة إن الله كـان عليكم رقيبـاً، أما في الآية الثالثة فإن الله يقـول:) يا أيها الـذين آمنـوا اتقـوا الله وقولوا قولاً سديداً ([3]، اتقوا الله تعالى بجوارحكم وقولوا قولاً سديداً أي صواباً.

) يصـلح لكم أعمـالكم ويغفر لكم ذنـوبكم (فكل من قـال قـولاً سـديداً مع التقـوى حصل له هـذان الأمـران، إصلاح الأعمال ومغفرة الـذنوب، ومن يطع الله ورسـوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أيها الإخوة الكرام : إنه من المعلوم لنا جميعـاً أن الله عز وجل خلقنا من عـدم كما قـال تعـالى :)هل أتى على الإنسان حين من الـدهر لم يكن شـيئاً مـذكوراً ([1]، وأن مآلنا إلى الفنـاء كما قـال الله عز وجل :) كل من عليها فان ([2] . وأن بقاءنا في هذه الـدنيا يمر سـريعاً ويـذهب جميعاً) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشـية أو ضـحاها ([3]،) كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهـار ([4]، وقس هـذا الأمر بما مضى من حياتك الـذي مضى من حياة الإنسان سـواء طـال به الـزمن أم قصـر، كأنه لم يمض كأنه في الحـال الـتي هو عليها الآن. نحن الآن منا من له عشرون سـنة، ومنا من له أربعـون، ومنا من له سـتون ومنا من له فـوق ذلـك، هـذه المـدة الـتي ذهبت كأنها سـاعة وقس ما يسـتقبل من دنيـاك على ما

([3] سورة الأحزاب، الآية :.7.

([1] سورة الإنسان، الآية ::1.

([2] سورة الرحمن، الآية :: 26.

([3] سورة النازعات، الآية ::46.

([4] سورة الأحقاف، الآية :: 35.

مضى منها، وحينئذ وبهذه النظرة الثاقبـة، يجب علينا أن ننتهز فـــرص العمر يجب علينا ألا تمضي ســـاعة من ساعات أوقاتنا إلا ونحن نعـرف مـاذا عملنا فيهـا، ومـاذا حصل من تفريط حـتى نتداركه بالتوبة إلى الله عز وجل وإنـني أذكر نفسي وإيـاكم بهـذه الحكمة العظيمة الـتي قـال الله فيها :)وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون ([5]، ما خلق الله الجن والإنس للتمتع في الـدنيا والـترف وجمع المـال والأولاد والزوجـات ولكن لشـيء واحد وهو عبادة الله، غير الجن والإنس لأي شيء خلقوا؟ للإنسـان .) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ([6]،) وسـخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ([7] .

إذاً المعادلة خلق ما في الأرض لنا، وخلقنا لعبادة الله وحينئذ فــإن من العقل أن نســتخدم ما خلق لنا ليكــون عونـــاً لنا على ما خلقنا له وهو طاعة الله عز وجل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال:

ينبغي للإنسـان أن يجعل المـال بمنزلة الحمـار الـذي يركبه أو بمنزلة الحش الــذي يقضي فيه حاجتــه، الحش الحمام الذي يقضي فيه الإنسـان حاجتـه. يعـني لا تجعله هو الغاية المال لكن اجعله موضع قضاء حاجتك.

لأن المال سوف يزول عنك أو تزول عنــه، لا يمكن أن يخلد لك ولا يمكن أن تخلد له بل لابد من المفارقــة، إما منك أو من المــال، وحينئذ فما مقتضى العقل الســليم، أن يجعله الإنسان وسيلة، وسيلة ويهتم بالغاية.

وعلى هذا فإنه ينبغي أن نعرف ما معنى العبادة حـتى نكـــون على بصــــيرة من أمرنا في معرفة كلام الله عز وجل العبادة أيها الإخوة تطلق على معنيين: على التعبد، وعلى المتعبد بـــه، فعلى المعــنى الأول يكــون معــنى العبادة: أن يتـذلل الإنسـان لربه بامتثـال أمـره واجتنـاب نهيه محبة له وتعظيماً.

---

[5] سورة الذاريات ، الآية :: 56.

[6] سورة البقرة، الآية :: 29.

[7] سورة الجاثية ، الآية : 13 .

فيكــون هــذا الوصف عائــداً للإنســان العابد أما على المعـنى الثـاني أن العبـادة تطلق على معـنى المتعبد به فقد حدها شيخ الإسلام رحمه الله في تعريف من أحسن ما يكون من التعاريف فقال: "العبادة اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضــــاه من الأقـــــوال والأعمـــــال الباطنة والظاهرة " .

فالصـلاة إذاً عبـادة، والزكـاة عبـادة والصـوم عبـادة، والحج عبـادة لا يريد الله عز وجل منا بهـذه العبـادات أن يتعبنا فقط) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ([1] **ما يريد الله عز وجل أن يحرجنا في هـذه العبـادات) وما جعل عليكم في الـــدين من حـــرج (** [2]**وإنما أراد بهـــذه العبـادات أراد بها أن نصل إلى سـعادة الـدنيا والآخـرة. وحينئذ نعرف أن هـذه العبـادات ليست تكليفـاً وإشـقاقاً علينا. وإنما هي لمصلحتنا وسعادتنا في الـدنيا والآخـرة. ولا يمكن أن تســـتقيم الـــدنيا إلا بالعبـــادة ولست أريد بالعبـــادة مجـــرد الحقـــوق الخاصة بالله عز وجل حـــتى معاملتك مع الناس يمكن أن تتحول إلى عبادة. كيف ذلك إذا عاملتهم بمقتضى أمر الله من النصح والبيان امتثـــالاً لأمر الله عز وجل صـارت المعاملة عبـادة حـتى لو تـبيع سلعة على إنسان وتبين ما فيها من عيوب وتصـدق فيما تصفها من الصفات المطلوبة صرت الآن متعبـــداً لله لأن النـبي صـلى الله عليه وسـلم يقـول : " الـدين النصـيحة قلنا : لمن يا رسـول اللـه؟ قـال : لله ولكتابه ولرسـوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"**[3][[1]]**.**

الموظف يؤدي وظيفته أحياناً يؤديها من أجل الراتب. وأحيانــاً يؤديها من أجل القيــام بالعمل الــذي به صــلاح الناس فعلى الأول يكون عادة لا عبادة، لكن على الثـاني يكون عبادة ولا يفوته الراتب.

انظر كيف أن النية تجعل العادة عبـادة ، وربما يحـول الإنسـان عبادته إلى عـادة مع الغفلة كما لو كـان يـذهب

([1] سورة النساء، الآية ::147.

([2] سورة الحج: الآية :: 78.

3 ([1]?) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة حديث (95) .

يصلي لأنه اعتاد أن يتوضأ ويذهب ويصـلي لكن ما يشـعر حينئذ أنه يـــذهب امتثـــالاً لأمر الله عز وجل واتباعـــاً لرسـوله صـلى الله عليه وسـلم وحينئذ يفوته خـير كثـير ولهـــذا قيل : " أهل اليقظة عـــاداتهم عبـــادات ، وأهل الغفلة عباداتهم عادت " كل ذلك من أجل النية.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقـاص رضي الله عنه وقد عــاده في حجة الــوداع وهو مــريض وخاف رضي الله عنه أن يموت في مكة وقد هاجر منهـا، فقال : يا رسول الله: إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قـال: فالشـطر قـال: لا. قال: فالثلث قـال : الثلث والثلث كثـيرثم قـال وهومحل الشاهد:إنك أن تذر ورثتك أغنياء خـيرمن أن تـذرهم عالة يتكففون الناس"[1] فأثبت النـبي صـلى الله عليه وسـلم الخير لرجل ترك الوصية من أجل أن يبقي المــال لورثته المحتــاجين ، " إنك أن تـــذرورثتك أغنيـــاء خـــيراً من أن تذرهم عالة يتكففـون النـاس" وقـال له صـلى الله عليه وســـلم : " واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجـرت عليها حـتى ما تجعله في في امرأتك ". لمـاذا مثل الرسـول عليه الصـلاة والسـلام ما يجعله الإنســان وقال: " في فيّ امرأتك " ما قال حتى ما تجعله في في أبيك، في في أمك، بل قال في في امرأتك " لأن المرأة إذاً لم ينفق عليها زوجها طــالبت بــالفراق وإذا طــالبت بـــالفراق وفارقته بقي بلا زوج إذا فإنفاقه على زوجته كأنما يجر به إلى نفسه نفعاً . ومع ذلك قال له الرسـول صـلى الله عليه وسـلم: " إنك إذا أنفقت نفقة تبتغي بها وجه الله، حصل لك بها الأجر حتى في هذه النفقة الـتي تكـــون معاوضة لأن الإنفـــاق على الزوجة عـــوض عن الاسـتمتاع بها ونيل الشـهوة منهــا. ولهــذا إذا نشــزت الزوجة، فإن نفقتها تسقط.

الحاصل أيها الإخـــوة أن النية لها تـــأثير عظيم في العبــادة ولهــذا نقــول : إن العبــادة لا تكــون عبــادة إلا

---

(1) أخرجه البخاري: كتـاب الجنـائز : رقم (1233) ومسـلم: كتـاب الوصـية: بـاب الوصية بالثلث رقم(1628).

بشـرطين أساسـين ، أحـدهما: الإخلاص للـه، والثـاني : المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما الإخلاص لله. فمعناه ألا يريد الإنسان بهـذا التعبد إلا وجه الله والدار الآخرة لا يريد أن ينال مـالاً ولا جاهـاً ولا أن يسلم من سلطان ولا غير ذلك من أمور الـدنيا ما يريد إلا وجه الله والدار الآخرة، وهذا الشـرط له أدلة من كلام الله ومن كلام النـبي صـلى الله عليه وسـلم فمن الأدلة قوله تعالى:) وما أمـروا إلا ليعبـدوا الله مخلصـين له الدين ([1] **أي العبادة لله وقال سـبحانه وتعـالى:) وما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النـاس فلا يربـوا عند الله وما آتيتم من زكــاة تريــدون وجه الله فأولئك هم المضـعفون (**[2] **الشـاهد قوله :) وما آتيتم من زكـاة تريدون وجه الله (فبين الله عز وجل أن الزكـاة لا تقبل إلا إذا أريد بها وجه الله لأنها إذا قبلت ضـوعفت وإذا لم تضـاعف فمعناها لم تقبل وقـال النـبي صـلى الله عليه وسلم: " إنما الأعمـال بالنيـات وإنما لكل امـرئ ما نـوى فمن كـانت هجرته إلى الله ورسـوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصـيبها أو امـرأة ينكحها فهجرته إلى ما هـاجر إليه "** [3]**، فـبين النـبي صـلى الله عليه وسلم أن الأعمـال بالنيـات وأن لكل امـرئ ما نـوى ثم ضـرب مثلاً بـالهجرة يهـاجر رجلان من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام أحدهما هجرته مقبولة والثـاني غـير مقبولة من كانت هجرته إلى الله ورسوله هجرته مقبولة.**

ومن كـانت هجرته للـدنيا غـير مقبولـة. هجرته إلى ما هـاجر إليـه. طيب . يصـلي رجلان أحـدهما يصـلي لله عز وجل. لا يريد بذلك مالاً ولا جاهاً والثـاني يصـلي للـراتب لأنه جعل راتب للإمـام فكـان يصـلي لأجل الـراتب فقط فلا يؤجر على إمامته لأنه صار إماماً للراتب ولهـذا سـئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن رجل قال : لا أصـلي بكم رمضان يعني التراويح إلا بكذا وكـذا، قـال الإمـام أحمد :

---

[1] سورة البينة، الآية :: 5.

[2] سورة الروم، الآية :: 39.

[3] أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي: ومسـلم : كتـاب الإمـارة: بـاب قـول النـبي صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ".

نعـوذ بالله من يصـلي خلف هـذا رجل يقـول : ما أصـلي بكم إلا بفلوس. يقـول : من يصـلي خلف هـذا. ولكن قد يقول قائل:هل معـنى ذلك أن الإمـام إذا أعطي من بيت المال راتباً هل يبطل أجره؟

الجـواب: لا. مـادام صـار إمامـاً للنـاس لله فما أعطيه من الـــراتب لا ينقص به الأجر " ولهـــذا لما بعث النـــبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب عاملاً على الزكاة ثم رجع فأعطــاه أجـراً على عمله قــال : يا رسـول الله أعطه من هو أحوج إليه مـني فقـال له النـبي صـلى الله عليه وسلم :ما جاءك من هـذا المـال وأنت غـير مشـرف ولا سائل فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك" [1].

الشرط الثـاني: المتابعة لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بـأن يتأسى الإنسـان في عبادته بالرسـول صـلى الله عليه وســلم والــدليل على ذلك من كتــاب الله ومن ســنة رسـول الله صــلى الله عليه وســلم قــال الله عز وجل: -

) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حســنة لمن كـان يرجوا الله واليـوم الآخر ([2] ،) قل إن كنتم تحبـون الله فاتبعوني يحببكم الله ([3]. وقال:) وما أمروا إلا ليعبـدوا الله مخلصين له الدين حنفاء([4]، فإن حنفاء بمعنى غير مــائلين يمينــاً ولا شــمالاً. هــذا هو المتــابع ولهــذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول للنـاس:" صـلوا كما رأيتموني أصلي " [5]وقال في المناسـك: "لتأخـذوا عـني مناسككم " [6].

---

[1] البخاري: كتاب الزكاة: باب من أعطاه الله شـيئاً من غـير مسـألة ولا إشـراف نفس. ومسـلم : كتـاب الزكـاة: بـاب إباحة الأخذ لمن أعطي من غـير مسـألة ولا إشراف.

[2] سورة الأحزاب، الآية :: 21.

[3] سورة آل عمران، الآية :: 31.

[4] سورة البينة، الآية :: 5.

[5] البخاري: كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر (605).

[6] مسلم : كتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة(310).

وتوضأ وقال : " من توضأ نحو وضـوئي هـذا ثم صـلى ركعـتين ثم لم يحـدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقـدم من ذنبه" [7].

ولكن بمــاذا تتحقق متابعة الرســول صــلى الله عليه وسلم.

أقول: لا تتحقق المتابعة حـتى تكـون العبـادة موافقة لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في أمور ستة : في سببها، وجنسها، وقدرها وصفتها، وزمانها، ومكانها.

أولاً: سببها:

لابد أن تكــون موافقة للشــرع في ســببها. فمن تعبد لله بعبــادة وقرنها بســبب لم يجعله الله ســبباً فإنها لا تقبل منه مثال ذلك: لو أن الإنسان أحدث عبـادة مقرونة بسبب لكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يجعله سـبباً بل لكنها ليست بســبب لا في الكتــاب ولا في الســنة. فإنها لا تقبل منه لو كــــانت هي خــــيراً ما دام جعلها مربوطة بسبب لم يجعله الله سبباً لها فإنها لا تقبل منه مثال ذلك:

لو أن رجلاً صار كلما تمت له سـنة ذبح ذبيحة وتصـدق بها ذبح الـذبائح والتصـدق بهـا، جـائز لكن هـذا جعل كلما تمت السنة ذبح هذه الذبيحة. صـارت بدعة لا يـؤجر عليها بل يأثم عليها. وكذلك لو أحـدث احتفـالاً بمولد الرسـول عليه الصـلاة والسـلام وقـال : أنا أحب الرسـول وأحـدث احتفالاً للصـلاة عليه عليه والثنـاء عليه الصـلاة والسـلام بما هو أهله ماذا نقول له، نقول لـه: الصـلاة على النـبي صلى الله عليه وسلم خـير. من صـلى على النـبي صـلى الله عليه وسـلم صـلاة صـلى الله بها عليه عشـرة. كيف تقول : هذه بدعة . لأنها غـير مربوطة بهـذا السـبب أنت صل على النبي صلى الله عليه وسلم كل وقت ما نمنعك لكن كونك تجعل هـذا السـبب سـبباً للصـلاة عليه والثنـاء عليه واحتفالاً بالمولد فهذا لا يصح ولا تقبل منك.

---

[7] البخاري / كتاب الوضوء : باب الوضوء ثلاثاً ومسلم: كتاب الطهـارة بـاب صـفة الوضوء.

الثانى : جنسها: أن تكون موافقة للشرع في جنسها، هذا رجل في عيد الأضحى ضحى بشاة من بهيمة الأنعام على الوجه الشرعي بالطبع تقبل أضحيته لأنها شــرعية. الشـــاة قيمتها ثلاثمائة ريـــال فجـــاء رجل آخر وقـــال : سأضـحي بفـرس لأن الفـرس قيمته ألف ريـال والشـاة ثلاثمائة ريال فأنا سأضحي بفرس يوم العيد.

هذه غير صـحيحة لمـاذا لأنها ليست من بهيمة الأنعـام فخـــالفت الشـــرع في الجنس فلا تقبـــل. يعـــني لابد أن تكون موافقة للشرع في الجنس.

الثالث : قدرها: أن تكـون موافقة للشـرع في قـدرها (مثال) رجل قال : إن الإنسان إذا صلى الظهر أربعـاً كل ركعة فيها ركـــوع وفيها ســـجودان وأتى بشـــروطها وأركانهـــا. تقبل إن شـــاء الله لأنه مـــاشٍ على ما رسم شرعاً.

لكن آخر قـــال : سأصـــليها ســـتاً أزيـــد. الله يقـــول: " وتـزودوا فـإن خـير الـزاد التقـوى" لا تقبل بل تـرد عليه لأنها خالفت الشرع في قدرها. رجل آخر قال : الوضـــوء ثلاثاً سنة لكنه توضأ أربعـاً. الغسـلة الرابعة لا تقبل لأنها صارت على خلاف الشرع.

الرابع : صفتها: أن تكون موافقة للشرع في صـفتها: كيف يتوضأ الإنسان ؟ .

يبــــدأ بغسل الكفين ثم الوجه ثم اليــــدين ثم مسح الرأس ثم غسل الرجلين هكـذا الـترتيب لكن هـذا الرجل عكس فبـدأ يغسل الـرجلين ثم يمسح الـرأس ثم يغسل اليدين ثم يغسل الوجه إن عبادته هـذه غـير مقبولة لأنها خالفت الشرع في صفتها وكيفيتها.

الخـــامس : زمانهـــا: أن تكـــون موافقة للشـــرع في زمانها.

لو أن رجلاً في عيد الأضحى أصبح فـذبح أضـحيته قبل الصلاة وأكل منها وذهب وصلى. لا تقبل هـذه الأضـحية. لأنها ليست في وقت العبادة.

الأضحية ما تكون إلا بعد صلاة الإمام.

مثـال آخـر: رجل تعمد ألا يصـلي الظهر إلا بعد دخـول وقت العصر بدون عذر. لا تقبل لأنها مخالفة للشرع في وقتها. أو في زمانها.

السـادس : مكانهـا: أن تكـون موافقة للشـرع في مكانها.

لو أن رجلاً لما دخل العشر الأخـير من رمضـان بقي في غرفة من بيته لا يخرج منها وقـال : أنا معتكف لله . الاعتكاف غير صحيح لمخالفته للشرع في مكـان العبـادة لأن الاعتكاف في المساجد.

إذاً أيها الإخـوة: كل عبـادة لا تقبل إلا بشـرطين أساسين : أحدهما الإخلاص لله، والثاني المتابعة لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم وذكرنا الأدلة لـذلك ، وقلنا : إن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كـانت موافقة للشـرع في أمور ستة وهي: السبب ، الجنس ،القدر ،الصفة ،الزمان ، المكان.

وذكرنا أمثلة فيما لا تصح فيه العبـادة لمخالفة هـذه الأمور أو أحدها.

ثم اعلم أن أهم ما يتعبد به الإنسـان من الأعمـال أعمـال الجـوارح هي الصـلاة فالصـلاة أوكد من الزكـاة وأوكد من الصيام وأوكد من الحج لأن أركان الإسلام كما قال الرسـول عليه الصـلاة والسـلام خمسة عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال : سـمعت الرسـول عليه الصـلاة والسلام يقول:"بني الإسـلام على خمس : شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله وإقـام الصـلاة وإيتـاء الزكـاة وصـوم رمضـان وحج الـبيت لمن اسـتطاع إليه سبيلاً .." [1] الشهادتان ركن واحد. لأنه لا تتم العبـادة إلا بـالإخلاص وهي شـهادة ألا إله إلا الله والمتابعة وهي شهادة أن محمداً رسول الله فلهذا جعلهما النـبي صـلى الله عليه وسلم شيئاً واحداً.

---

[1] تقدم قريباً.

الصـلاة نحن نعلم جميعـاً أن لها أوقاتـاً معينة فـوقت الفجر من طلوع الفجر الثـاني إلى طلـوع الشـمس هـذا وقت الفجر لأن الفجر فجران كاذب وصادق.

في الأحكـام الكـاذب ليس له حكم إطلاقــاً لا يحــرم الطعام على الصائم ولا يـبيح الصـلاة لمن صـلى الفجـر، لكن ما الفرق بينهما.

الفروق بينهما ثلاثة :

الفجر الكـاذب يظلم الجو بعـده، والصـادق لا يـزداد إلا إسفاراً الفجر الكـاذب يكـون مسـتطيلاً. والصـادق يكـون مســـتطيراً. الفجر الكـــاذب بينه وبين الأفق ظلمة فهو كـــالعمود أبيض لكن أســفله مظلم والصــادق ليس بينه وبين الأفق ظلمة.

هذه الفروق ثلاثة فروق طبيعية تشاهد لكننا بواسطة الأنـوار ما نشـاهد ذلك ، إنما لو كنت في بر وليس حولك أنــوار عــرفت الفــرق، ووقت الظهر من زوال الشــمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله.

وقت العصر من مصـــــير ظل كل شـــــيء مثله إلى اصفرار الشمس والضرورة إلى الغروب.

وقت المغرب من غـروب الشـمس إلى مغيب الشـفق الأحمر.

فتارة يكون ساعة ونصف بين المغرب والعشاء وتــارة ساعة وثلث وتارة ساعة وسبع عشرة دقيقة يختلف.

وقت العشــــاء من مغيب الشــــفق الأحمر إلى نصف الليل فقط من نصف الليل إلى الفجر ما ليس وقتـــــــاً للصـلاة . الـدليل على هـذه الأوقـات قوله تعـالى:) أقم الصلاة لدلوك الشـمس إلى غسق الليل وقـرآن الفجر (. وهــــذا يــــدل على أن ما بعد منتصف الليل ليس وقتـــــاً للفرائض وإلا لقال الله : أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى طلــــوع الشــــمس فلما قــــال : إلى غسق الليل منتهى ظلمته وأشد ما تكــــون ظلمة الليل عند منتصـــفه ويؤيد هذا الحديث الثـابت حـديث عبد الله بن عمـرو بن العـاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " وقت الظهر

إذا زالت الشــمس. وكــان ظل الرجل كطوله ما لم يحن وقت العصر. ووقت العصر ما لم تصـفر الشـمس ووقت صلاة المغرب إلى مغيب الشفق ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل ووقت صلاة الفجر ما لم تطلع الشـمس "[1] **واضح. الرسول قال : وقت العشـاء إلى نصف الليل وقد يقــول قائل منكم : أنت ذكــرت أن العصر إلى الغــروب والرســـول صـــلى الله عليه وســـلم يقـــول : ما لم تصفرالشـمس من أين أتيت بــالوقت الإضــافي هــذا؟ ، أقـــول : أتيت به من قوله صـــلى الله عليه وســـلم في الحــديث الصــحيح : " من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغـرب الشـمس فقد أدرك العصـر"[1] وينبـني على هـذا مسألة مهمة لو أن امرأة من النساء طهـرت من حيضـها بعد منتصف الليل وقبل طلوع الفجر لا يجب عليها قضاء العشاء.**

لأنها طهــرت بعد انتهــاء الــوقت كما أنها لو طهــرت الضحى لم تلزمها صلاة الفجر.

الــزوال علامته زيــادة الظل بعد تنــاهي قصــره. إذا طلعت الشـــــمس اركز عصـــــاً . له ظل كلما ارتفعت الشمس قصر الظل فإذا انتهى قصره وبدأ يزيد هــذا هو علامة زوال الشـمس لأنها زالت يعـني انصـرفت عن كبد السـماء. أما بالنسـبة للضـبط بالسـاعات فاقسم ما بين طلــوع الشــمس إلى غروبها نصــفين والنصف هــذا هو وقت الزوال.

لو أن رجلاً صلى إحدى الصلوات بعد خروج وقتها وهو متعمد بدون عـذر لا تقبل ولهـذا كـان القـول الـراجح أن الإنسان إذا كان في أول عمره لا يصلي ثم من الله عليه بالهداية وتـاب إلى الله فإنه لا يلزمه قضـاء ما مضى من صلاته. وإنما عليه أن يتوب إلى اللـه. وكـذلك لو أن رجلاً من الناس ترك صيام يوم من رمضان متعمداً يعني قــال : إنه لن يصـوم غـداً فهو بلا شك آثم ولا يلزمه قضـاؤه، قد يقــول قائل : كيف تقــول : لا يلزمه القضــاء هــذا

---

[1] أخرجه مسلم : كتاب المساجد: باب أوقات الصلوات الخمس (612).

[1] أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب: من أدرك من الفجر ركعة.

تخفيف عليـه. فجـوابي على هـذا أنه ليس تخفيفـاً عليه بل هو تشــديد عليه لأن معــنى قــولي هــذا أنه لا يلزمه قضاء الصلاة التي تعمد فعلها بعد الـوقت معنـاه رفضـها وعدم قبولها. وأنها لا تقبل منه لو صلى ألف مرة كـذلك لو ترك يوماً من رمضان لم يصمه متعمداً بلا عذر شرعي فإنه لا يقبل منه قضــاؤه مــدى الــدهر. وهــذا يــوجب للإنسان أن يخاف وأن يتوب ويرجع للوراء أكثر.

ومن المهم في الصلاة أن يعرف الإنسان ما يلـزم لها قبلها ، وأوكد ما يلــزم لها قبلها الطهــارة ولهــذا قــال النبي عليه الصلاة والسلام: " لا صلاة بغير طهور" [1] .

الطهور بـالفتح هو ما يتطهر بـه. والطهـور بالضم هو فعل الطهارة.

وضوء – ووضوء ما الفرق؟

الوضوء بالفتح: الماء الذي يتوضأ به .

الوضوء بالضم: فعل الوضوء.

سحور – سحور.

سحور: بالفتح ، أكل السحور.

السحور بالضم: فعل السحور. " لا يـزال النـاس بخـير ما أخروا السحور" [2].

انتبه أيها الطـالب للفـرق بين فعـول وفعـول. فعـول للآلة التي يفعل بهـا، وفعـول للفعـل. نحن سـكتنا أثنـاء الأذان من أجل أن نقول مثل ما يقول لقول النبي صلى الله عليه وسـلم : " إذا سـمعتم المـؤذن فقولـوا مثل ما يقول المؤذن " [3] نقول مثل قوله إلا في جملـتين فقط وهما حي على الصلاة. حي على الفلاح نقـول : لا حـول ولا قول إلا بالله. وفي صلاة الصبح إذا قال: الصلاة خـير من النوم نقول : الصـلاة خـير من النـوم كما قـال ولكن

---

[1] أخرجه مسلم: كتـاب الطهـارة بلفظ " لا يقبل الله صـلاة بغـير طهـور " رقم (224).

[2] البخاري: كتاب الصوم : ومسلم / كتاب الصوم.

[3] البخاري: كتاب الأذان : باب ما يقول إذا سمع المنادي: ومسلم : كتاب الصلاة: باب استحباب القول مثل قول المؤذن.

أسأل لمـاذا لم تقل مثل ما يقـول في حي على الصـلاة حي على الفلاح. لأنه هو يدعونا إذ حي يعـني أقبـل. فلو قلنا نحن: حي على الصلاة معناه دعوناه أيضـاً ونحن في الـبيت نتابعه تـدعوه للـبيت هـذا ما يسـتقيم ولهـذا كـان المشروع في حقنا أن نقول : لا حول ولا قـوة إلا باللـه. وما معـنى لا حـول ولا قـوة إلا باللـه. معناها للاسـتعانة كأنك تقـول في جـواب المـؤذن : سـمعنا وأطعنا ولكننا نسأل الله العون وتقول إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله، مثل ما يقول ثم تقــول بعد ذلك : رضيت بالله ربـاً وبمحمد رسـولاً وبالإسـلام دينـاً . هذا هو محل ذلك يعني قول الإنسان رضيت بالله رباً بعد الشــهادتين وبعد انتهــاء الأذان تقــول : اللهم صل على محمد اللهم رب هذه الـدعوة التامة والصـلاة القائمة آت محمداً الوسـيلة والفضـيلة وابعثه مقامـاً محمـوداً الـذي وعدته إنك لا تخلف الميعــاد وإذا قلت ذلك فإنها تحل لك الشفاعة شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أســأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يدخلون في شفاعته.

أحببت أن أنبه على هذا لأن بعض الناس يتهاونون في متابعة المــؤذن مع أن بعض أهل العلم قــال: إن متابعة المـــــــؤذن واجبة وإن من لم يتابعه فهو آثم. فمتابعة المؤذن سُنة مؤكدة لا ينبغي للإنسان أن يدعها.

وهنا مسائل:

1. **إذا كـان يقــرأ القــرآن هل يــدع القــراءة ويتــابع المؤذن؟ نعم، يقطع القراءة ويتابع المؤذن.**
2. **إذا دخلت المسجد وهو يؤذن هل تصلي تحية المسجد أو تقف وتتـابع المـؤذن ثم تصـلي؟ الثـاني إلا أن بعض أهل العلم قـال : يسـتثنى من ذلك أذان الجمعة الثـاني فإن الأفضل أن تصلي الركعتين لأجل أن تتفرغ لاستماع الخطبة. قلت : من أهم ما يكون للصلاة الطهـارة لقـول النبي صلى الله عليه وسـلم.:" لا صـلاة بغـير طهـور" [1] والطهارة ثلاثة أنواع:طهارة من الحدث الأصـغر، طهـارة من الحـدث الأكـبر وطهـارة بـالتيمم عنهما جميعـاً. أما**

---

(1) تقدم تخريجه.

الحدث الأصغر فيطهّر أربعة أعضاء الوجه، اليدان، الرأس ، الرجلان. الوجه يجب أن يغسل من الأذن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسـلم وبـارك عليه وعلى آله وصـحبه أجمعين وأشـهد ألا إله إلا الله وحـده لا شـريك له وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله) يا أيها الذين آمنـوا اتقـوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ([1]،) يا أيها النـاس اتقـوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثـيراً ونسـاءً واتقـوا الله الـذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبـاً ([2]،) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولـوا قـولاً سـديداً . يصـلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنـوبكم ومن يطع الله ورسـوله فقد فاز فوزاً عظيماً ([3].

أما بعد:

أيها الإخوة: إن موضوع محاضـرتنا في هـذه الليلة هو موضـوع مهم يهم جميع المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربها وهو التـذكير بما أنعم الله به على عبـاده المؤمـنين بما من به عليهم من بعثة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، الـذي بعثه الله لا إلى العـرب فحسـب، ولكن إلى جميع النـاس كما قـال الله تعـالى:) ورحمـتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكـاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النـبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عنـدهم في التـوراة والإنجيل يـأمرهم بـالمعروف وينهـاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبـات ويحـرم عليهم الخبـائث ويضع عنهم إصـرهم والأغلال الـتي كـانت عليهم فالـذين آمنـوا به وعـزروه

([1] آل عمران : 102.

([2] النساء:1.

([3] الأحزاب: 70-71.

ونصـــروه واتبعـــوا النـــور الـــذي أنـــزل معه أولئك هم المفلحون ([1] .

أســأل الله تعــالى أن يجعلــني وإيــاكم ممن آمن به وعـزره ونصـره واتبع النـور الـذي أنـزل معه حـتى ننـال الفلاح وهو الســعادة في الــدنيا والآخــرة، ثم قــال جل وعلا:) قل يا أيها النــاس إني رســول الله إليكم جميعــاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فــآمنوا بالله ورســوله النــبي الأمي الــذي يــؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ([2] .

إننا في هذا الشهر شـهر ربيع الأول الـذي هو الشـهر الذي بدئ به الوحي لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ولكن هذا كان بالرؤيا الصـالحة. كما قـالت أم المؤمـنين عائشة رضي الله عنها : "كــان أول ما بــدئ به الــوحي الرؤيا الصــالحة فكــان لا يــرى رؤيا إلا جــاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكـان يخلو بغـار حـراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد" [3] حتى جاءه الحق ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام من الله بـالقرآن الكـريم في شـهر رمضان كما قال الله تعالى:) شـهر رمضـان الـذي أنـزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقــان ([4] وكانت المدة بين ربيع الأول وشهر رمضان ستة شــهور، وهي بالنسبة لمدة الـوحي الـتي نـزل فيها على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم جـزء من سـتة وأربعين جـزءاً لأن زمن الوحي كان ثلاثاً وعشرين سنة. وستة الأشهر

بالنسـبة لها جـزء من سـتة وأربعين جـزءاً لهـذا قـال النبي صـلى الله عليه وسـلم: " إن الرؤيا الصـادقة جـزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " [1].

([1] الأعراف الآيتان :156- 157.

([2] الأعراف، آية :: 158.

([2] البخاري: كتاب بدء الوحي "3" مسلم : كتاب الإيمان " 160 " .

([4] البقرة آية :: 185.

([1] أخرجه البخاري بلفظ " الرؤيا الحسنة من الرجل الصـالح ..إلخ " وبلفـظ" رؤيا المؤمن ..إلخ " ولفظ " الرؤيا الصـالحة.. " كتـاب التعبـير / بـاب رؤيا الصـالحين: وباب الرؤيا الصالحة جزء من ستة.

أيها الإخوة: إننا في هذا الشهر شهر ربيع الأول نـذكر إخواننا بما من الله به على عبـــاده المؤمـــنين من بعثة الرسول صـلى الله عليه وسـلم. فـإن رسـول الله صـلى الله عليه وســلم بعثه الله عز وجل بالهــدى ودين الحق وأنزل عليه هذا الكتاب ليخـرج النـاس من الظلمـات إلى النـــور لا بنفسه ولكن بـــإذن ربهم إلى صـــراط العزيز الحميد. وفي هذه النعمة يقـول الله عز وجل :) لقد من الله على المؤمــنين إذ بعث فيهم رسـولاً من أنفســهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتـاب والحكمة وإن كـانوا من قبل لفي ضـلال مـبين ([سـورة آل عمـران، الآية: 164].

لقد بعث رسول الله صـلى الله عليه وسـلم على حين فترة من الرسل وانطماس من السـبل بعد أن مقت الله سبحانه وتعالى أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتـاب، فكـان النـاس في ضـرورة إلى بعثته صـلى الله عليه وســـلم أشد من ضــــرورتهم إلى الطعـــام والشراب والهواء والأمن، كان النـاس في جاهلية عميـاء يعبــدون الأشــجار والأصــنام ، والأحجــار ويتعلقــون بالمخلوقين حتى ذكر عن بعضهم أنه إذا نـزل أرضـاً أخذ أربعة أحجــار فاختــار منها واحــداً يعبــده وثلاثة يجعلها رواســيَ للقــدر قــدر الطبخ فتأمل هــذه العقــول كيف انحـدرت إلى هـذه السـخافة، يجعل الآلهة حجـراً واحـداً موازياً تماماً بالأحجار التي تُرس عليها القدور، وذكر عن بعضــهم أنه كــان يتخذ من التمر يعجنه ويصــنعه تمثــالاً حسب مزاجه، ثم إذا جاع أكله، ومن سخافتهم أيضاً أنهم يقتلون الأولاد ذكورهم وإناثهم خوفاً من الفقر كما قال الله عز وجــل:) ولا تقتلــوا أولادكم خشــية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كـان خطئـاً كبـيراً (. [سـورة الإسراء، الآية: 31] .

وكان بعضهم يقتل أولاده إذا افتقر بالفعل وفي هــذا يقول الله عز وجـل:) ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نـرزقكم وإيـاهم ([سـورة الأنعـام، الآيـة: 151]. وكـان بعضــهم غنيّــاً لا يخشى الفقر ولا يتوقعه إذا ولد له ابنة فإنه يئـدها يـدفنها وهي حية حـتى قيل عن بعضـهم :إن

ابنته وهو يحفر الحفـرة لها فـإذا أصـاب الـتراب لحيته نفضت الـتراب من لحيته وهو يحفر لها ليرميها والعيـاذ بالله هـذه العقـول وهـذه النفـوس الـتي هي أقسى من أقسى السـباع في الأرض كـان النـاس عليها حـتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم في هذه الظروف التي تدعو الضرورة إلى بعثة مثل بعثة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فبعثه الله عز وجل من أجل أن ينتشل النـاس من رق النفـوس والهـوى إلى عبودية الخلاق جل وعلا.

أخـرجهم من عبودية النفس وعبودية الشـيطان إلى عبودية الرحمن سبحانه وتعالى، ونحن نعلم كما ذكر الله تعالى في كتابه أن المشركين الذين بعث فيهم الرسول صـلى الله عليه وسـلم كـانوا يقـرون بـأن الله هو الـرب وأن الله خـالق السـموات والأرض وأن الله مـدبر الكـون وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء، كل ما يتعلق بتوحيد الربوبية فإنهم كانوا يقرون به ولا ينكرونه ولكنهم كانوا ينكرون توحيد العبادة فلا يوحدون الله تعالى بالعبادة بل يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار وغير ذلك مما يسمح في نفوسـهم وتمليه عليهم أفكـارهم السـيئة حـتى إن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لما دعـاهم إلى توحيد الله في العبادة وقال لهم:

) إنما الله إله واحد ([1] قـالوا: (أجعل الآلهة إلهـاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ([2].

ومن العجب أنهم يقـرون بتوحيد الربوبية دون الألوهية ولا ريب أن كل إنسـان عاقل يقر بتوحيد الربوبية فـإن إقـراره ذلك حجة عليه أن يقر بتوحيد الألوهية. لأنه إذا كان يقر بأن الخالق هو الله، المدبر هو الله، والمالك هو الله فكيف يكـون هنـاك معبـود مع الله ومن ثم تجـدون الله عز وجـل، يقـرر توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية) يا أيها النـاس اعبـدوا ربكم الـذي خلقكم والـذين من قبلكم لعلكم تتقـون (، [سـورة

([1] النساء آية :: 171.

([2] ص آية :: 5.

البقــرة، الآيــة: 21] فجعل توحيد الربوبية دليلاً ملزمــاً بتوحيد الألوهية.

) اعبدوا ربكم (هذا هو توحيد الألوهية ألوهية بالنسـبة لله وعبودية بالنسبة للخلـق،) الـذي خلقكم والـذين من قبلكم (، هذا هو توحيد الربوبية، فإذا كنتم تؤمنون بـذلك فلمــاذا لا توحدونه بالعبــادة، لمــاذا تعبــدون الأصــنام والأشــجار معــه، هــذا دليل عقلي لا يمكن لأي إنســان عاقل أن يحيد عنه ولهـذا يـذكر الله ذلك ملزمـاً لهـؤلاء المشـركين أن يقولـوا بـأن الله إله واحد وصـدق الله عز وجل.

أيها الإخـوة : توحيد الألوهية ليس بـالأمر الهين الـذي يظنه كثـير من المعاصـرين اليـوم أنه على الهـامش وأن مجرد إقرار الإنسـان بـرب خـالق مـدبر للكـون حكيم في صنعه كاف في الإيمان والتوحيد، إن هذه النظـرة نظـرة بلا شك خاطئــة، ولو كــان التوحيد كما يــراه هــؤلاء بأنه إفــراد الله أو بأنه الإيمــان بــأن الله وحــده هو الخــالق الـرازق لو كـان هـذا هو التوحيد لم تكن هنـاك حاجة إلى إرسـال الرسل لأن التكـذيب بهـذا التوحيد أو إنكـار هـذا التوحيد لم يقع إلا نــــادراً ولا ســــيما فيما ســــلف من الأزمــــــان، لكن التوحيد الــــــذي بعثت الرسل لتحقيقه والقتـال عليه هو توحيد الألوهية والـذي يسـمى أحيانـاً بتوحيد العبـادة لأنه إن نظـرت إليه من جهة الله فسـمه توحيد ألوهية وإن نظـرت إليه من جهة الإنسـان فسـمه توحيد العبـادة أو العبوديــة، المهم أن كثـيراً من النـاس اليوم من

المعاصرين الـذين نـالوا ما نـالوا من الثقافة يركـزون كثــيراً على توحيد الربوبيــة، وعنــدي أن توحيد الربوبية ليس بـالأمر الأهم بالنسـبة لتوحيد الألوهيـة، لأن منكريه قليلـون وكل إنســان عاقل فإنه لابد أن يــدرك أن لهــذا الكـون العظيم المنظم إلهـاً خالقـاً حكيمـاً واسـتمع إلى قول الله تعالى في سـورة الطـور:) أم خلقـوا من غـير شيء أم هم الخالقون (.[سورة الطور، الآية: 35].

هـــذا اســـتفهام) أم خلقـــوا من غـــير شـــيء أم هم الخـالقون (، وجوابـه: ما خلقـوا من غـير شـيء ولا هم الخالقون.

لأنهم قبل أن يوجدوا عدم والعدم ليس بشيء، فضـلاً عن أن يوجد شيئاً. وهم أيضاً لم يخلقـوا من غـير شـيء لأن خلق شـيء من غـير شـيء مسـتحيل في العقل كل حادث فلا بد له من محدث ويذكر أن طائفة من السـمنية وهم أناس من الوثنية الذين ينكرون الخالق أتوا إلى أبي حنيفة رحمه الله في العراق وقالوا : من الذي خلق هـذا الكون فقال : أمهلوني ثم أمهلوه وجاؤوا إليه وقال لهم : إني أفكر في ســـفينة جـــاءت محملة إلى نهر دجلة محملة بالبضـــائع وإن هـــذه الســـفينة نـــزلت البضـــائع وانصرفت بعد ذلك، أفكر هل يمكن هذا أم لابد من أناس يشـــحنونها أولاً ثم ينزلونها ثانيـــاً، فقـــالوا : كيف تفكر بهذا، هل هذا يحتاج لتفكير؟ هـذا غـير معقـول قـال: إذا كـان هـذا غـير معقـول، فكيف يعقل أن هـذه الشـمس والنجـــوم والقمر والبحـــار والأنهـــار والأشـــجار النامية والإنس وكل ما نشـــاهده كيف يعقل أن يكـــون بـــدون موجد، هل هذا معقول فانقطعوا.

ولهذا جاءت الآية تسـتدل على أن الخـالق هو الله عن طريق السبر والتقسيم فهم إما أن يخلقوا بـدون خـالق، أو يخلقوا أنفسهم، أو يكون لهم خالق وهو الله عز وجل وهذه الأخيرة هي النتيجة فتوحيد الربوبية أيها الإخـوة لا ينكـره إلا النـادر النـادر من النـاس حـتى من أنكـره ممن قص الله علينا

من نبأ إنكـاره فإنما ينكرونه مكـابرة وهم في قـرارة أنفسهم يؤمنون به ففرعـون قـال لقومه حين حشـرهم وناداهم قـال لهم : (أنا ربكم الأعلى) ولم يكن صـادقاً في ذلك.

لأن موسى قال له مجابهة) لقد علمت ما أنزل هـؤلاء إلا رب السـموات والأرض بصـائر وإني لأظنك يا فرعـون مثبـوراً (. [سـورة الإسـراء الآيـة: 102] لما قـال هـذا لفرعون هل قال فرعون له: ما علمت ذلك. أبداً ما قـال

ولا استطاع أن يقول وكان يقـول لقومه :) يا أيها الملؤ ما علمت لكم من إله غيري (. [سـورة القصـص، الآيـة: 38] . والخلاصة أن المهم بنا أيها الإخوة أن نحـرص على بث روح التوحيد، توحيد الألوهية في نفوس الناس حـتى يكـون هـدف الإنسـان وجه الله والـدار الآخـرة في جميع شؤونه في عبادته وأخلاقه ومعاملاته وجميع شـؤونه لأن هذا هو المهم أن يكـون الإنسـان قصـده ورجـاؤه وإنابته ورجوعه إلى الله عز وجل وبهـذا التوحيد ــ أعـني توحيد الألوهية والعبادة ـ ينال العبد سعادة الدنيا والآخــرة، لأن قلبه ينسلخ عما سـوى الله ويتعلق بالله وحـده، لا يـدعو إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يستغيث إلا بالله ولا يستعين إلا بالله ولا يؤمل كشف الضر إلا من الله عز وجل ولا جلب الخير إلا من الله عز وجل إن عبد فلله وبالله حـتى إن الموفق تكون عاداته عبادات والمخذول تكـون عباداته عادات، لأن الموفق يستطيع أن يجعل أكله عبادة وشربه عبادة ولباسه عبادة ودخوله عبـادة وخروجه عبـادة حـتى مخاطبة الناس يمكن يجعلها عبادة.

ويمكن أن نضرب مثلاً بالأكل كيف يكون عبادة؟

أولاً: ينــوي به الإنســان امتثــال أمر الله في قوله :) وكلوا واشربوا ([1] هذا أمر .

ثانيـــاً: ينـــوي الحفـــاظ على بقائه وعلى روحه لأن الحفـاظ على النفس مـأمور به حـتى العبـادة إذا كـان الإنسـان مريضـاً و يخشى على نفسه إن اسـتعمل هـذا المـاء أن يتضـرر فإنه يتطهر بـالتيمم بـالتراب كل ذلك حماية للإنسان من أن يتضـرر ويضر نفسـه، ولهـذا قـال العلماء ـ وصـدقوا فيما قـالوا: إن المضـطر إلى الطعـام والشــراب يجب عليه وجوبـــاً أن يأكل حـــتى من الميتة ولحم الخـنزير يجب أن يأكل إذا خـاف على نفسه التلف لأنه واجب عليه أن ينقذ نفسه إذاً أنوي بالأكل والشــرب الحفاظ على نفسي فيكون ذلك عبادة.

ثالثاً: ينوي بالأكل والشـرب التقـوي على طاعة اللـه، فيكـــون عبـــادة لأن من القواعد المقـــررة شـــرعاً أن

([1]) الأعراف آية : 31.

للوسائل أحكام المقاصد، فإذا كـان هـذا الأكل والشـرب يعينني على طاعة الله فنويت بهذا الاستعانة على طاعة الله صار عبادة.

رابعاً: أنوي بالأكل التبسط بنعمة الكـريم جلا وعلا لأن الكـريم يحب أن يتبسط النـاس بكرمه وأضـرب مثلاً ولله المثل الأعلى لو أن رجلاً من النـاس كريمـاً قـدم طعامـاً للآكلين هل رغبته أن يرجع الطعــام غــير مــأكول أو أن يأكله الناس؟

يأكله النــاس طبعــاً لأن هــذا مقتضى الكــرم فأنا إذا أكلت أنوي التبسط بنعمة الله كان عبـادة فـانظر يا أخي كيف كـان الطعــام الــذي تــدعو إليه الطبيعة وتقتضــيه العـــادة كيف أمكن أن يكـــون عبـــادة بحسب الانتبـــاه واليقظة والنية بينما يــــأتي الغافل إلى الصـــلاة وإلى المسجد على العـادة وإذا أتى على العـادة صـارت عبادته الآن عادة.

وبهـــذا يتـــبين لنا أن توحيد العبـــادة وتحقيق توحيد العبادة أمر مهم جداً وهذا ما نـدعو إليه أن يحقق النـاس العبادة لله وحده.

ولو قـال قائـل: هل يجـوز أن أدعو رسـول الله صـلى الله عليه وسلم؟.

الجواب: لا يجوز أن أقول : يا رسول الله أنقــذني من الشدة يا رسول الله ارزقني ولداً. لا يجوز بـأي حـال من الأحـوال، بل هو شـرك أكـبر مخـرج من الملة سـواء دعا الرسول صلى الله عليه وسـلم أو دعا غـيره وغـيره أقل منه شــأناً وأقل منه وجاهة عند الله عز وجل فــإذا كــان دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم شـركاً فـدعاء غـيره أقبح وأقبح والرسول عليه الصلاة والسلام أعظم النـاس جاهاً عند الله وقيل له عليه الصلاة والسـلام والقائل هو الله :) قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشـداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحـداً ([1]**، أنا لا أملك لكم ضـــراً ولا رشـــداً ولو أرادني الله بشـــيء ما وجــــدت من دونه ملتحـــداً يمنعـــني منه إذاً لمن أتجه**

---

[1] الجن الآيتان :21- 22.

بالدعاء؟ إلى الله عز وجل) وقال ربكم ادعوني أســتجب لكم إن الــذين يســتكبرون عن عبــادتي ســيدخلون جهنم داخــرين ([2] وليتضح القــول في مســألة دعــاء الرســول صــلى الله عليه وســلم أو غــيره من المخلــوقين نقــول: الدعاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: جــائز وهو أن يــدعو مخلوقــاً بــأمر من الأمــور الــتي يمكن أن يــدركها بأشــياء محسوسة معلومة قــال صلى الله عليه وسلم في حقــوق المســلم على أخيه : " وإذا دعــاك فأجبه " [3] وقــال صــلى الله عليه وســلم : " وتعين الرجل في دابته " [4] الحديث.

الثاني: أن تدعو مخلوقاً سواء كان حياً أو ميتاً فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر، لأن هذا من فعل الله لا يســـــتطيعه البشر مثــــل: يا فلان اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً.

الثالث: أن تــدعو مخلوقــاً لا يجيب بالوســائل الحســية المعلومة كدعاء الأموات فهذا شرك أكبر أيضاً لأن هذا لا يقدر عليه المدعو ولابد أن يعتقد فيه الداعي ســراً يــدبر به الأمور.

واعلم: أنك لن تدعو الله بدعاء إلا ربحت في كل حــال إما أن يســتجيب الله دعــاءك، وإما أن يصــرف عنك من الســوء ما هو أعظم، وإما أن يــدخرها لك عنــده يــوم القيامة ثوابــاً وأجــراً، فــألح في الــدعاء وكــرر لا تقل : دعوت فلم يستجب لي، انتظــر، كل دعــوة تــدعو الله بها فهي عبادة تنــال بها أجــراً ســواء حصل المطلــوب أم لم يحصل.

أما توحيد الأســماء والصــفات فخلاصــته أنه يجب علينا أن نثبت لله كل ما أثبته لنفسه من أسماء أو صــفات كل ما أثبته لنفسه من أسماء أو صفات يجب علينا أن نثبتها ولا يحل لنا أن ننكر ذلك بمقتضى أقيسة باطلة وعقــول

---

[2] غافر آية : 60.

[3] أخرجه البخــاري: كتــاب الجنــائز : بــاب الأمر باتبــاع الجنــائز، ومســلم : كتــاب السلام : باب من حق المسلم على المسلم.

[4] أخرجه البخاري كتاب الجهاد: باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر.

فاسـدة نحن نعلم أن الله عز وجل سـمى نفسه بأسـماء كثيرة منها ما يمكننا علمه ومنها مالا يمكننا علمـه. قـال النـــبي صـــلى الله عليه وســـلم في حـــديث عبد الله بن مسعود المشهور في دعاء الكرب والغم:

" اللهم إني عبدك ابن عبـدك ابن أمتك ناصـيتي بيـدك مـاض في حكمك عـدل في قضـاؤك "[1]. ومعـني الـدعاء أي:

كل ما قضـيت علي مما أحب أو أكـره فهو عـدل ليس فيه جور حتى المصـائب عـدل من الله) وما أصـابكم من مصـيبة فبما كسـبت أيـديكم ويعفو عن كثـير (. [سـورة الشـــورى، الآيـــة: 30] ويقـــول الرســـول عليه الصـــلاة والسلام في بقية الحديث:

" أسألك بكل اسم هو لك سـميت به نفسـك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو اسـتأثرت به في علم الغيب عنـــدك أن تجعل القـــرآن العظيم ربيع قلـــبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي"، هنا يقـــول: " أو اسـتأثرت به في علم الغيب عنـدك ". والـذي اسـتأثر به في علم الغيب لا يمكن لأحد معرفته لأن الله اســـتأثر به ولم يٌطلع عليه أحـــداً ، ومع هـــذا يقـــول الرســـول عليه الصـــلاة والســـلام: " إن لله تســـعة وتســـعين اســـماً من أحصاها دخل الجنة " [1].

لكن ليس معنى إحصـائها ما نجد بعض النـاس يقوله : يا الله يا رحمن يا رحيم يا قدوس يا سـميع.. حـتى يكمل تســـعة وتســـعين يقـــول : أحصـــيتها وأنا داخل الجنة ولا محالة هذا غير صحيح حتى لو وضعها في مسبحة.

لكن إحصاءها يكون بثلاثة أمور:

---

[1] أخرجه الإمام أحمد جـ1 ص 452 والحاكم ج 1 ص 690 وقال: " حديث صحيح على شـرط مسـلم إن سـلم من إرسـال عبد الـرحمن بن عبد الله عن أبيه فانه مختلف في سماعه من أبيه".وتعقبه الذهبي بقوله:" قلت: وأبو سـلمة لا يـدريمن هو ولا روآية : له في الكتب الست " والهيثمي في " المجمع " جـــ 10 ص 136 وقال: رواه أحمد وأبو يعلىوالبزار والطبراني" وصححه أحمد شـاكر " المسـند " [3712].

[1] البخاري: كتاب الدعوات : باب لله مائة اسم غير واحد، ومسلم : كتـاب الـذكر والدعاء : باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

أولاً: إحصاؤها لفظاً يعني يلتمسها من الكتاب والسنة حتى يحصيها لفظاً.

ثانياً: فهمها معـنى وإلا فلا فائـدة، ما الفائـدة من أن تقول : يا رحمن يا رحيم، وأنت لا تدري معنى رحمن ولا رحيم.

الثالث: التعبد لله بمقتضـاها بمعـنى أنك إذا علمت أنه سميع تدعوه لأنه يسمع، إذا علمت أنه قريب تـدعوه لأنه قـريب، إذا علمت أنه مجيب تـدعوه لأنه مجيب، ولما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر قال لهم النـبي صـلى الله عليه وسلم:

"يا أيها النـاس اربعـوا على أنفسـكم ــ يعـني هونـوا عليهاـ إنكم لا تدعون أصم ولا غائبـاً إنما تـدعون سـميعاً بصيراً قريباً إن الذي تدعونه أقـرب إلى أحـدكم من عنق راحلته وهو معكم"[1].

فتأمل كيف بين لهم الرسـول صـلى الله عليه وسـلم معـنى هـذه الأسـماء. قـريب سـميع بصـير. إذا علمت أن الله سـميع، هل تقـول قـولاً يغضـبه، لا. إذا علمت أنه رحيم تتعـرض لرحمتـه، وإذا علمت أنه غفـور تتعـرض لمغفرته، وهلم جراً، هذا هو معنى إحصاء أسـماء الله عز وجل ولابد أن تثبت لله كل ما أثبته لنفسه من وصف وإن شئت فقل : من صفة.

وإن من حق النـبي صـلى الله عليه وسـلم علينا الـذي هو فـوق حق الوالـدين أن نجـرد الاتبـاع له بمعـنى ألا نتقـدم بين يديه فلا نشـرع في دينه ما لم يشـرع ولا نتجاوز ما شـرعه أو نقصر فيه قـال الله تعـالى:) قل إن كنتم تحبـون الله فـاتبعوني يحببكم الله (.[سـورة آل عمران،الآية: 31].

وهـذه الآية يسـميها السـلف آية المحنـة: معناها الامتحان لأن قوماً زعمـوا أنهم يحبـون اللـه. فوضع الله هذا الميزان، فكلما كان الإنسـان أحب لله كـان لرسـوله

---

[1] البخاري: كتـاب الجهـاد: بـاب ما يكـره من رفع الصـوت في التكبـير " 2830" ومسلم : كتاب الذكر والدعاء: باب استحباب خفض الصوت بالذكر " 2704".

أتبع وكلما ضــعف اتبــاع الرســول فــإن محبة الله في القلب ضعيفة.

حــتى وإن ادعاها مــدعيها، نعم هل من محبة رســول الله صــلى الله عليه وســلم أن نتقــدم بين يديه ونُحْـدِث في دينه ما ليس منــه، لا أبــداً. ليس هــذا من محبة الله وليس هـذا من محبة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لأن محبة الله عنوانها ودليلها وميزانها أن نتبع رســـــول الله صــلى الله عليه وســلم ومحبة الرســول صــلى الله عليه وسلم من محبة الله فإذا كـانت دعـوى محبة الله لا تتحقق إلا باتبــاع الرســول صــلى الله عليه وســلم فــإن دعوى محبة الرسول لا تتحقق إلا باتبــاع الرســول صــلى الله عليه وســلم وحينئذ إذا كـان هـذا الشــهر هو الشــهر الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وكــذلك هو الشهر الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على ما قاله أهل التــاريخ إلا أنه لا تعلم الليلة الــتي ولد فيها وأحسن ما قيل أنه ولد في الليلة التاســـــعة من هـــــذا الشهر لا الليلة الثانية عشــرة خلافــاً لما هو مشــهور عند كثــير من المســلمين اليــوم لأن هــذا لا أســاس له من الصــحة من حيث التــاريخ وحسب ما حســبه أهل الفلك المتأخرون فــإن ولادته كـانت في اليـوم التاسع من هـذا الشهر لكن هل يعلم اليوم الذي ولد فيه؟

الجـواب: نعم ولد يــوم الاثــنين. لأن النــبي صــلى الله عليه وســلم ســئل عن يــوم الاثــنين. فقــال: "ذاك يــوم ولدت فيه " [1] لكن اليوم من الشهر لا يعلم يقينــاً ولكن أرجح ما قيل فيه هو اليوم التاسع وأياً كـان لا يهمنا في التاسع أو الثاني عشر أو غيره، لكن الذي يهمنا أن نكون لله مخلصــين ولنبيه صــلى الله عليه وســلم متبعين وأن نحقق ذلك الإخلاص وذلك الاتبــــاع لأن دين الإســـلام لا يــدخل الإنســان فيه إلا إذا قــال : أشــهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وشهادة أن محمداً رســول الله تســتلزم اتباعه وطاعته فيما أمــر، وتصــديقه فيما أخــــبر واجتنـــاب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما

---

[1] أخرجه مسلم : كتاب الصوم: باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

شرع فالذي يهمنا أيها الإخوة : ألا نجعل في هذا الشـهر أمراً زائداً على الشهور الأخرى أبداً إذا كنا صـادقين في أننا نحب الرسـول عليه الصـلاة والسـلام. فلنتبع شـرعه ولا نتعـداه لأن أي بدعة تحـدث يتقـرب بها الإنسـان إلى رب العـالمين. وليست في دين الله فإنها تتضـمن أيها الإخوة الاعتراض على الله وعلى رسوله صـلى الله عليه وسـلم وعلى الصـحابة رضي الله عنهم. لأن كل إنسـان يحـدث في دين الله بدعة يتعبد بها ويتقـرب إلى الله بها فـإن بدعته هـذه تسـتلزم الطعن أو القـدح في الله عز وجل وفي الرسول وفي الصحابة، أما

في الله فلأنه إذا ابتـدع في دين الله ما ليس منه فقد كذب الله لأنه سبحانه وتعالى يقول:) اليـوم أكملت لكم دينكم (فإذا أحدثنا في دين الله شيئاً بعد موت الرسول عليه الصـلاة والسـلام فمقتضى ذلك التكـذيب للآية والقدح في الله عز وجل فإن قيل : كيف يتضمن القـدح في الله عز وجل من حيث لا يشعر الإنسـان؟ أي إنسـان يبتـدع في دين الله ما ليس منه من أذكـار أو صـلوات أو غيرها مما يتقـرب به إلى اللـه. نقـول : إذا كنت تتقـرب بذلك إلى الله، فإن ذلك دين تدين الله به وترجو به ثوابه والنجـاة من عقابه فـأين أنت من قوله تعـالى:) اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمـتي (كيف يكـون كمالاً وأنت تأتي بعده بجديد هل يكـون كمـالاً يحتـاج إلى تكميل فيما بعد.

الجواب: لا يكـون ذلـك، كما أن فيه انتقاصـاً للرسـول صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بكمـال الـدين وذلك في قوله تعـالى:) اليـوم أكملت لكم دينكم .. (وكـذلك انتقاصـاً لله عز وجل لأن الله عز وجل بيّن كمـال الـدين كما في الآية الكريمة وكـذلك فيه انتقـاص للصـحابة رضـوان عليهم من حيث إنهم كتمـوا شـيئاً من الشـريعة الإسلامية؟

وكذلك اتهام لهم رضـوان الله عليهم بالجهل في دين الله عز وجل.

ومن هـذا الكلام يتـبين أن من ابتـدع في دين الله عز وجل فإن بدعته هذه تتضمن القدح في:

1. **الله عز وجل.**
2. **ورسوله صلى الله عليه وسلم.**
3. **وفي الصحابة رضوان الله عليهم.**

أيها الإخوة: نحن لا نتهم صانعي هذه البدع أو محـدثي هذه البدع كلهم بسوء القصـد، قد يكـون قصـدهم حسـناً ولكن هل يكفي في العبـادة أن يكـون قصد الإنسـان حسناً أو لابد من المتابعة؟

لابد من المتابعة، ليس كافياً

أن يكون قصد الإنسان حسـناً وإلا ابتـدع كل واحد في دين الله ما يريد، ويقول : أنا قصدي حسن، أقول : ليس كل إنسان يحدث بدعة نسيء الظن به.

نحن نحسن الظن بكثـير منهم لكن ليس كل من كـان قصده حسناً يكـون فعله صـواباً وحسـناً ولهـذا قـال الله تعالى:) أفمن زين له سوء عمله فـرآه حسـناً ([سـورة فاطر، الآية: 8] نقول للـذي يبتـدع أي بدعة في دين الله : ماذا تريد؟ قال: أريد التقرب إلى الله عز وجل فنقول: تقـرب إلى الله بما شـرع، فيه الكفايـة، تقـرب إلى الله بما درج عليه السـلف الصـالح والصـحابة والتـابعون وتابعوهم بإحسان إلى يـوم الـدين ففيه الكفاية لا تتعب نفسك بأمر لم يشأه الله فيعود عليك بالضرر قال صـلى الله عليه وسلم: " إياكم ومحدثات الأمـور فـإن كل بدعة ضلالة" ثم إن البدع في الحقيقة هي انتقـاد غـير مباشر للشـريعة الإسـلامية لأن معـنى البـدع أن الشـريعة الإسـلامية لم تتم وأن هـذا المبتـدع أتمها بما أحـدث من العبادة التي يتقرب بها إلى الله كما زعم.

وأنا أعجب ممن يقسمون البدع إلى أقسـام ويجعلـون من البـدع بـدعاً حسـنة، مع أن أعلم الخلق وأنصح الخلق وأفصح الخلق يقول باللسان العربي المبين يقول صـلى الله عليه وسـلم: " كل بدعة ضـلالة " [1] ولا أعظم من هـذا العمـوم عمـوم مسـتوف " كل بدعة ضـلالة " ، لا

---

(1) تقدم تخريجه.

نستطيع بعقولنا القاصـرة أن نقـول : إن البدعة تنقسم إلى أقسام منها واجب ومنها مستحب ومكروه وحرام.

ليس في الـدين بدعة حسـنة أبـداً، أما السـنة الحسـنة فهي التي توافق الشرع، وهذه تشـمل أن يبـدأ الإنسـان بالسنة أي يبدأ العمل بهـا، أو يبعثها بعد تركهـا، أو يفعل شيئاً يسنه يكون وسيلة لأمر متعبد به فهذه ثلاثة أشياء:

الأول: إطلاق السـنة على من ابتـدأ العمل ويـدل له سبب الحديث فإن النبي صلى الله عليه وسـلم حث على التصدق على القوم الـذين قـدموا عليـه، صـلى الله عليه وسلم،

وهم في حاجة وفاقة، فحث على التصـدق فجـاء رجل من الأنصار بصـرة من فضة قد أثقلت يـده فوضـعها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النـبي صـلى الله عليه وسـلم: " من سن في الإسـلام سـنة حسـنة فله أجرها وأجر من عمل بها " [1] فهـذا الرجل سن سـنة، ابتداء عمل لا ابتداء شرع.

الثاني: السنة الـتي تـركت ثم فعلها الإنسـان فأحياها فهـذا يقـال عنه : سـنها بمعـنى أحياها وإن كـان لم يشرعها من عنده.

الثالث: أن يفعل شيئاً وسـيلة لأمر مشـروع مثل بنـاء المـدارس وطبع الكتب فهـذا لا يتعبد بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هـذا داخل في قـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم: " من سن في الإسـلام سـنة حسـنة فله أجرها وأجر من عمل بها " .

لكن قد يعـترض معـترض فيقـول: هل أنتم أعلم ممن نطق الكتـاب بموافقته كما حصل من عمر ابن الخطـاب رضي الله عنه حينما أمر أبي بن كعب وتميماً الـداري أن يقوما للناس برمضان، بإمام واحد وكـان النـاس يصـلون أوزاعـاً ثم جمعهم عمر رضي الله عنـه. فخـرج ذات ليلة

---

[1] مسلم: كتاب الزكاة: باب الحث على الصدقة.

وهم يصـلون فقـال : نعمت البدعة هـذه. والـتي ينـامون عنها أفضل من التي يقومون"[2].

فالجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا يجـوز لأحد من النـاس أن يعـارض كلام الرسـول صـلى الله عليه وسـلم بـأي كلام، لا بكلام أبي بكر الــذي هو أفضل الأمة بعد نبيهــا، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثـالث هـذه الأمة بعد نبيهـا، ولا بكلام علي الــذي هو رابع هـذه الأمة بعد نبيهـا، ولا بكلام أحد غـيرهم لأن الله تعـالى يقـول:) فليحــذر الــذين يخـالفون عن أمــره أن تصـيبهم فتنة أو يصـيبهم عـذاب أليم (. [سـورة النـور، الآية: 63] قال

الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : " أتدري ما الفتنــة؟ الفتنة الشــرك لعله إذا رد بعض قــول النــبي صــلى الله عليه وسلم أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك " .أ.هـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهمــا: " يوشك أن تــنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم وتقولون : قال أبو بكر وعمر".

الوجه الثاني: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمــنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد النـاس تعظيمـاً لكلام الله تعالى ورسـوله صـلى الله عليه وسـلم، وكـان مشــهوراً بــالوقوف على حــدود الله تعــالى حــتى كــان يوصف بأنه كـان وقافــاً عند كلام الله تعــالى. وما قصة المــرأة الــتي عارضــته ــ إن صـحت القصة ــ في تحديد المهور بمجهولة عند الكثير حيث عارضته بقوله تعـالى:) وآتيتم إحـداهن قنطـاراً (. [سـورة النسـاء، الآيـة: 20]. فــانتهى عمر عما أراد من تحديد المهــور[1] لكن هــذه

---

(2) البخاري: كتاب صلاة التراويح " 1906".

(1) نص القصة: عن أبي العجفاء السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: " ألا لا تغـالوا في صدقات النساء. فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقـوى عند الله ، لكـان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شـيئاً من نسـائه، ولا أنكح شـيئاً من بناته على أكـثر من اثنـتي عشـرة أوقيـة" أخرجه الإمام أحمد جـ 1 ص 282 (تحقيق أحمد شاكر)، وأبو داود: كتـاب النكـاح: باب الصداق، والنسائي: كتاب النكاح: باب القسط في الأصـدقة، والترمـذي: كتـاب

القصة في صحتها نظـر. لكن المـراد بيـان أن عمر كـان وقافــاً عند حــدود الله تعــالى لا يتعــداها، فلا يليق بعمر رضي الله عنه وهو من هو أن يخــالف كلام ســيد البشر محمد صـــلى الله عليه وســـلم وأن يقـــول عن بدعة : " نعمت البدعة " وتكـــون هـــذه البدعة هي الـــتي أرادها رســول الله صــلى الله عليه وســلم بقولــه: " كل بدعة ضلالة " بل

لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر : إنها " نعمت البدعة " على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي صـلى الله عليه وســـلم في قولـــه: " كل بدعة ضـــلالة " فعمر رضي الله عنه يشـير بقولـه: " نعمت البدعة هـذه " إلى جمع الناس على إمام واحد بعد أن كانوا متفرقين، وكان أصل قيام رمضان من رسول الله صلى الله عليه وســلم فقد ثبت في الصـــحيحين من حـــديث عائشة رضي الله عنها أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـام في النـاس ثلاث ليـال وتـأخر عنهم في الليلة الرابعة وقـال: " إني خشـيت أن تفـرض عليكم فتعجـزوا عنهـا". فقيـام الليل في رمضـــان جماعة من ســـنة الرســـول عليه الصـــلاة والسـلام، وسـماها عمر رضي الله عنه بدعة باعتبـار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ترك القيام صـار النـاس متفــرقين يقــوم الرجل لنفســه، ويقــوم الرجل ومعه الرجـــل، والرجل ومعه الـــرجلان، والرهـــط، والنفر في المسجد، فرأى أمـير المؤمـنين عمر رضي الله عنه برأيه السـديد الصـائب أن يجمع النـاس على إمـام واحد فكـان هذا الفعل بالنسـبة لتفـرق النـاس من قَبْل بدعـة، فهي بدعة اعتبارية إضـــافية، وليست بدعة مطلقة إنشـــائية أنشـــأها عمر رضي الله عنـــه، لأن هـــذه الســـنة كـــانت موجـودة في عهد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم فهي سنة لكنها تركت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والســلام حـــتى أعادها عمر رضي الله عنه وبهـــذا التقعيد لا يمكن

النكاح: باب ما جـاء في مهـور النسـاء، وابن ماجه : كتـاب النكـاح: بـاب في صـداق النساء، والحاكم جـ 2 : ص 192 وصححه ووافقه الذهبي، وصـححه أحمد شـاكر جــ 1 ص 282.وأما قول المـرأة الـتي عارضت عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه، فقد أخرجه عبد الرزاق في " المصنف " جـ6 ص 180 ، وابن كثير جـ 1 ص 703 سورة النساء، الآية:: 20 وقال: " إسناد القصة جيد قوي ".

أبــداً أن يجد أهل البــدع من قــول عمر هــذا منفــذاً لما استحسنوه من بدعهم.

من العلمــاء من قسم البدعة إلى أقســام ومنها بــدع حسنة فما الجواب عن ذلك؟

والجواب عن ذلك أن نقـول: ما ادعـاه العلمـاء من أن هناك بدعة حسنة. فلا تخلو من حالين:

1. **أن لا تكون بدعة لكن يظنها بدعة.**
2. **أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها.**

فكل ما ادعي أنه بدعة حســنة فــالجواب عنه بهــذا . وعلى هــذا فلا مــدخل لأهل البــدع في أن يجعلــوا من بـدعهم بدعة حسـنة وفي يـدنا هـذا السـيف الصـارم من رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم (كل بدعة ضـلالة) . إن هــذا السـيف الصــارم إنما صــنع في مصــانع النبــوة والرسالة، إنه لم يصنع في مصانع مضطربة، ولكنه صــنع في مصانع النبوة، وصاغه النــبي صــلى الله عليه وســلم هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول : إنها حسـنة ورسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل بدعة ضـلالة) أيها الإخوة: في هذا الشـهر يحـدث بعض المسـلمين احتفـالاً يسمونه، عيد المولد، هو والحمد لله في بلادنا ليس بذاك المشهور لكن أقول : إنه يوجد في بعض البلاد الإسلامية من يحتفل بما يدعونه ليلة المولد لا على المســــــتوى الشــعبي فحسب بل حــتى على المســتوى الرســمي، والحقيقة أن هـذا مـؤلم، كيف نتلهى بالقشـور بل كيف نتلهى بالعظام التي تجـرح حلوقنا لنبتلعهـا، ثم نـترك ما هو من أهم المهمـات بل هو أهم المهمـات وهو أصــول الدين، ندعها تجرح الدين أمام هؤلاء ولا أحد منهم ينبض بكلمة إلا من شــاء اللــه، كيف نحتفل ونقيم الأعيــاد والحلـوى والاجتمـاع والأذكـار وليتها أذكـار سـالمة، إننا نسـمع أن بعضـهم ينشد القصـائد الـتي والله لا يرضـاها الله ولا رسوله، لقد قالوا للرسول عليه الصلاة والسـلام

" ما شاء الله وشئت فقال : أجعلتني لله نداً بل قل : ما شاء الله وحده" [1].

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فنقول له بكل بساطة : لك من تلوذ به سوى رسول الله وهو الله عز وجل الذي قال له:) قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ([سورة الجن، الآية: 22].

كيف تقول : يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم. ليته الحادث الخاص، الحادث الخاص قد تشكو إلى زيد أو عبيد ويقضي حاجتك، الحادث العمم كالفيضانات الصواعق الزلازل إذا أصابت الرجل عنده من يقول : مالي من ألوذ به سوى الرسول صلى الله عليه وسلم ، هكذا يقول أما من كان على الفطرة، فإنه يلوذ بالله وحده وهذا هو الحق.

ومما تقدم يتبين لنا أن الاحتفال بالمولد النبوي لا يجوز بل هو أمر مبتدع وذلك لأمرين:

أولاً: ليلة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ليست معلومة على الوجه القطعي، بل إن بعض العصريين حقق أنها ليلة التاسع من ربيع الأول وليست ليلة الثاني عشر منه، وحينئذ فجعل الاحتفال ليلة الثاني عشر منه لا أصل له من الناحية التاريخية.

ثانياً: من الناحية الشرعية فالاحتفال لا أصل له أيضاً لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي، صلى الله عليه وسلم أو بلغه لأمته ولو فعله أو بلغه لوجب أن يكون محفوظاً لأن الله تعالى يقول:) إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون([1] فلما لم يكن شيء من ذلك علم أنه ليس من دين الله، وإذا لم يكن من دين الله فإنه لا يجوز لنا أن نتعبد به لله عز وجل ونتقرب به إليه، فإذا كان الله تعالى قد وضع للوصول إليه طريقاً معيناً وهو ما

([1]) تقدم تخريجه.

([1]) سورة الحجر، الآية : " 9 ".

جاء به الرسول، صلى الله عليه وسلم فكيف يسوغ لنا ونحن عباد أن نأتي بطريق من عند أنفسنا يوصلنا إلى الله؟ هذا من الجناية في حق الله عز وجل أن نشرع في

دينه ما ليس منه، كما أنه يتضمن تكذيب قول الله عز وجل:) اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ([1]**. فنقول : هذا الاحتفال إن كان من كمال الدين فلابد أن يكون موجوداً قبل موت الرسول، عليه الصلاة والسلام، وإن لم يكن من كمال الدين فإنه لا يمكن أن يكون من الدين لأن الله تعالى يقول:) اليوم أكملت لكم دينكم (ومن زعم أنه من كمال الدين وقد حدث بعد الرسول،صلى الله عليه وسلم فإن قوله يتضمن تكذيب هذه الآية الكريمة، ولا ريب أن الذين يحتفلون بمولد الرسول، عليه الصلاة والسلام إنما يريدون بذلك تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وإظهار محبته وتنشيط الهمم على أن يوجد منهم عاطفة في ذلك الاحتفال للنبي، صلى الله عليه وسلم وكل هذا من العبادات، محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم، أحب إلى الإنسان من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، من العبادة، كذلك إلهاب العواطف نحو النبي صلى الله عليه وسلم من الدين أيضاً لما فيه من الميل إلى شريعته، إذاً فالاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم من أجل التقرب إلى الله وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم عبادة وإذا كان عبادة فإنه لا يجوز أبداً أن يحدث في دين الله ما ليس منه، فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرم، ثم إننا نسمع أنه يوجد في هذا الاحتفال من المنكرات العظيمة مالا يقره شرع ولا حس ولا عقل فهم يتغنون بالقصائد التي فيها الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جعلوه أكبر من الله والعياذ بالله ومن ذلك أيضاً أننا نسمع من سفاهة بعض المحتفلين أنه إذا تلا التالي قصة المولد ثم وصل إلى قوله : " ولد المصطفى " قاموا جميعاً قيام رجل واحد يقولون : إن**

---

[1] سورة المائدة، الآية : " 3 ".

روح الرسول صلى الله عليه وسلم حضرت فنقوم إجلالاً لها وهــذا ســفه، ثم إنه ليس من الأدب أن يقومــوا لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يكره القيام له

فأصـحابه وهم أشد النـاس حبـاً له وأشد منا تعظيمـاً للرسول صلى الله عليه وسـلم لا يقومـون له لما يـرون من كراهيته لذلك وهو حي فكيف بهذه الخيالات ؟ !

وهذه البدعة ـ أعـني بدعة المولد ــ حصـلت بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة وحصل فيها ما يصحبها من هذه الأمور المنكرة التي تخل بأصل الـدين فضـلاً عما يحصل فيها من الاختلاط بين الرجــال والنســاء وغــير ذلك من المنكرات.

وهؤلاء الذين فعلوا هذه البدعة عند بعضـهم حسن نية لكن أرجو منهم أن يتـأنوا في الأمــر، وأن يتـأملوا فيه ، هل فعلـوا ذلك عبـادة لله فليـأتوا ببرهـانهم أن ذلك من بـاب التعبد للـه، ولمـاذا لم يتعبد به الصـحابة و التـابعون وأئمة الإسلام بعدهم هل أتوا بـذلك محبة للرسـول عليه الصلاة والسلام، إذا كان كذلك فإن الحبيب يقتدي بحبيبه ولا يتجاوز خطاه. هل أتـوا بـذلك تعظيمـاً للرسـول عليه الصلاة والسـلام وهو الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لا يريد ذلك لنفسه ونهى أمته عن الغلو فيه كما غلت النصـــارى بعيسى بن مـــريم [1]هل قـــالوا ذلك تقليـــداً للنصــارى حيث كـانوا يحتفلــون بمولد عيسى بن مــريم عليه الصلاة والسلام، إذا كان كذلك فالأمر فـادح لحـديث " من تشبه بقوم فهو منهم " [2]، والذي يظهر لي والله أعلم أن ذلك من بـــاب مراغمة النصـــارى لأن النصـــارى يحدثون احتفالاً بمولد عيسى بن مريم، وقالوا : إذاً نحن نضادهم ونوجد احتفالاً لنبينا صلى الله عليه وسلم ويدل على هذا أنهم جعلوا الاحتفــال بالمولد وحقيقة الأمر أن النعمة لم تتم إلا برســالته) لقد من الله على المؤمــنين إذ بعث فيهم رسولاً (، [سـورة آل عمـران، الآيـة: 164]

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء : باب: " واذكر في الكتـاب مـريم إذ انتبـذت من أهلها " سورة مريم "16".

(2) تقدم تخريجه.

وموضع المنة (بعث) وهـذا يقـرب أن الـذي ابتـدع هـذه البدعة أراد مضـادة النصـارى، ومشـاركتهم في إحـداث المولد بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسـلام، وعلى كل حال فإنني أبين ذلك

حـتى لا تغـتر بتلك البدعة لأن الحق ما قـام الـدليل عليـه، وليس الحق فيما عمله النـاس، الـذين كـانوا بعد القرون الثلاثة، لأننا نقـول : إن الإجمـاع قد دل على أن هـذا ليس من العبـادة في شـيء إجمـاع من الصـحابة والتـابعين وتـابعي التـابعين لأن هـذه البدعة حـدثت في القـرن الرابع من الهجـرة وانتشـرت ومع الأسف أنها لم تُبين للناس على حقيقتهـا، وإلا فـإني أعتقد والعلم عند الله أنها لو بينت على حقيقتها ما كـان النـاس يتعبـون في أمر لا يعود عليهم إلا بالضرر، أبداً الإنسـان المـؤمن عاقل وحـازم وفطن، كل شـيء يعـود عليه بالضـرر لا يمكن أن يفعله أبداً مهما كان، ولـذلك أسـأل الله تعـالى لإخواني هؤلاء أن يوفقني وإياهم للصواب، حـتى يتبعـوا الرسول عليه الصلاة والسلام بالعقيدة والقول والعمل.

ثم إننا نحث إخواننا ولا سيما الشباب على أن يحرصوا غاية الحـرص على دعـوة إخـوانهم إلى الحق ولكن ليكن ذلك باللطف واللين وبيان الحق [1] لأن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف " [2] وهـذا كلام الرسـول صـلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى.

جاء مرة يهـودي إلى الرسـول عليه الصـلاة والسـلام، وعنده عائشة فقال: السام عليكم ـ والسام هو الموت ـ قـالت عائشة رضي الله عنها : عليك السـام واللعنة . فنهاها الرسول عليه الصلاة والسلام وقـال: " إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش إذا سـلم عليكم أهل الكتـاب فقولوا: وعليكم"[3] إن كانوا قائلين :السام عليكم قلنا :

---

(1) انظر كتاب " زاد الداعية إلى الله عز وجل " وكتـاب " الاعتـدال في الـدعوة " لشيخنا العلامة محمد بن عثيمين حفظه الله تعالى.

(2) مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الرفق.

(3) البخاري: كتاب الأدب : بـاب لم يكن النـبي صـلى الله عليه وسـلم فاحشـاً ولا متفحشاً.

وعليكم يعني عليكم السـام عاملنـاهم بالعـدل، إن كـانوا قالوا : السلام عليكم قلنا : وعليكم يعني السلام. ولهـذا قـــال ابن القيم رحمه الله في كتابه أحكـــام أهل الذمة قال : إذا قال اليهودي أو النصراني :

السـلام عليكم وأظهر اللام قل : عليكم السـلام ولا حرج لأنه قال : السلام عليكم. لأن الرسول عليه الصـلاة والسـلام قـال: قولـوا : وعليكم، والـواو حـرف عطف فيكون المعطوف ممـاثلاً للمعطـوف عليـه. إذاً إن كـانوا قالوا : السلام يقـول : وعليكم السـلام وهـذا من العـدل قال الله تعـالى:) وإذا حـييتم بتحية فحيـوا بأحسن منها أو ردوها (.

المهم أقول لإخواني الشـباب أن يـدعوا إلى الله على بصـيرة وعلم بـالرفق واللين ولا ييأسـوا قد تحصل من المـدعو نفـرة في أول الأمر وكراهية لكن إذا عومل بالتي هي أحسن وبدون عنف وباللين فـإن الله عز وجل يقول لموسى وهـارون :) اذهبا إلى فرعـون إنه طغى . فقـولا له قـولاً لينـاً (لمـاذا؟) لعله يتـذكر أو يخشى(. [سـورة طـه، الآيتـان: 43-44]، فهكـذا ينبغي على كل داعية إلى الخير أن يقابل الناس باللين وبيـان الحق وأن يصـبر على ما يجد من جفـوة قد يجد جفـوة أو نفـرة فليصبر أليس الرسول عليه الصـلاة والسـلام وهو أكـرم الخلق عند الله يـأتي المشـركون إليه وهو سـاجد تحت الكعبة ويضـعون عليه سلا الناقة دم وفـرث وسلا وهو ساجد لله رب العالمين؟!.

ومع ذلك صبر عليه الصلاة والسلام فكـانت العاقبة له) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هـذا فاصـبر إن العاقبة للمتقين (، [سـورة هـود، الآيـة:49] واعلم أنك لا تصـاب بمثل هـذه النفرة أو الكلام عليك إلا أجرت عليه إذا صبرت.

قـال الله تعـالى:) واصـبروا إن الله مع الصـابرين ([سـورة الأنفـال، الآيـة: 46].) إن الله مع الـذين اتقـوا والذين هم محسـنون ([سـورة النحـل، الآيـة: 128] كما أدعـوكم أيضـاً إلى الاتفـاق فيما بينكم لا تكونـوا أحزابـاً

متفرقين أنا أعتقد أن كل واحد من هذا الشباب الصالح لا يريد إلا الحق والخير،

إذا كان كذلك لماذا نتفرق في جماعة تبليغ. يأتي ناس يكفرونهم ويضلونهم وفي جماعة إخوان مسلمين وجماعة سلفيين وجماعة، أشياء متعددة، لماذا لا نتفق ونكون جماعة واحدة المخطئ منا يصوبه المصيب والمصيب يحمد الله على الصواب أما أن نتفرق هذا خطأ والواجب أن نكون يداً واحدة وألا تتفرق كلمتنا وأن نكون كما قال الله عز وجل :) إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ([سورة الأنبياء، الآية: 92]. وقال :) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم(، [سورة آل عمران، الآية: 105] وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام:) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء (، [سورة الأنعام، الآية: 159]. وقال تعالى:) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه(.[سورة الشورى، الآية:13]. أسأل الله تعالى أن يجمع كلمتنا على الحق وأن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونسأله تعالى أن يرزقنا الفقه في دينه والاستقامة عليه وأن يعيذنا جميعاً من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

تم بحمد الله تعالى المجلد السابع

ويليه بمشيئة الله عز وجل المجلد الثامن

إلى الأذن عرضاً ومن منحنى الجبهة إلى أسفل اللحية طولاً، ومنه المضمضة والاستنشاق واليدان يجب أن تغسلا من أطراف الأصابع إلى المرفقين والمرفقان داخلان في الغسل. وأما الرأس فيمسح جميع الرأس ومنه الأذنان وأما الرجلان فتغسل الرجل من أطراف الأصابع إلى الكعبين وهما العظمان الناتئان في أسفل الساق . ولكن من رحمة الله عز وجل أن خفف علينا بالنسبة للرجلين لأنهما موضع المشي وتتعرضان لبرودة الأرض وللصعوبة في أيام الشتاء فمن رحمة الله أن شرع لهذه الأمة المسح على الخفين في السنة وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسح على الخفين. كما قال الناظم:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

المهم أن قوله : ومسح خفين يعني أنه مما تواترت به السنة ولهذا لم يخالف فيه أحد من أهل السنة، فكل أهل السنة والحمد لله مجمعون على المسح على الخفين وإن كانوا يختلفون في بعض الشروط.

والمهم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة قبل أداء العبادة التحقق من شرطين تقدما ونذكرهما لأهميتهما وهما:

1. **الإخلاص لله.**
2. **المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.**

وقد تقدم شرح الشرطين على وجه التفصيل فنسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً الفقه في دينه وأن يجند أرواحنا في سبيله، وأن يجعلنا دعاة إلى جمع شمل الأمة الإسلامية على ما يحب ربنا ويرضى والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى من سار على هديه إلى يوم الدين.